

المتطرفون

زمن الغيبة

الشيخ جعفر عتريسي

تدريسا
مدير مركز
الدراسات والبحوث

مؤسسة البحوث
والدراسات الإسلامية

مركز الأبحاث والفكر الإسلامي



بجميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٨ م - ١٤٢٩ هـ

المتظرون زمن الغيبة

الشيخ جعفر عتريسي

مؤسسة البلاغ

مركز الأبحاث والفكر الإسلامي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى مَنْ اتَّقَى اللهَ وعَمِلَ ،
إلى رَوْضِ الذَّاتِ وحَمَلِهَا عَلَى الطَّاعَاتِ ،
إلى مَنْ يَنْتَظِرُ الآيَاتِ ،
إلى الَّذِينَ تَحَرَّوْا نُورَ اللهِ زَمَنَ الغَيْبَةِ ،
إلى مَنْ تَرَقَدُ أَجْسَادُ النَّاسِ وَلَا يَرْقُدُونَ ،
إلى مَنْ تَرْتَاحُ نَفُوسُ النَّاسِ وَلَا يَرْتَاحُونَ ،
إلى مَنْ آمَنُوا بَعْدَ طِيِّ الزَّمَانِ ،
إلى حَمَلَةِ الدِّينِ وَأَتْبَاعِ الفُقَهَاءِ ،
إلى الَّذِينَ طَوَّوْا العَمْرَ فِي خِدْمَةِ الإِسْلَامِ ،
إلى مَنْ يَلْتَحِفُ الغَيْبَةَ شِعَاراً وَسِمَةً وَحَيَاةً ،
إلى الغُرَبَاءِ المَحْزُونِينَ ..
إلى صَاحِبِ العِمَّةِ المَحْمَدِيَّةِ والأَنْوَارِ العُلُويَّةِ والمَقَامَاتِ الفَاطِمِيَّةِ ،
إلى نُورِهِ الدَّافِقِ فَوْقَ ظَلْمَةِ الأَرْضِ ، إلى شَمْسِيهِ المَحْمُولَةِ بِيَدِ قَوْمٍ لَهُمُ عِزْمٌ
الإِنْتِظَارِ ،
إلى المَنَادِي فِي رُبُوعِ الأُمَّمِ : قَوْمُوا فَإِنَّ سَكَّةَ الآيَاتِ دَلِيلُ التَّالِيَاتِ ،
إلى صَاحِبِ الرَّايَةِ الخِرَاسَانِيَّةِ والدَّوْلَةِ المَحْمَدِيَّةِ العُلُويَّةِ ، إلى سَيِّدِنَا
وقَائِدِنَا الإِمَامِ الخَاصِمَنِيِّ أَدَامَهُ اللهُ تَعَالَى أَهْدِي كِتَابِي هَذَا مُتَقَرِّباً إِلَى اللهِ
تَعَالَى .

زمن الغيبة

[أقرب ما يكون العباد من الله تعالى]

تُعطي الأخبار نوعاً من الرهبة المعنوية لذلك الزمان ، وفضلاً ملحوظاً للمؤمنين زمن الغيبة . وذلك تمجيداً لقوم ينتظرون . وتؤكد أن العالم آنذاك ينطوي على شرار الخلق ، وأن أكبر غضب الله تعالى يكون على أعدائه إذا غيَّب حجَّته . ففي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

” أقرب ما يكون العباد من الله جلَّ ذكره وأرضى ما يكون عنهم : إذا افتقدوا حجَّة الله عزَّ وجلَّ ولم يظهر لهم ، ولم يعلموا مكانه ، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجَّة الله جلَّ ذكره ، ولا ميثاقه ،

” فعندها ، فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً ،

” فإنَّ أشدَّ ما يكون غضبُ الله على أعدائه إذا افتقدوا حجَّته ولم يظهر لهم ،

” وقد علم أنَّ أولياءه لا يرتابون ، ولو علم أنهم يرتابون ما غيَّب حجَّته عنهم طرفة عين ،

”ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس“^١.

إذاً: قسمة الناس في آخر الزمن تكون على النحو التالي :

- قلة مؤمنة ، متبعة لصاحب الأمر ، نازلة على شرط الله تعالى ،
- كثرة كافرة ومنافقة تخوض في معاصي الله ، وتجحد سلطان الشريعة وقيامه الإسلام ،
- تسخر من أمر المهدي عليه السلام ،
- تصرُّ على تركيب أعرافها وموآثيقها على نحو من المبادئ والقيم المخالفة جهراً لله تعالى ولدينه .
- ثم تصرُّ المتون على أنّ غيبة المهدي عليه السلام لا تعني غيبة الحجّة الإلهية على الناس ، لذا يؤكّد النص أنه لو يعلم أنّ أولياءه يرتابون لما غيب المهديّ طرفه عين ،
- والمتون صريحة في أنّ غيبة المهدي عليه السلام بلاء واختبار قاسٍ في زمنٍ تطول فيه يدُ الأشرار ، وتقصُر يدُ الأخيار ، وسط قيام أعلام الله وحجّته على الخلق .

ثمّ تؤكّد العظمة الخاصة للمتظرين ، وذلك لشدة ما يقع عليهم وما يخضّهم من بلاءٍ وشرورٍ في دولة الباطل ومفاسدها . وبين يديّ محادثة جرت بين عمار الساباطي والإمام الصادق عليه السلام في هذا المضمون يسأل فيها

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٣ * كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

عمّار عن أفضل العبادة في السرّ أم في العلن؟؟ مع الإمام الظاهر أو زمن الإمام المستر؟؟ فقد دخل عمار الساباطي على الإمام الصادق عليه السلام وبعد المجلس والحديث قال : أيّما أفضل : العبادة في السرّ مع الإمام منكم المستر في دولة الباطل ، أو العبادة في ظهور الحقّ ودولته مع الإمام منكم الظاهر؟؟؟

” فقال عليه السلام : يا عمّار ، الصدقة في السرّ والله أفضل من الصدقة في العلانية ،

” وكذلك والله عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستر في دولة الباطل ، وتخوفكم من عدوّكم في دولة الباطل وحال الهدنة ، أفضل ممّن يعبد الله عزّ وجلّ ذكره في ظهور الحقّ مع إمام الحقّ الظاهر في دولة الحقّ ، (إشارة إلى عبادة الجهد والمشقة والتمسك بالدين زمن الأباطيل وأئمة الفساد ، فإنّها أعظم)

” ثمّ قال : وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحقّ ^٢ .

^١ ثمّ قال : واعلموا أنّ من صلى منكم اليوم صلاة فريضة في جماعة ، مستر بها من عدوّه في وقتها فأنعمها ، كتب الله له خمسين صلاة فريضة في جماعة ، ومن صلى منكم صلاة فريضة وحده مستراً بها من عدوّه في وقتها فأنعمها كتب الله عز وجل بها له خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية ، ومن صلى منكم صلاة نافلة لوقتها فأنعمها كتب الله له بها عشر صلوات نوافل ، ومن عمل منكم حسنة كتب الله عز وجل له بها عشرين حسنة ويضاعف الله عز وجل حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان بالتقية على دينه وإمامه ونفسه ، وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة إن الله عز وجل كريم .

”قلت : جُعِلت فداك قد والله رَغَّبَتني في العمل ، وحشَّتني عليه ، ولكن أحب أن اعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحق ، ونحن على دين واحد ؟

” فقال عليه السلام : إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عز وجل وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل خير وفقه وإلى عبادة الله عز ذكره سرّاً من عدوكم مع إمامكم المستتر ، مُطِيعين له ، صابرين معه ، « منتظرين لدولة الحق » ، خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة ، تنتظرون إلى حقّ إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة ، قد منعوكم ذلك ، واضطروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف مع عدوكم ، فبذلك ضاعفَ اللهُ عز وجل لكم الأعمال ، فهنيئاً لكم ^٣ « ^٤ .

أقول : مركز حديث الإمام عليه السلام هو العبادة في السرّ تحت ظلّ السلطان الجائر المغتصب لأمر الله تعالى المانع أهل الحقّ من القيام بشرع الله

^٣ قلت : جعلت فداك فما ترى إذا أن نكون من أصحاب القائم ويظهر الحق ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحق والعدل ؟ فقال : سبحان الله أما تحبون أن يُظهرَ اللهُ تبارك وتعالى الحق والعدل في البلاد ويجمع الله الكلمة ويؤلف الله بين قلوب مختلفة ، ولا يعصون الله عز وجل في أرضه ، وتقام حدوده في خلقه ، ويرد الله الحق إلى أهله فيظهر ، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق ، أما والله يا عمار لا يموت منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر واحد فأبشروا .

^٤ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٣ - ٣٣٥

وقيادة الناس على هديه . وهذا عينُ الإنطباعِ على زمن الغيبة الذي يُعتبر من أشدّ الأزمان ، حيث لا يرى المؤمنون الحجّة ، وإنما يؤمنون بسوادٍ على بياضٍ ، ويحسنون حجتهم وأعمالهم ، ويصبرون أشدّ الصبر ، في عالمٍ تتحكّم فيه يدُ الفسادِ وأنياب الباطلِ والإنحراف ، حتى يكون القابضُ على دينه كالقابض على الجمر .

وتحت هذا المعنى وقفَ أميرُ المؤمنين عليه السلام يوماً وهو يشيرُ إلى حجّةِ الله الظاهرة أو المستورة ، ثمّ شرعَ ببيان فضل المتمسّكين بأمر الله تعالى زمن الغيبة « الصعبة » وسط حكومات الفساد وضلال البلاد ، ففي رواية أبي إسحاق قال :

حدّثني الثقةُ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنّهم سمعوا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبة له :

« اللهم وإني لأعلم أنّ العلم لا يارز كُله ، ولا ينقطع مواده . وإنّك لا تخلي أرضك من حجّةٍ لك على خلقك : ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور ، كيلا تبطل حججك ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم ،

ثمّ قال عليه السلام عن المؤمنين زمن الغيبة : بل أين هم ؟؟؟ وكم ؟؟؟ :
« أولئك الأقلون عدداً ، والأعظمون عند الله جلّ ذكره قدرّاً ، المتبعون لقادة الدّين - الأئمة الهادين - الذين يتأدّبون بآدابهم ،
وينهجون نهجهم ،

” فعند ذلك يهجمُ بهم العلمُ على حقيقة الإيمان ، فتستجيب أرواحُهُم
لقادة العلم ، وَيَسْتَلِينُونَ مِنْ حَدِيثِهِمْ مَا اسْتَوْعَرَ عَلَى غَيْرِهِمْ ،
وَيَأْنَسُونَ بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْمُكَذِبُونَ ، وَأَبَاهُ الْمُسْرِقُونَ ،
” ثمَّ يشرع ببيان حقيقتهم فيقول ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} :

” أولئك أتباع العلماء ، صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى
وأوليائه ، ودأبوا بالتقية عن دينهم والخوف من عدوهم ،
” فأرواحهم معلقة بالمحل الأعلى .

” فعلمائهم وأتباعهم خرسٌ صمتٌ في دولة الباطل ، « منتظرون لدولة
الحق » ،

” وسيُحقُّ الله الحقَّ بكلماته ويمحق الباطل ،

” ها ، ها : طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هذنتهم ، ويا
شوقاهُ إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم ، وسيجمعنا اللهُ
وإياهم في جناتِ عدنٍ ومَن صلح من آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم^٥»

أقول : هذا الكلام تقشعرُّ له الأبدان ، وتهتزُّ له النفوس ، وتدمع له
العيون ، وهو يركز على العناوين التالية :

- في آخر الزمان لا ينكمش العلمُ كلُّه ، ولا تنكمش موادُّه ،

^٥ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٥

- ثم يؤكد على مبدأ رئيسي مفاده أن أرض الله تعالى لا تخلو من حُجَّتِه ، وقد يكون هذا الحُجَّة (الإمام) ظاهراً لكنه غير مطاع ، أو خائف مغمور (غيبة المهدي عليه السلام) . لكن آيات الله تعالى وبياناته تظل منسوبةً على أعناق العباد فلا تخلو من حُجَّةٍ يحتجُّ بها الله على الخلق ،

- ثم يشير إلى أولئك الذين يكونون زمن غيبة المهدي عليه السلام فيؤكد أنهم أهل صبرٍ وبلاء ، وأهل شِدَّةٍ وعناء ، ومع ذلك فهم الأقلُّ عدداً في ذلك العالم ، لكنهم الأعظم قدراً في عين الله تعالى ،

ثم يشرع عليه السلام ببيان صفة أولئك المؤمنين الذين يكونون في زمن الغيبة فيشير إلى قانون الغيبة وما يجب على المؤمنين أن يتصفوا به ، فيقول :
- أولئك « المتبعون لقادة الدين الأئمة الميامين » . إذاً : صفة أهل الغيبة أنهم قومٌ نازلون على أمر الله وشرعه ، متمسكون بولاية آل محمد عليه السلام ، عاملون بما أمرُوا ، منتهون عما نهوا ،

- ثم يشير عليه السلام إلى أن ولاية هؤلاء المؤمنين لأهل البيت تعني أنهم « يتأدَّبون بأدابهم ، وينهجون نهجهم » وهو يعني التزامهم أمر الله تعالى في الثقلين ، في الحلال والحرام وكل ما له صلة بالطاعة والولاء ، مؤكداً أنهم قومٌ يُعرفون

بِاتِّبَاعِهِمْ شَرَعَ اللهُ وَالنُّزُولَ عَلَى دِينِهِ ، وَأَنَّهِمْ قَوْمٌ يَتَّقُونَ ،
وَهَذَا شَرْطُ الْإِنْتِظَارِ ، أَيُّ النُّزُولِ عَلَى أَمْرِ اللهِ وَعَدَمِ تَجَاوُزِ
حُدُودِهِ . إِذَا يُعْرَفُونَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أَنََّّهُمْ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ
وَأَتْبَاعُهَا وَالْمُحَافِظُونَ عَلَيْهَا ، الْمَحْجُودُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ
وَالْمُحَرَّمُونَ مَا حَرَّمَ ، وَلَا تَأْخِذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ .

- ثُمَّ يَكْشِفُ ﷺ عَنْ أَمْرٍ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ الْمُتَّبِعِينَ لِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ ﷺ ، يَهْجُمُ بِهِمُ الْعِلْمُ
عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ ، وَهِيَ مَطَالِبُ اللهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
ﷺ ، فَيَمْسِكُونَ كُنْهَ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتَهُ ، وَتَسْتَجِيبُ
أَرْوَاحُهُمْ لِقَادَةِ الْعِلْمِ ، أَيُّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ، فَيَحْمِلُونَ عُلُومَهُمْ
وَأَخْبَارَهُمْ وَيَضْعُونَهَا مَوَاضِعَهَا ، فَيَحِلُّونَ حِلَالَهَا وَيُحَرِّمُونَ
حَرَامَهَا . لَكِنَّ الْأَهْمَ فِيهَا إِشَارَةُ الْإِمَامِ ﷺ إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ
الْمُنْتَظَرِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَقْبَلُونَ مِنْ أَحَادِيثِ آلِ بَيْتِ
مُحَمَّدٍ مَا اسْتَوْعَرَ عَلَى غَيْرِهِمْ وَصَعُبَ ، بَلْ يَأْنَسُونَ
بِعُلُومِ آلِ مُحَمَّدٍ اسْتَوْحِشَ مِنْهَا الْمَكْذِبُونَ وَرَفَضَهُ
الْمُسْرِفُونَ . فَيُنزِلُوا الْأَخْبَارَ مَنَازِلَهَا مِنْ لَوْحِ اللهِ وَفَقَّ مَعَانِيهَا
الْمَرْصُودَةَ ، وَيُؤْمِنُونَ بِهَا ، وَيَحْطُّوا تَحْتَ سُلْطَانِهَا ،
مُقْتَنِعِينَ مُسَلِّمِينَ ، عَنْ وَعْيٍ وَشِدَّةِ دِينٍ . إِذَا هَذَا شَرْطُ
الْمُؤْمِنِ زَمَنِ الْغَيْبَةِ . فَاحْفَظْهُ وَتَمَسَّكْ بِهِ .

- ثمَّ يَشِيرُ عَلَيْهِ إِلَى مَنْهَجِ هَوْلَاءِ الْمُنْتَظَرِينَ زَمَنَ الْغَيْبَةِ ، النَّازِلِينَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ نَبِيِّهِ وَآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيُؤَكِّدُ أَنَّهُمْ يَصْحَبُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا عَلَى شَرْطِ الدِّينِ وَطَاعَةِ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَصَدِيقُهُمْ مَنْ صَادَقَ الدِّينَ ، وَلَا عِزٌّ لَهُمْ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ وَلَايَتِهِ ، وَلَا يَأْنَسُونَ إِلَّا بِشَرَعِ اللَّهِ وَشَرَعِ وَلَايَتِهِ ، فَهَمُّ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ ، وَمِنَ الشَّرَعِ عَلَى طَاعَةٍ ، وَمِنَ الْبَاطِلِ عَلَى عِدَاوَةٍ ، وَمِنَ الْحَرَامِ عَلَى قَطِيعَةٍ ، لَا يَرُونَ شَيْئًا إِلَّا وَيُرَوْنَ فِيهِ أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ وَلَايَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَذَلِكَ بَيَانًا لَشَرْطِ الْغَيْبَةِ وَعَظَمَتِهَا فِي أَوْلِيَاءِ الْمُقَدَّسِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ . كَمَا يَشِيرُ إِلَى عِنَاءِهِمْ وَبَلَاءِهِمْ وَتَقِيَّتِهِمْ لَشِدَّةِ كَلْبِ الزَّمَانِ وَجُورِ السُّلْطَانِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُصَرُّونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ مَا أَمَكْنَهُمْ ، وَعَلَى شَرَعِهِ وَدِينِهِ دُونَ رَغْبَةٍ فِي بَاطِلٍ ، أَوْ تَسْوِيفٍ فِي عِبَادَةٍ ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ أَقْوِيَاءُ فِي اللَّهِ ، يُصَرُّونَ عَلَى أَمْرِهِ وَرَغْبَةً وَحُبًّا .

- ثُمَّ يُبَيِّنُ عَلَيْهِ صِفَةَ عُلَمَاءِهِمْ زَمَنَ الْغَيْبَةِ فَيَقُولُ : « فَعُلَمَاؤُهُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ خَرَسَ صَمْتٌ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ » إِشَارَةً إِلَى الْغَلْبَةِ الْعَالَمِيَّةِ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ ، وَهِيَ كُلُّ النِّظَامِ الْعَالَمِيِّ السِّيَاسِيِّ وَالْأَمْنِيِّ وَالثَّقَافِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ الْمَتَوَحَّشِ . النَّصُّ يَشِيرُ إِلَى السَّمَةِ الْعَامَّةِ لِلنِّظْمِ وَالْقَوَى وَهِيَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ

البشريّة . ثمّ يؤكّد أنّ هؤلاء لا يرتضون الصمت ، بل يعملون بكلّ جدّ لإقامة أمر الله تعالى فيقول : « منتظرون لدولة الحق » . وقد بيّن عليه السلام قبل قليل أنّ صفة المنتظرين أنّهم أتباع الشريعة ودعاة إلى الله ، يُصرّون على تحقيق الدولة الإلهيّة ، ولا يكلّون ، وإذا ألجأتهم قوى العالم إلى الضعف ، فإنّهم لا يرتضون ضعفاً ، بل يبنون قوتهم بجدارة وتمكّن حتى يُتمّ الله أمره . لذا قال عليه السلام عن صبرهم : طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم ، ويا شوقاهُ إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . وفي هذا الذيل الشريف يريد عليه السلام أن يخبرنا أنّ هذه الأمة الصابرة في آخر الزمن ، إنّما تعرفُ دينها باتباعها لعلمائها ونزولها على أمرهم ، فهم حملة الحديث ورواته وهم مركز بيان الحُجج ووجوه القيادة ، فافهم .

وعليه : الأخبار صريحةٌ جداً بغيبة المهدي عليه السلام وما يقع فيها من عناء وبلاء هائل على يد طغاة العالم ووحوش المال ومستبدة الغرائز والانحراف . فلا ترى إلا فسقا وفجوراً وحراماً وآثاماً ، فيكون هذا أكثر إيذاءً على أهل الإيمان الملتزمين أمر الله وأمر رسوله وأمر وليّه عليه السلام .

ثمَّ كعادة الأخبار تركَّز على ضرورة التزام الدِّين ، واتباع سبيل التُّقوى ، والنزل على أمر الشريعة كشرطٍ لازمٍ للمنتظرين وفق أمر الله تعالى . ففي رواية يمان التمار قال : « كُنَّا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوساً فقال لنا : إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة ، المتمسِّكُ فيها بدينه كالخارطِرِ للقتاد - ثمَّ أشار هكذا بيده - فأَيْكُمْ يُمسك شوكَ القِتَادِ بيده ؟؟؟!!! ثمَّ أطرق مليّاً ، ثم قال : إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة ، فليَتَّقِ اللهَ عبداً وليتمسِّكْ بدينه »^٦ .

لاحظ الخبر !!! يُؤكِّد طابع البلاء الهائل ، خاصَّةً على أهل الإيمان ، ثمَّ يشير إلى « شرطية الانتظار » الذي مدحته النصوص وأكَّدت على عظمة أهله ، وهو تقوى الله والالتزام بالدِّين . أي إقامة أمر الله في الحياة الفرديَّة والأسريَّة والجماعيَّة والاجتماع السياسي ، بل في كلِّ حقلٍ فيه حلالٌ وحرام . ومعلوم جيِّداً أنَّ الإسلام يستوعبُ النُّظُم القانونيَّة كافة في حياة الفرد والأُمَّة ، سواء في شأن مدني أو أُسري أو اجتماعي أو جنائي أو سياسي وما إلى ذلك .

وقد تكررَ هذا المعنى في كلِّ الطوائف التي سلَّطت الضوءَ على غيبة المهدي عليه السلام ، ففي رواية علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : « إذا فُقِدَ الخامسُ مِن وُلدِ السابعِ فاللهُ اللهُ في أديانكم ، لا يزيلكم عنها أحد ، يا بني إنه لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبةٍ حتى يرجع

^٦ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٥ - ٣٣٦

عن هذا الأمر مَنْ كان يقول به ، إنما هو محنةٌ من الله عزَّ وجلَّ امتحنَ بها خلقه ، ولو علمَ آباؤكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لا تَبْعُوهُ^٧»^٨.

إذاً : لا بدَّ من الغيبة ، فيما زمنها سيكون صعباً جداً وممتلاً بالبلاء وأنواع الإمتحان وسط عالمٍ تقوذة قوَى وأنظمة ومجتمعات شديدة التنكُّر للدين وأهله . ثمَّ يُؤكِّد أنَّ ضغط ذلك الزمان يكون شاملاً ، وينال من أهل الإيمان بقوةٍ ، على اعتبار أنَّ موثيق ومفاسد وبرامج حروب وعداء قوَى ذلك العالم تكون مسلطة بعنفٍ اتِّجاه أهل الإيمان . لذا يُحذِّر الإمام عليه السلام أهل الإيمان في ذلك الزَّمان فيقول : « الله الله في أديانكم لا يزيلكم عنها أحد » يريد بذلك القول : شرطُ الغيبةِ المعظمة عند الله تعالى أن تلتزموا دينكم وتمسَّكوا به فلا يزيلنكم عنه أحد . لاحظ تعابير النص !!! تؤكِّد أنَّ موثيق وقيم وأعراف ومشاريع ذلك الزَّمان تتعارض بشدَّةٍ مع أهل الإيمان ، فتعمل على إزالتهم عن دينهم عبر مشاريع الغرائز والثقافة والتربية المنحرفة فضلاً عن الموثيق والشَّرْع وأنماط القوة والعنف ، وسط هياكل تحفيز وإكراه هائلة الفعل والشمول .

وفي طائفةٍ ثالثة يُؤكِّد المعصوم عليه السلام على أمر الغيبة وجليل ما يقع فيها فيؤكِّد أنَّ ثقافة ذلك العالم تضرب بقوةٍ وعنف ، حتى أنَّها تدَّعي أنَّ

^٧ قال : فقلت : يا سيدي من الخامس من وُلد السابع ؟ فقال : يا بُني عقولكم تصغر عن هذا ، وأحلامكم تضيق عن حمله ، ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه .

^٨ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٦

شخصية المهدي عليه السلام أمرٌ وهمي وأنه لا وجود له ، أو أنه مات وهلك !!!
وتؤكد المتون أنّ أهل الإيمان يعانون من مضبطة أهل الضلال الذين لا
يتركون أمراً في ثقافة أو سياسية أو تربية أو اجتماع إلا ويزجون به في
معركة إسقاط العقيدة المهدوية . ففي رواية المفضل بن عمر قال : سمعت
أبا عبد الله عليه السلام يقول :

« أما والله ليغيبنَّ إمامكم سنيماً من دهركم . ولتمحصنَّ حتى يُقال :
مات ، قُتل ، هلك ، بأيِّ وادٍ سلك !!! »^٩ إشارة إلى الجرف الثقافي الهائل ،
وسط عالم طبع بيد أباطرة المال والغرائز والضلالة والأساطيل ، في ظلِّ
برامج ضخمة ومصوَّبة من قوى العالم الكافر والمنافق ، تريد استئصال أمرِ
المهدي عليه السلام وإلغاءه .

ثمَّ يصوِّر لنا أمرَ شيعته في ذلك الزمان فيؤكد أنّهم « المؤمنون » أي
الثابتون على دين الله ودين رسوله وأهل بيته عليهم السلام .

ثمَّ يُقسِّم هذا الصنف اثنين : فمنهم ثابتٌ على أمر الله ، متبع
شريعته ، لا يستوحشُ طريقَ الهدى لقلّة سالكيه . فهذا ناج وله فضلٌ مقدّس
عند الله تعالى . ومنهم من يقتفي الدنيا ويُفتش عنها ، فهذا هالكٌ في ضلاله
وأباطيله . لذا قال عليه السلام وهو يصفُ حال أهل الإيمان ومدى الإنشقاق الذي
يقع هادفاً استئصال من يتلزم أمرَ المهدي عليه السلام : « ولتدمعنَّ عليه عيونُ

^٩ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٦

المؤمنين ، ولتُكفَّانَ كما تُكفُّ السُّفُنُ في أمواج البحر ، فلا ينجو إلا مَنْ أخذ الله ميثاقَهُ وكتبَ في قلبه الإيمان ، وأيدَهُ بروح منه ^{١٠} .

وحاصلُهُ أنَّ المنتظرين هُم الثابتون على أمر الله تعالى ، وهم الفئة التي تخضُّهُم فِتْنُ الزَّمانِ وبلاياهُ وأهاويله وشهوَّاتُهُ فلا يختارون إلا الله ، وينزلون على شرعِهِ ، ويتَّخذون دينَهُ شعارهم ومسارهم .

ثمَّ يُوَكِّدُ عليه السلام طابعَ الأزْمانِ والفتنِ المتشابهةِ والراياتِ المختلفةِ والوجوهِ التي تغرقُ في بحرِ الدنيا فيقول عليه السلام : « ولترفعُنَّ اثنتا عشرة رايةً مشتبِهةً ، لا يُدرى أيُّ من أيِّ . قال الراوي : فبكِيت ثم قلت : فكيف نصنع ؟؟!! قال : فنظر عليه السلام إلى شمسٍ داخلَةٍ في الصَّفَةِ فقال : يا أبا عبد الله ، ترى هذه الشمس ؟؟؟؟ قلت : نعم . فقال عليه السلام : والله لأمرنا أبينُ من هذه الشمس ^{١١} . »

ومعناه أنَّ هجْمَةَ الإنحرافِ لا تكفي بالدعايةِ الهائلةِ على أمرِ المهدي عليه السلام وبنيةِ الدِّينِ بل تصرُّ على الإطاحةِ بأتباعِهِ وتعملُ للإيقاعِ بهم في لُججِ الحرامِ والآثامِ . والشيعَةُ آنذاك صنفان : صنفٌ اتَّقَى اللهَ واتَّبَعَ أمرَ وليِّهِ - وهو بيِّنٌ كضوءِ الشمسِ كما في الخبر - وقسمٌ يُفتتنُ بشهوةِ المالِ والسلطانِ والغرائزِ دون وجهِ اللهِ تعالى ، فيتَّبِعُ الراياتِ التي تدعو إلى الدنيا ،

^{١٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٦

^{١١} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٦

إلا قلة يثبتون على الحق، وتكون رايأتهم مشهورة في دعوتهم للمهدي عليه السلام، وناسها معروفين بدينهم والتزامهم أمر الله تعالى، فهؤلاء هم الذين يتعرّضون للأهويل والمجارف وجحيم الإختبارات، فيثبتون بصبر وأناة محتسبين ما يقع عليهم عند الله تعالى فيجزون الجزاء الأوفى، وفي رواية عمرو بن ثابت قال: قال علي بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام: «من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله عزّ وجلّ أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد»^{١٢}.

وعليه: صفة الإنتظار ملحوظة جداً في الأخبار. فيما المنتظرون لهم خصوصية شديدة، مركزها التزام الدين وإتباع الإسلام والقيام على نهج آل محمد عليه السلام.

أمّا المذموم إلى حدّ التهديد بالنار وغضب الجبار، فهو الخارج على أمر الله تعالى، التارك لدينه، الهاجر لسلطان وميثاق الثقلين، الفاعل للحرام، الساقط في الآثام، الداعي إلى الأباطيل، المساعد عليها، المهين لها، فهؤلاء لعنهم الله ورسوله والأئمة الميامين عليهم السلام.

أكثر من ذلك: تؤكد الأخبار طابع الأمة الملعونة وهي تشير إلى زمن الغيبة ولوازمها وظروفها. ثمّ تشرح بأنّ هذه الأمة تستحقّ اللعنة بخروجها عن أمر الله تعالى حتى يغيب حجّتهم من بين أيديهم، بل يمشي

^{١٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٣

في الأسواق فيراهم ولا يرونه ، وهو محتجب عنهم ، وذلك لأسباب كثيرة منها أنهم كرسوا سلطانهم وعسكرهم وموآثيقهم وبرامجهم ومظاهرهم على نحر الدين والطعن في الحجّة وما إلى ذلك . وفي رواية سدير الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إنَّ في صاحب هذا الأمر شبيهاً من يوسف عليه السلام . فقلت له : كأنك تذكر حياته أو غيبته ؟؟؟!!! (أي وكأنك تشير إلى أنَّ للمهدي عليه السلام غيبة ؟؟؟!!!) فقال عليه السلام : وما تنكر من ذلك هذه الأمة أشباه الخنازير !!!!!!!! إنَّ إخوة يوسف عليه السلام كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء تاجرُوا يوسف وباعوه وخاطبوه ، وهم إخوته وهو أخوهم . فلم يعرفوه حتى قال : أنا يوسف وهذا أخي . فما تنكر هذه الأمة الملعونة أن يفعل الله عزَّ وجلَّ بحجَّته في وقتٍ من الأوقات كما فعل بيوسف عليه السلام !!!!!!!! ثمَّ قال : إنَّ يوسف عليه السلام كان إليه ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً . فلو أراد أن يعلمه لقدر على ذلك . لقد سار يعقوب عليه السلام وولده عند البشارة تسعة أيامٍ من بدوهم إلى مصر . فما تنكر هذه الأمة أن يفعل الله عزَّ وجلَّ بحجَّته كما فعل بيوسف ، أن يمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم حتى يأذن الله في ذلك له كما أذن ليوسف . قالوا : ﴿ أئنك لأنت يوسف ؟!!!!!! ﴾ قال عليه السلام : أنا يوسف «^{١٣} .

لاحظُ ألفاظ الخبر !!!!! فإنها تُوكِّد ضرورة غيبة المهدي ، ثمَّ يوكِّد عليه السلام إنَّما ألجأه إلى ذلك أفعال هذه الأمة الملعونة ، فيقضي الله عليهم بغيبته

^{١٣} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٦ - ٣٣٧

عليه . ثم يُشير إلى قربه منهم ، فيسير في أسواقهم ، وبين سلكهم ، فيراهم ولا يرونه . وفي رواية عبيد بن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه يقول : « يفقد الناس إمامهم ، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه »^{١٤} تأكيداً منه على وجود الحجّة فيهم ، لكنّه مُغيّب عن أبصارهم^{١٥} . والأهم في المتون الواردة أعلاها تأكيداً لها لعن هذه الأمة حين خرجت على أمر الله تعالى .

وعليه : شرط الانتظار كعبادة يكمن في النزول على أمر الله وأمر أوليائه عليه ، واتباع موثيق الطاعة في الشؤون الفرديّة والجماعيّة ، في ذاته وأسرته وناسه وحياته الاجتماعيّة والسياسيّة والتربويّة والثقافيّة والماليّة وغيرها ، فمن فعل فهو ملتزمٌ أمر الله في كلّ شيء ، نازلٌ على شرطه ، متمسكٌ بحبله ، راكبٌ سفينة الثقلين ، وهذا الذي ينجيه الله ويكتبه في أعلى مقامات المنتظرين .

^{١٤} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٧ - ٣٣٨

^{١٥} وقد روى الشيخ الصدوق طائفة كبيرة من الأخبار في الحجّة وتخريجها ، منها : « تصديق قول الصادق جعفر بن محمد عليه حيث يقول : « الحجّة قبل الخلق ، ومع الخلق ، وبعد الخلق » ثم قال : ولو خلق الله عز وجل الخليفة خلواً من الخليفة لكان قد عرضهم للتلف ، ولم يردع السفيه عن سفهه بالنوع الذي تُوجب حكمته من إقامة الحدود وتقويم المفسد . واللحظة الواحدة لا تسوّغ الحكمة ضرب صفح عنها ، إنّ الحكمة تعمّ كما أنّ الطاعة تعمّ ، ومن زعم أنّ الدنيا تخلو ساعة من إمامٍ لزمه أن يصحح مذهب البراهمة في إبطالهم الرسالة ، ولولا أنّ القرآن نزل بأنّ محمداً ﷺ خاتم الأنبياء لوجب كون رسول في كل وقت ، فلمّا صحّ ذلك لارتفع معنى كون الرسول بعده وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل « كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤ . ثم قال في موضع آخر : « بين هذه الأمة الفاضلة خلفاء راشدين كما قال جل وتقدس : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٥] .

وتدور الأخبار مدار الطاعة كعنوان ثابت في عالم الإنتظار ،
وتصنّف المنتظرة على هذا النحو . وفي نفس الوقت تؤكد طابع البلاء
المتراكم : بلاء الأمم ، وكوراث الانحراف ، وضلالة شياطين الغرائز
والسلطان والثقافة والدعاية والأسواق .

بل لا نقرأ نصّاً إلا وفيه بيانٌ لشرط الإنتظار في قوم ينزلون على أمر
الله في عالم غارقٍ بالفساد والأضاليل ووحوش الدنيا وعبيدها ، فتقع الغيبة
والحيرة .

لذا نلاحظ المتون وهي تؤكد هذا الطابع من الحيرة ، وهذا معنّى
مركز في عالم آخر الزمان ، منها ما رواه الأصمغ بن نباتة قال :

« أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكراً ، ينكت في الأرض .
قلت : يا أمير المؤمنين مالي أراك متفكراً تنكت في الأرض ؟؟ أرغبة منك
فيها ؟؟!!

فقال عليه السلام : لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط . ولكني
فكرت في مولود يكون من ظهري ، الحادي عشر من ولدي ، هو المهدي
الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأت جوراً وظلماً ، تكون له غيبة
وحيرة ، يضل فيها أقوامٌ ويهتدي فيها آخرون .

فقلت : وإن هذا لكائن ؟؟؟!! فقال عليه السلام : نعم كما أنه مخلوق .
وأنى لك بهذا الأمر يا أصمغ (أي أمر يقع في آخر الزمان) .

ثم يبدأ عليه السلام في بيان فضل هؤلاء المنتظرين فيقول: « أولئك خيارُ هذه الأمة مع خيارِ أبرارِ هذه العترة . فقلت : ثمَّ ما يكون بعد ذلك ؟؟ فقال : ثم يفعل الله ما يشاء . فإنَّ له بداءات وإرادات وغايات ونهايات »^{١٦} .
 وخلاصةُ هذا الخبر الجليل أنَّه يُصِفُ المنتظرين « الصابرين » على أمر الله ، العاملين بمواثيقه ، المصرِّين على شرعه ودينه ، الموالين لأوليائه المعادين لأعدائه ، الذين لا يستحلُّون ما حرَّم ، ولا يحرِّمون ما أحل ، ثمَّ يصفهم بأنَّهم خيارُ هذه الأمة !!!!

إذاً : طبيعة آخر الزمان « مرگبة » على خليطٍ فظيعٍ من قوَى ومراكزٍ وهياكل أهل الباطل والمفساد ، بدءاً من المواثيق القانونيّة والأنظمة السياسيّة وبرامجها ، ومروراً بالأعراف والتقاليد والثقافة والاجتماع والهيكل ، وانتهاءً ببرامج التربية ومفاتيح الخصائص الفرديّة ومقاييسها ، بحيث يبدو العالم معها غارقاً في نفق الانحراف والفساد والظلم والأضاليل ، إلا قلة من أهل الإيمان يكونون هنا وهناك ، يُصرُّون على أمر الله وأمر أوليائه عليهم السلام ، تُرفَعُ لهم في لحظةٍ تاريخيّةٍ حاسمةٍ رايةٌ مركزيّةٌ في خراسان تُؤسِّسُ مجتمعها على أمر الله وتقوده على هذا النحو ، ويطير نفوذها هنا وهناك فتقوم راياتٌ فرعيّةٌ قليلة تدعو لأمر الله تعالى وحكومة الثقلين وسط عالمٍ غارقٍ في الآثام والحرام والفرعونيّة . ومعها ومع غيرها من الأشراف تبدأ مرحلة الهيكل الذي تتساقط عليه علامات الظهور .

^{١٦} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٨

خصوصية بلاء الغيبة وضرورة بذل كل الإمكانيات لحماية خيار الإسلام وتطبيقه

رَكَزَت الأخبارُ بدقَّةٍ وعمقٍ على أمر الغيبة وشخص غائبها وأتباعه وما يتمخض في ذلك العالم من ظواهر انحرافية ، وحكومات جور ، وثقافة إلحادية وإنكارية ، وتيارات ساخرة من أمر الدين وشخص المعصوم عليه السلام ، وما يقع في ذلك الزمان من انحراف فكري وتربوي وسياسي وأمني وأخلاقي يطال فيما يطال أهل التقى في صميم بيئتهم وشروط مجتمعهم .

منها أن بعض المتون كشفت عن ضغط الثقافة العالمية باتجاه شخص المهدي عليه السلام حيث تتكثف تيارات ضخمة تعمل على إجهاض فكرة المهدي من المحاضر القيمة في زمن الغيبة ، فمنهم من يقول لا وجود للمهدي ، ومنهم من يسفه هذا العنوان ، وآخر يدعي أنه مات وهلك في أيِّ وادٍ سلك ، وغيره يقول : مات العسكريُّ ولا ولد له وهكذا . وفي رواية زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إنَّ للغلام « غيبة » قبل أن يقوم ، وهو المنتظر ، وهو الذي يُشكُّ في ولادته ، منهم من يقول : مات أبوه بلا خلفٍ ومنهم من يقول : حمل . ومنهم من يقول : إنه وُلِدَ قبل موت

أبيه وهو المنتظر ، غير أن الله عزَّ وجلَّ يحب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة^{١٧} «^{١٨} .

إذاً : المتن يُركِّز على خليطٍ عنيفٍ في اللغة الثقافية وضغط مكثف في الدعاية ، فيما هناك وجوهٌ وتيارات تصرُّ على استئصال قضية المهدي عليه السلام من الحضارة الفكرية لعالم آخر الزمان . وعلى الأثر يُصوَّبُ على صفةٍ واقعةٍ مفادها : بلاءٌ وجهدٌ يُصيبُ أتباعَ المهدي عليه السلام ، وهو ناتجٌ عن المحنة الفكرية والثقافية والأخلاقية والسياسية والأمنية وغيرها التي يتشكَّل منها النظام العالمي في آخر الزمن ، وترسُّخ على هيكل متماسك من الجحود ومعارضة الدين ومناصرة الباطل بكلِّ معانيه . بتعبير آخر : البلاء الذي يصيب الشيعة مصدره انحرافُ العالم وفساده . ثمَّ هذا الخبر من جملة أخبار كثيرة تؤكِّد إصرار أتباع المهدي على التزام الدين والإنقياد للشريعة الإلهية رغم العناد والإضطهاد ومحاولات الإجتثاث التي تعمد إليها قوى كثيرة باتجاه شيعة المهدي عليه السلام .

ونقرأ تنبيهاً متكرراً من أهل البيت عليهم السلام حول موضوع الغيبة ، نفيًا للشبهات وحؤولاً دون التيارات الإلحادية والتشكيكية التي تتعاضم في آخر

^{١٧} ثم قال : قلت : جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيء تعمل ؟ قال : يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك ، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك ، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني . ثم قال : يا زرارة لا بد من قتل غلام بالمدينة ، قلت : جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياتي ؟ قال : لا ولكن يقتله جيش آل بني فلان يجيئ حتى يدخل المدينة ، فيأخذ الغلام فيقتله ، فإذا قتله بغيا وعدوانا وظلما لا يمهلون ، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله [

^{١٨} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٧

الزمن ، ففي رواية مفضل بن عمر قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده في البيت أناس ، فظننت أنه إنما أراد بذلك غيري . فقال : أما والله ليغيبن عنكم صاحب هذا الأمر (يعني المهدي عليه السلام) وليخملن هذا حتى يقال : مات ، هلك ، في أي وادٍ سلك !!!^{١٩} »

وهذا تكرارٌ خبري كثيراً ما ردّده أهل البيت عليهم السلام الذين ركزوا على أمر الغيبة بقوة ، وحذروا من جحدّها ، مؤكّدين على من يأتي في ذلك الزمان أنه صعبٌ مُستصعبٌ لما يقع فيه من سطوة أباطرة الفساد والانحراف وفراغة الضلال الذين يُشكّلون « وجه » النظام العالمي آنذاك ، ويُسيطرون على بنية الثقافة والإجتماع السياسي والمالي ، ويقودون أمماً وشعوباً في درب الأباطيل والأخلاقيات ، ويضغطون شتى الوسائل التنفيذية والدعائية لإبطال أمر الله تعالى ونسف الوجه الوجودي الذي يتجلّى بالقيم الفطرية التي تستوطن أصل التربة والذات الإنسانية . لذا تابع عليه السلام فقال :

« ولتُكفؤنَّ كما تُكفأ السفينة في أمواج البحر ، لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه ، وكتب الإيمان في قلبه ، وأيَّده بروح منه ، ولترفعنَّ اثنتا عشرة رايةً مشتبهة لا يُدرى أيُّ من أيِّ . قال مفضل بن عمر : فبكيت . فقال عليه السلام : ما يُبكيك يا أبا عبد الله ؟ فقلت : جعلت فداك كيف لا أبكي وأنت تقول : اثنتا عشرة رايةً مشتبهة لا يُدرى أيُّ من أيِّ !!!؟؟؟ قال : وفي مجلسه

^{١٩} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٨ - ٣٣٩

كوة تدخل فيها الشمس فقال عليه السلام: أبينه هذه؟؟؟ فقلت: نعم. قال عليه السلام:
أمرنا أبين من هذه الشمس»^{٢٠}.

وبهذا يُريد تأكيد طابع المحنة، مع قيام أمر الله وظهور بيناته وتمام حجته، ما يعني أنّ المشكلة ليست في المحمول الديني، ولا في الشرع الحنيف، ولا في القدرة على امتثاله ضمن الأطر، بل في المعاندين لأمر الله، ومن لا ملكة لهم في امتثال الخطاب الإلهي ومجاهدة النفس.

وهذا أيضاً من الطائفة التي تؤكد «صفة المنتظرين» على نحو من امتثال أمر الله تعالى وبذل الطاقات والإمكانات لحماية منطق الشرع الحنيف وتمكينه من الذوات والهيكل الإجتماعية والأخلاقية والثقافية والتربوية والسياسية والمالية والولائية وما إلى ذلك.

إذاً: الأخبار تؤكد ظاهرة الهجمة العنيفة على الدين وأهل الإيمان في آخر الزمان، بهدف نسف القيمة الاعتقادية والعملية للمشروع الديني بل حتى للقيم الفردية.

ومعي رواية شديدة العطف والرأفة من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يشير فيها واحدة من دفائن تقديره وعطفه لمؤمنني تلك اللحظة الحرجة جداً، ففي رواية أبي إسحاق السبيعي عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ممن يوثق به قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب على منبر الكوفة إلى

^{٢٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٨ - ٣٣٩

أن قال : « اللهم إِنَّهُ لا بدَّ لك من حجج في أرضك ، حجَّة بعد حجَّة على خلقك ، يهدونهم إلى دينك ، ويعلمونهم علمك كيلا يتفرَّق أتباع أوليائك : ظاهر غير مُطاع ، أو مُكتم يترقَّب ، إنَّ غابَ عن النَّاس شخصهم في حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديمٌ ماثوث علمهم ، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة ، فهم بها عاملون »^{٢١} .

أقول : هذه القطعة المقدَّسة تكشف لنا عميقَ حُبِّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لهؤلاء القوم الذين يكونون في آخر الزمن ، زمن غيبة المهدي عليه السلام ، فلا يرون شخصَ حجَّتهم ، ومع ذلك تراهم أكثرَ إيماناً وثباتاً وتمسكاً بأمر الله وأمر رسوله وأهل بيته عليهم السلام ، فلا يتعدون حدودَ الله أبداً .

الإمام علي عليه السلام يقول فيهم : « لم يغب عنهم قديمٌ ماثوث علمهم ، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة ، فهم بها عاملون »^{٢٢} ،

أي : مع كلِّ البلاءِ ورغم سلطانِ أهل الجور وفسادِ أهل الدنيا ترى هؤلاء المنتظرين مملوءين من علوم الله وشرعه وثقل نبيه وأهل بيته عليهم السلام ، وهذا كغيره من الأخبار المتواترة يُؤكِّد أنَّ شرعَ الله يظلُّ ظاهراً معروفاً حتى قيام الساعة ، وأنَّ المنتظرين في آخر الزمان يكونون على وزنٍ كبيرٍ من

^{٢١} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٩

^{٢٢} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٩

فهم وحمّل واعتقاد علوم الله ورسوله وأهل بيته عليه السلام. ثم يؤكّد عليه السلام الصفة السلوكية التي يُعرفون بها وهي أنهم « عاملون » بشرع الله ، لا يتعدّون حدودَ الله من قريبٍ أو بعيد .

لذا : المتون صريحةٌ في أنّ شرع الله يظلُّ في متناول يدِ الناس حتى قيام الساعة ، وذلك عبر قومٍ يقومون بالدين ويبيّنون أمرَ الله ويجاهرون به ويبثّونه حتى يحتجّ الله به على الأبيض والأسود . نعم مواطن العلم تنحسر بسبب اتّساع رقعة الفساد والانحراف العالمي . وفي النهاية : الخبرُ يريد أن يؤكّد أنّ قلةً يلتزمون الدين في عالمٍ مملوء ظلماً وجوراً وفساداً .

وفي هذا المعنى من حجة الله وفرض دينه وأعلام بيناته وانحسار رقعة العلم ومواطنه وصفة أهل الانتظار الممثلين صورة الأعمال على شرط الله وشرط رسوله وأهل بيته عليه السلام يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « ولهذا يارز العلم إذا لم يوجد له حملةٌ يحفظونه ويروونه ، كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه ، اللهم فإني لأعلم أنّ العلم لا يارز كُله ، ولا ينقطع مواده ، وإنك لا تُخلي أرضك من حجة لك على خلقك ، ظاهر ليس بالمطاع ، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم بل أين هم ؟ وكم هم ؟ أولئك الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً »^{٢٣} .

^{٢٣} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٩

نعم في هذا المتن تأكيدٌ من الإمام عليه السلام على صعوبة ذلك العالم وخطورته الكبرى ، فالإسلام وعلومه محسورة من رقعة العالم وكثير من ناسه ، بما فيه العالم الإسلامي ، بل تؤكد الأخبار تشكُّلَ حملةٍ عنيفةٍ تطال علوم الإسلام وأتباعها حتى من كثير من المسلمين ، أي من الدُّوَل الإسلاميَّة ، وسط سقوطٍ مثيرٍ لمُعظَم المسلمين في خانة الإنحراف واتِّباع الغرائز والمفاسد التي يبدو - بدليل الروايات - أنَّ الروم وغيرها تُشكِّل مركز القيادة فيها .

وعليه : قلةٌ أولئك الذين يُشكِّلون أهلَ الإيمان في آخر الزَّمن ، وهذا يتناسب مع الأخبار التي تحدَّثت عن غربة الإسلام ، وأنه يعود غريباً كما بدأ . ثم يعطفُ الإمام عليه السلام عليهم بطائفةٍ من أوصاف المدح لثقل ما يحملون وعظمة ما يعتنقون وكبير ما يتمسَّكون به رغم كفر ورَدَّة أهل الزمان آنذاك .

ويبدو أنَّ لأهل الإيمان صعوبات متتالية ، ففضلاً عن غربتهم في ذلك العالم ، فإنَّهم يُعانون من اختلاف الرايات وكثرة من يدَّعي الحقانيَّة ، حتى تتشابه الرايات في لحظةٍ ما ، رغم أنَّ الروايات صرَّحت مطلقاً أنَّ الحقَّ يكون كنور الشمس بيَّناً ، وأنَّ أمرَ من يدَّعون إلى مولانا المهدي عليه السلام وشرع الله أوضح من ضوء النهار .

إلا أنَّ أصل غيبة المهدي عليه السلام ثم اختلاف الرايات يُشكِّل بنفسه محلاً للاختبار القاسي الذي يحتاجُ إلى قلوبٍ مؤمنةٍ ووجوهٍ صادقةٍ لا

تأخذها بالله لومة لائم ، فمن وقف على أمر الله وصدق على شرطه كان من أولئك الذين أثبت لهم الأخبار أوصافاً مذهلة تدلُّ على رفعة مرتبتهم وكبير موقفهم وعظيم مشهدهم يوم القيامة . لكنَّ تلك الأخبار تقطعُ بفرقةٍ وشبهةٍ لا يرفعها إلا الدليل . وفي رواية معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنما نحن كنجوم السماء ، كلما غاب نجمٌ طلع نجم ، حتى إذا أشرتم بأصابعكم وملتم بأعناقكم ، غيَّبَ الله عنكم نجمكم ، فاستوت بنو عبد المطلب ، فلم يُعرف أيُّ من أيِّ ، فإذا طلع نجمكم فاحمدوا ربَّكم »^{٢٤} .

والمعنى المرَّكب ممَّا أوردناه في هذا الباب أنَّ حجَّةَ الله تعالى لا تنفى ، كما لا يمكن أن تُطمسَ بِنائتهُ ، فكلَّما غاب نجمٌ طلع آخر ، فإذا غاب المهديُّ رُوحى فداه ، كان كالشمس إذا حجبته الغيوم ، ثمَّ تسطعُ عينُ أنواره مع أوَّل ظهوره المبارك . نعم الأخبار تشير إلى صعوبة ذلك الزمن وخطورته البالغة ، حيث الدِّين مغرَّب ، والمؤمنون قلةٌ ، وأهلُ الباطل والجور يُشكِّلون رأسَ النُّظم السياسيَّة والإجتماعيَّة والأخلاقيَّة والثقافيَّة والتربويَّة والحربيَّة ، أي مزيداً من الفساد والتغريب والإضطهاد والأباطيل والانحراف . بحيث يتحوَّل العالمُ إلى أداة طيِّعة بيدِ الأبالسة من الأمم . وكذا هناك طائفةٌ أخرى تحدِّثنا عن عذاب المنتظرين جرَّاء فتن الزمان وغربة الدِّين وفرقة الرايات ، ففي رواية أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله

^{٢٤} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٨

عليه السلام : « كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين ، فيأرز العلم كما تأرز الحية في جحرها ، واختلفت الشيعة وسمي بعضهم بعضاً كذابين ، وتفل بعضهم في وجوه بعض ؟ قلت : جعلتُ فداك ما عند ذلك من خير ، فقال لي : الخير كله عند ذلك ، قالها ثلاثاً »^{٢٥} ، يريد بذلك أن ظهور المهدي عليه السلام يكون قريباً ، وأن هذا النحو من الاختلاف والشبهات يقع قبيل الظهور ، مع تأكيد المتون أن أهل الحق يعرفون بحقيقتهم وأن حجة الله آنذاك تكون أبين من نور الشمس . نعم في هذه المتون إشارة مُركزة على حدة الاختبار وقساوة ما يُلاقيه أهل الإيمان آنذاك . ثم على الأثر يكون ظهور قائم آل محمد ﷺ .

لذا نقرأ في الأخبارِ دموعاً ووجعاً من أصحاب الأئمة عليه السلام جرأ ما يُصيب أهل ذلك الزمان ، زمن الغيبة ، ولذا كان الأئمة عليه السلام يمهدون لنا ذلك الأمر ويربُّون القلوب على تحمُّل الغيبة وصعابها ، ففي رواية محمد بن مسلم قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها »^{٢٦} . وهو عليه السلام يريد تكريس هذه الفكرة وتداولها لساناً عن لسانٍ حتى تأنس القلوبُ بها ولا تكون ثقيلةً على أهل ذلك الزمن . لذا فرغَ عليه السلام من ضرورة الإيمان بها والتزام شرطها . وقد تواتر الخبرُ بغيبة المهدي ﷺ ووجوب التزامها بحقيقتها ، حتى أن النبي والآل

^{٢٥} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٠

^{٢٦} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٨ [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٤].

عليه شرطوا فيها الصبر على أهل الإيمان والعمل بأحكام الشرع والنزول على أمر الله في كل موطن وموقع ، وصرّحوا بضرورة السعي الدؤوب تهيئةً للظهور وانتظاراً له .

لذا : في طوائف كثيرة نقرأ من الإمام عليه استفتاحاً على أصحابه فيخبرهم بأمر المهدي عليه مؤكداً أنه يخرج في زمن يملاءه الجور والظلم والفساد ، وأن له غيبتين ، ثم يحذّرهم من اتباع الباطل ، ويثبتهم على شرع الله ومواثيق الإسلام .

وقد شكّل الحديث عن « الغيبة » أصلاً ثابتاً في إفراغ الرواية على أسماع الأصحاب ، حفظاً للآتي ، وتأكيذاً على ضرورة تمكين الذوات من الصبر على عظيم الإختبار ، انتظاراً لكبير حجة الله الذي يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً . ومهما قلّنا الأخبار وجدنا هذا المعنى الابتدائي من تأكيد المعصوم على أصل الغيبة ، ففي رواية عبيد بن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه قال : « للقائم غيبتان ، يشهد في إحداهما المواسم ، يرى الناس ولا يرونه »^{٢٧} ، وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه قال « لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة ولا بدّ له في غيبته من عزلة »^{٢٨} ،^{٢٩}

^{٢٧} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٣٩

^{٢٨} ثم قال : ونعم المنزل طيبة وما يتلّين من وحشة . وفي رواية إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه : للقائم غيبتان : إحداهما قصيرة والأخرى طويلة ، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه « [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٠]

^{٢٩} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٠

وكذا فيما لا يُحصَى من الأخبار ، وقد تحققت الغيبة الأولى ، وعليها تواتر الخبر ، وتلتها الغيبة الكبرى ، وها نحن في زمنها ، وبالعالمها ، نعاني ظلم الجبابرة وفساد المفسدين ، وباطل المبطلين ، وسط غربة للدين ، وظلم فادح يُطال المؤمنين ، فيا ربنا انظر إلينا نظرة رحمة بمحمد وآله الطاهرين .

ومهما يكن من أمر ، فإن الأخبار التي تعرّضت لزمن الغيبة أكّدت دوماً طابع الصعوبة الهائلة ، حتى عبّرت عن تلك اللحظة « الحرجة جداً » بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ﴿٣٠/٦٧﴾!!!! إشارة إلى ثقل عصر الغيبة وعظيم أثره وكبير محنته . وفي رواية علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ﴿٣٠/٦٧﴾ قال عليه السلام : « إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد!!!! »^{٣٠} ، إشارة مرّكزة إلى شدة ما يطال أهل الإيمان زمن الغيبة ، فضلاً عن فعل شياطين الإنس الذين يطيحون بالنظم ، ويفسدون أيّما فساد ، ويهجمون على أمر الله لإبطاله ، ضارين بيد ثابتة من الإنحراف في شتى نواحي العالم .

وعلى الأثر يتعرّض مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لبيان صعوبة زمن الإنتظار ، ثم يُعرّج لبيان عظمة هؤلاء المنتظرين وما يكون منهم ، إلا أنه

^{٣٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٠ * [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨١] . [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥١] .

يفتح تلك الخطبة ببيان حُجَّةِ الله وأعلامه في أرضه ، ففي رواية كنز العمال عن الأصبع بن نباتة قال : خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا وَلَا بَدَّ مِنْ رَحَى تَطْحَنُ عَلَى ضَلَالَةٍ وَتَدُورُ ، فَإِذَا قَامَتْ عَلَى قَلْبِهَا طَحْنَتْ بِحَدَّتَيْهَا ، أَلَا إِنَّ لَطَحْنِيهَا رَوْقًا ، وَرَوْقَهَا حَدَّتَيْهَا وَفَلَّهَا عَلَى اللَّهِ . أَلَا وَإِنِّي وَأَبْرَارُ عَتْرَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي أَعْلَمُ النَّاسَ صَغَارًا وَأَحْلَمُ النَّاسَ كِبَارًا ، مَعْنَى رَايَةَ الْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا مَحَقَ ، وَمَنْ لَزِمَهَا لِحَقَّ . إِنَّا أَهْلُ الرَّحْمَةِ ، وَبِنَا فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْحِكْمَةِ ، وَبِحُكْمِ اللَّهِ حُكْمُنَا ، وَبِعِلْمِ اللَّهِ عِلْمُنَا ، وَمِنْ صَادِقٍ سَمِعْنَا ، فَإِنْ تَبِعُونَا تَجَوْا ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْكُمْ اللَّهُ بِأَيْدِينَا ، بِنَا فَكَّ اللَّهُ رِبْقَ الذَّلِّ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ وَبِنَا يَخْتَمُ لَكُمْ ، وَبِنَا يَلْحَقُ التَّالِي ، وَإِلَيْنَا يَفِيءُ الْغَالِي ،

ثم قال :

فَلَوْلَا تَسْتَعْجَلُوا وَتَسْتَأَخِرُوا الْقَدْرَ لِأَمْرٍ قَدْ سَبَقَ فِي الْبَشَرِ لِحَدِيثِكُمْ بِشَبَابٍ مِنَ الْمَوَالِي وَأَبْنَاءِ الْعَرَبِ وَنَبَذِ مِنَ الشُّيُوخِ كَالْمَلْحِ فِي الزَّادِ وَأَقْلَ الزَّادِ الْمَلْحِ فِينَا مَعْتَبِرٌ ، وَلشِيعَتِنَا مَنْتَظَرٌ ،

وَأَيْمُ اللَّهِ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ أَنْ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ لَقَالَتْ طَائِفَةٌ : مَا أَكْذَبَ وَأَرْحَمَ ! وَلَوْ انْتَقَيْتَ مِنْكُمْ مِائَةَ قَلُوبِهِمْ كَالذَّهَبِ ثُمَّ انْتَخَبْتَ مِنَ الْمِائَةِ عَشْرَةَ ثُمَّ حَدَّثْتَهُمْ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ حَدِيثًا لَيْنًا لَا أَقُولُ فِيهِ إِلَّا حَقًّا وَلَا أَعْتَمِدُ فِيهِ إِلَّا صِدْقًا لَخَرَجُوا وَهُمْ يَقُولُونَ : عَلِيٌّ مِنْ أَكْذَبِ النَّاسِ . وَلَوْ

اخترتُ من غيركم عشرة فحدّثتهم في عدوّنا وأهل البغي علينا أحاديث
كثيرة لخرجوا وهم يقولون : عليٌّ من أصدق الناس ،

ثمّ قال :

هلكَ حاطبُ الحطب ، وحاصر صاحبُ القصب ، وبقيت القلوب
منها تقلّب ، فمنها مشغب ، ومنها مجذب ، ومنها مخصب ، ومنها مسيب ،
يا بني ، لیسرّ صغارُكم كباركم وليرأف كباركم بصغاركم ، ولا
تكونوا كالغواصة الجفافة الذين لم يتفقّهُوا في الدّين ، ولم يعطّوا في الله
محضَ اليقين ، كبيض بيض في أداحي ،
ويحّ لفراخ فراخ آلِ محمّدٍ من خليفة جبار عتريف مترفٍ مستخفٍ
بخلفي وخلف الخلف !

وبالله لقد علمتُ تأويل الرسالات ، وإنجاز العدات ، وتمام
الكلمات ، وليكوننّ من يخلفني في أهل بيتي رجلٌ يأمرُ بالله ، قويٌّ يحكم
بحكم الله ، وذلك بعد زمانٍ مُكلّح مُفضّح ، يشتدُّ فيه البلاء ، وينقطع فيه
الرجاء ، ويقبل فيه الرشاء

فعند ذلك يبعثُ الله رجلاً من شاطئ دجلة لأمر حزبه ، يحمله
الحقدُ على سفك الدماء ، قد كان في سترٍ وغطاء ، فيقتل قوماً وهو عليهم
غضبان ، شديد الحقد حران ، في سنة بختنصر ، يسومهم خسفاً ويسقيهم
كأساً ، مصيره سوط عذاب وسيف دمار ،

ثم يكون بعده هنات وأمور مشتبهات ،

إلا من شطّ الفراتِ إلى النجفاتِ باباً إلى الققططانياتِ ، في آياتِ
وآفاتِ متوالياتِ ، يحدثنَ شكّاً بعد يقينٍ ، يقوم بعد حينٍ ، يبني المدائنِ
ويفتحُ الخزائنِ ، ويجمع الأممِ ، ينفذها شخص البصرِ ، وطمح النظرِ ،
وعنت الوجوه ، وكشفت البال حتى يرى مقبلاً مدبراً ،

فيا لهفي على ما أعلم !:

رجب شهرٌ ذكرٌ ،

رمضان تمامُ السنينِ ،

شوّال يُشالُ فيه أمرُ القومِ ،

ذي القعدة يفتعدون فيه ،

ذو الحجّة الفتح من أوّل العشرِ ،

ألا إنّ العجبَ كلّ العجبِ بعد جمادى ورجب :

جمع أشتات ، وبعثُ أموات ، وحديثات هونات هونات ، بينهنّ

موتات ، رافعة ذيلها ، داعية عولها ، معلنة قولها ، بدجلة أو حولها ،

ألا إنّ منّا قائماً عفيفةً أحسابه ، سادةً أصحابه ،

يُنَادِي عند اصطلامِ أعداءِ اللهِ باسمِهِ واسمِ أبيهِ في شهرِ رمضانِ ثلاثاً

بعد هرج وفتالِ وضمكٍ وخبالِ وقيامِ من البلاءِ ،

على وإنّي لأعلمُ إلى مَنْ تُخرجُ الأرضُ ودائعَها وتسلمُ إليه

خزائنها ، ولو شئتُ أن أضربَ برجلي فأقول : أخرجني من هنا بيضاً

ودروعاً ،

كيف أنتم يا ابن هنات ، إذا كانت سيوفكم بأيمانكم مصلتات ، ثم
رملتم رمالات ، ليلة البيات ! ليستخلفن الله خليفةً يثبتُ على الهدى ولا
يأخذ على حكمه الرشى ، إذا دعا دعوات بعيادات المدى ، دامغات
للمنافقين ، فارجات على المؤمنين ، ألا إن ذلك كائنٌ على رغم الراغمين ،
والحمد لله رب العالمين »^{٣١}

أقول : لاحظ كيف أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تعرّضَ للمتظيرين
بأوصافٍ تدلُّ على عظيم ما يحملون وثقل ما يُلاقون ، فيثبتون على الأمر ،
مؤكداً أن الأمم تتلظى بالفتن والقتل والفساد والإبادة ، وأن الدنيا تنكّر بعد
إقبالٍ ، وأن أهل الزمان يجحدون ميثاق ربهم ، فتجيش الجيوش ، وتقع
ملاحم الموت حتى تأكل السباع من بطونهم ، وتشوي وجههم نار الحديد .

وعلى الأثر يشيرُ إلى قلة قليلةٍ من أهل ذلك الزمان ، هم
المنتظرون ، وهم شبابٌ من الموالى وأبناء من العرب ونبذ من الشيوخ قلة
قليلة ، شبّههم عليه السلام بالملح في الزاد ، وأقلّ الزاد الملح ، ليشير إلى قلتهم ،
ومع ذلك يثبتون على أمر الله ، وهم حملة الدين في آخر الزمان ، ومذيعو
الحجج ، ودعاة الله ، وناصرو دينه . ثم أعطاهم الوصف الذي توالى لسان
الخطاب على تعظيمه فقال عليه السلام : « ولشيعتنا منتظر » تأكيداً على هذا
الوصف وإبرازاً لمعنى الوظيفة التكليفية للمتظيرين . وقد تعرّض لها الإمام

^{٣١} كنز العمال - المتقي الهندي - ج ١٤ - ص ٥٩٢ - ٥٩٥

عليه السلام بيان وافر ليبرز طابع هؤلاء الإعتقادي ، الملتزم قانون الشريعة ، فهم أهل الدين والعاملون به زمن الغربة وطواحين الجور والفساد .

وبهذا نجد الأخبار تصف لنا هؤلاء المنتظرين على نحو من الإعتقاد مرة والتزام الوظيفة مرة أخرى ، فتؤكد أنهم المعتقدون العاملون بشرع الله ، المحافظون على دينه ، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم . وبهذا استحقوا أعظم الصفات ، حتى أنك تجد أمير المؤمنين عليه السلام بل النبي المصطفى ﷺ يحن إليهم ويتودد لهم ويعطف عليهم جرأ ما يقومون به في آخر الزمان . وقد أشرنا إلى طرف من هذه الأخبار وسنشير إلى طوائف أخرى في هذا المعنى وغيره في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

غيبه المهدي ﷺ من غيبة الأنبياء ﷺ
الغيبه سنه من سنن الله في أنبياءه وأوصيائه ﷺ

مما لا شك فيه أن غيبه المهدي ﷺ محنة عظيمة تحتاج إلى أناة وصبر وتسليم إلهي ، وهي ليست الغيبه الوحيدة بهذا النحو ، لأن جملة من الغيبات الكبرى جرت مع الأنبياء والأولياء ﷺ ، وبعضها تم منذ أزمان غابرة جداً وما زال تاماً حتى الآن مثل غيبه الخضر ﷺ وطول عمره الأكبر ، وكذا مثل غيبه المسيح ﷺ التي ما زالت محققة حتى الآن وستظل كذلك باتفاق رواية السنة والشيعه حتى ظهور المهدي ﷺ ، فهو الذي ينزله الله تعالى بعد ظهور المهدي وهو الذي يصلي خلف المهدي ﷺ باتفاق الأخبار .

ومن يتتبع غيبه جملة من الأنبياء والأولياء ﷺ يجدها سنه إلهية سكتها الله تعالى في هذا الخلق وهذه المسيرة الطويلة لأمر يريد ، فضلاً عن أنها واحدة من العلامات على ما سيجري في آخر الزمن مع المهدي ﷺ فثبت بها الله قلب المنتظرين .

وقد تعرّض علماءنا القدماء الأبرار قدّس الله سرّهم لبيان غيبة الأنبياء وظروفها ومُدَدِها وما إلى ذلك ، في حين بعضهم سرّد هذه الغيبات كإشارة على سنن الله تعالى في خلقه ، والتي منها غيبة المهديّ عليه السلام ، ومَن بين تلك الكتب كتاب العلامة الأجل الشيخ الصدوق وما ذكره في كتابه كمال الدين وتمام النعمة ، وقد ذكر في مقدّمته قصّة حوار مع شخص آخر مفادها أنه : « بينا هو يحدثني ذات يوم إذ ذكر لي عن رجلٍ قد لقيه ببخارى من كبار الفلاسفة والمنطقيين كلاماً في القائم عليه السلام قد حيّره وشكّكه في أمره لطول غيبته وانقطاع أخباره ، قال : فذكرت له فصولاً في إثبات كونه عليه السلام ورويت له أخباراً في غيبته عن النبيّ والأئمة عليهم السلام سكّنت إليها نفسه ، وزال بها عن قلبه ما كان دخل عليه من الشكّ والارتياب والشبهة ، وتلقّى ما سمعه من الآثار الصحيحة بالسّمع والطاعة والقبول والتسليم ، وسألني أن أصنّف في هذا المعنى كتاباً ، فأجبتّه إلى ملتصقه ووعده جمع ما ابتغى إذا سهّل الله لي العود إلى مستقري ووطني بالري .

قال : فيينا أنا ذات ليلة أفكّر فيما خلّفت ورائي من أهل وولد وإخوان ونعمة إذ غلبني النوم فرأيت كأنني بمكّة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا في الشوط السابع عند الحجر الأسود أستلمه وأقبله وأقول : « أمانتي أدّيتهام وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة » فأرى مولانا القائم صاحب الزمان صلوات الله عليه واقفاً بباب الكعبة ، فأدنو منه على شغل قلب وتقسّم فكر ، فعلم عليه السلام ما في نفسي بتفرّسه في وجهي ، قال : فسلمتُ

عليه فردَّ عليَّ السلام ، ثم قال لي : لِمَ لا تُصنِّف كتاباً في « الغيبة » حتى تكفي ما قد همَّك ؟ فقلت له : يا ابن رسول الله قد صنَّفتُ في الغيبة أشياء ، فقال عليه السلام : ليس على ذلك السبيل آمرك أن تُصنِّف ، ولكن صنِّف الآن كتاباً في الغيبة واذكر فيه غيبات الأنبياء عليهم السلام .. قال : ثم مضى صلوات الله عليه ، فانتبهت فزَعاً إلى الدعاء والبكاء والبثِّ والشكوى إلى وقت طلوع الفجر ، فلما أصبحتُ ابتدأتُ في تأليف هذا الكتاب ممثلاً لأمر وليِّ الله وحقَّته عليه السلام ، مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ومستغفراً من التقصير ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب ^{٣٢} .

وقد بذل علماءنا الأجلاء في هذا السبيل الكثير من التدوين والمقارنة والشرح لبيان أمر الله تعالى في خلقه . ولقد تعرَّض أمرُ الغيبة إلى كثيرٍ من التشويش من العباسيين والنواصب وغيرهم ممَّن لا يرى لأهل البيت موقع الثقل الثاني في حجَّة الله تعالى ، فيما آخرون ضلُّوا في هذه المتاهة لقلَّة علومهم ويقينهم ومعرفتهم بسُنن الله تعالى ، وفي هذا المعنى يقول الشيخ الصدوق : « ولقد كلَّمني رجلٌ بمدينة السلام (بغداد) فقال لي : إنَّ الغيبة قد طالت ، والحيرة قد اشتدَّت ، وقد رجع كثيرٌ عن القول بالإمامة لطول الأمد ، فكيف هذا ؟ فقلت له : إنَّ سنة الأولين في هذه الأمة جاريةٌ حذو النعل بالنعل كما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في غير خبر ، وأنَّ موسى عليه السلام ذهبَ إلى ميقات ربِّه على أن يرجع إلى قومه بعد ثلاثين ليلةً

^{٣٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣ - ٤

فَأَتَمَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَشْرَةٍ ، فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَلَتَأْخُرُهُ عَنْهُمْ فَضْلَ
عَشْرَةِ أَيَّامٍ عَلَى مَا وَاَعَدَّهُمْ اسْتَطَالُوا الْمُدَّةَ الْقَصِيرَةَ وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَفَسَقُوا
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَنْ أَمْرِ مُوسَى ﷺ ، وَعَصَوْا خَلِيفَتَهُ هَارُونَ ،
وَاسْتَضَعَفُوهُ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ ، وَعَبَدُوا عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ . وَقَالَ السَّامِرِيُّ لَهُمْ : « هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى » وَهَارُونَ يَعِظُهُمْ
وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ وَيَقُولُ : « يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ
فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي . قَالُوا : لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى » وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسْفًا قَالَ : بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ
بَعْدِي !!!!! أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ !!!!! وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ .. وَالْقِصَّةُ فِي ذَلِكَ
مَشْهُورَةٌ^{٣٣} . ثُمَّ قَالَ : فَلَيْسَ بِعَجِيبٍ أَنْ يَسْتَطِيلَ الْجَهَّالُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَدَّةَ
غَيْبَةِ صَاحِبِ زَمَانِنَا ﷺ وَيَرْجِعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَمَّا كَانُوا دَخَلُوا فِيهِ بِغَيْرِ أَصْلِ
وَبَصِيرَةٍ ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ
﴿١٦/٥٧﴾^{٣٤} »

^{٣٣} قد أخبرنا في قصة موسى ﷺ أنه كان له شيعة وهم بأمره عارفون وبولايته متمسكون ولدعوته منتظرون قبل إظهار
دعوته ، ومن قبل دلالته على نفسه حيث يقول : " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان ،
هذا من شيعة وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعة على الذي من عدوه " . [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ
الصدوق - ص ٢٨ - ٢٩] .

^{٣٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦ - ١٧

على أن أمر الغيبة متواتر ، ولسان الأخبار فيه أكثر من أن يُحصَى ،
والغيبة كما تَمَّتْ مع المهديِّ عليه السلام ، فقد وقعت مع كثيرٍ من الأنبياء
والأولياء ، بل بعضها أعجب ممَّا جرى ويجري مع مولانا المهديِّ عليه السلام ،
فالحضرُ عليه السلام ما زالَ حيًّا منذ زمنٍ لا يُحصَى ، وعُمُرُ لا يفنى إلا بشرطِ الله
في أجله يقع في آخر الزمان وبعد الظهور .

وإدريسُ النبيُّ عليه السلام غابَ في السماءِ وهناك تمَّ قبضُهُ ،
والمسيحُ عليه السلام ما زالَ في السماء منذ أزمانٍ طالت ، فلم يغيَّر ذلك من حقيقة
أنهم حُجِّجُ الله تعالى ، بل مع غيبة النبيِّ أو المعصوم لا يرفعُ اللهُ الحججَ ،
بل يُبقيها ويجلِّها ، وقد شهَرَ الأعلام ، وبَيَّنَ البَيِّنات ، وأصَلَ خطابَ
التكليف .

كما أن أمر الغيبة مشهورٌ في هذه الأمة ، فهي من أوَّل أمرها
اعتقدت غيبة المسيح العجبية .

بل تجذَّرَ هذا الاعتقاد في مذاهب كثيرة لشدة تواتر أمر الغيبة ،
لكنَّ قوماً حرفوها عن معناها الحقيقي ولَبَّسوها غيرَ المهديِّ عليه السلام ، فأهلُ
السنة مثلاً يعتقدون الغيبة في الدجال ويقولون أنه حيٌّ منذ زمن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسيظلُّ حيًّا حتى يخرج في زمن المهديِّ بآخر الزمان . في حين
اعتقدت الكيسانية أنَّ محمَّد ابن الحنفية هو المهدي !! وأنه ما مات بل
غاب ، وقد عاد الكثيرُ منهم فاعتقدوا الإمامة على شرط الله تعالى وقالوا

بحقيقتها ، ومن هؤلاء السيد الحميري الشاعر الأشهر^{٣٥} ، وفي رواية حيان السراج قال : سمعت السيد بن محمد الحميري يقول :

« كنت أقول بالغلو ، وأعتقدُ غيبة محمد بن علي بن الحنفية - قد ضللتُ في ذلك زماناً ، فمنَّ الله عليَّ بالصادق جعفر بن محمد عليه السلام وأنقذني به من النار ، وهداني إلى سواء الصراط ، فسألته بعدما صحَّ عندي بالدلائل التي شاهدتها منه أنه حجَّةُ الله عليَّ وعلى جميع أهل زمانه وأنه الإمامُ الذي فرضَ الله طاعته وأوجبَ الاقتداءَ به ، فقلت له : يا ابن رسولِ الله ، قد روي لنا أخبارٌ عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحَّة كونها ، فأخبرني بمن تقع ؟ فقال عليه السلام : « إنَّ الغيبة ستقع بالسادس من ولدي ، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أولُّهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائمُ بالحقِّ بقيَّةُ الله في الأرض وصاحبُ الزمان . ثمَّ قال : قال صلى الله عليه وآله : « والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^{٣٦} .

^{٣٥} وفي هذا يقول الشيخ الصدوق : « وقد غلَّطت الكيسانية حتى ادَّعت هذه الغيبة لمحمد بن الحنفية - قدس الله روحه - حتى أن السيد بن محمد الحميري رضي الله عنه اعتقد ذلك ، فلم يزل السيد ضالاً في أمر الغيبة يعتقدونها في محمد بن الحنفية حتى لقي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ورأى منه علامات الإمامة وشاهد فيه دلالات الوصية ، فسأله عن الغيبة ، فذكر له أنها حقٌّ ولكنها تقع في الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام وأخبره بموت محمد بن الحنفية وأن أباه شاهدَ دفنه ، فرجع السيد عن مقاله واستغفر الله من اعتقاده ورجع إلى الحق عند انصاحه له ، ودان بالإمامة « [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢ - ٣٣] .

^{٣٦} وفي الرواية عن محمد بن مسلم الثقفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا فقد الناس الإمام مكثوا سبباً (أي مدة من الزمن) لا يدرون أيا من أي ، ثم يظهر الله عز وجل لهم صاحبهم » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٠ - ١٦١] .

قال السيد : فلما سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمد
 ؑ تبتُ إلى الله تعالى ذكره على يديه ، وقلت قصيدتي التي أولها :

فلما رأيتُ الناسَ في الدينِ قد غووا *
 تجعفرتُ باسمِ اللهِ فيمنِ تجعفروا ،
 وناديتُ باسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ ،
 وأيقنتُ أن يعفوَ ويغفرُ ،
 ودنتُ بدينِ اللهِ ما كنتُ ديناً به ،
 ونهاني سيّدُ الناسِ جعفرُ ،
 فقلتُ : فهبني قد تهوّدتُ برهةً ،
 وإلا فديني دينُ من يتنصرُ ،
 وإني إلى الرحمنِ من ذاك تائبُ
 إني قد أسلمتُ واللهُ أكبرُ ،
 فلستُ بغالٍ ما حييتُ وراجعُ
 إلى ما عليه كنتُ أخفي وأظهرُ ،
 ولا قائلِ حي برضوى محمد
 وإن عاب جهّالٌ مقالي وأكثروا ،
 ولكنه ممّن مضى لسبيله
 على أفضلِ الحالاتِ يقفي ويخبرُ ،
 مع الطيبين الطاهرينِ الأولى لهم

من المصطفى فرغ زكي وعنصر^{٣٧} «^{٣٨}

وهذه وغيرها تشير إلى رسوخ الاعتقاد بالغيبة وتجنُّدُها ، وإنَّ تمَّ تلبسها مرَّةً لفلان ومرَّةً لفلان ، في حين الأخبار النبويَّة متواترة بل مُطبَّقة في غيبة المهدي عليه السلام ، على أنَّ العقيدة الإسلاميَّة صريحةً بشدَّةٍ واتِّقانٍ في وقوع الغيبات النبويَّة الإعجازيَّة . بل تبدو هذه الغيبات على شكل سَكَّةٍ بل سَنَّةٍ ضاربة منذ أوَّل الخليقة وقائمة على ساقها .

أول تلك الغيبات : غيبة النبي إدريس

وأوَّلُ الغيبات تلك : « غيبةُ النبي إدريس عليه السلام المشهورة ، حتى آلَ الأمر بشيعته إلى أن تعذَّرَ عليهم القوتُ وقتلَ الجبارُ مَنْ قتل منهم ، وأفقر وأخاف باقيتهم ، ثم ظهرَ عليه السلام فوعدَ شيعته بالفرج وقيام القائم من وُلديه ، وهو نوحٌ عليه السلام ، ثم رفعَ اللهُ عزَّ وجلَّ إدريس عليه السلام إليه ، فلم تنزل الشيعةُ تتوقَّع قيامَ نوح عليه السلام قرناً بعد قرن ، وخلفاً عن سلفٍ ، صابرين من الطواغيت على العذاب المهين حتى ظهرت نبوة نوح عليه السلام »^{٣٩} .

غيبة نوح

وقد ظهرت نبوة نوح بعد قرون ، وذلك ليتمَّ اللهُ أمره ، فنادى بعبادة الله تعالى وأمر قومه أن يتركوا الطاغوت والمفاسد ، فظلموا عليها عاكفين ،

^{٣٧} إلى آخر القصيدة ، وهي طويلة .

^{٣٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣ - ٣٤

^{٣٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٢٧

إلا قلة ممن آمنوا . وعلى الأثر طالت المحنة نوحاً ومن آمن معهم في زمن
كان يحكمه الجبارون .

فلما سارعت شيعة نوح إليه يتوسلونه أن يهلك القوم الظالمين ، لم
يستعجل الله لاستعجال خلقه ، بل أتمَّ الحجَّةَ ، ليحي من حيى عن بينة ،
ويهلك من هلك عن بينة .

وفي قصة نوح عليه السلام على هذا النحو أكبر الدروس للخلق ،
وأعمقها ، وأدلتها على ضرورة النزول على أمر الله والتسليم المطلق له ، ففي
رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام :
« لما أظهر الله تبارك وتعالى نبوة نوح عليه السلام وأيقن الشيعة بالفرج ، اشتدَّت
البلوى ، وعظمت الفرية ، إلى أن آل الأمر إلى شدَّةٍ شديدة ، نالت الشيعة
ووصلت إلى حد الوثوب على نوح بالضرب المبرح ، فجرى الدم من أذنه ،
وذلك بعد ثلاثمائة سنة من مبعثه ، وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلاً ونهاراً
فيهربون ، ويدعوهم سرّاً فلا يجيبون ، ويدعوهم علانيةً فيؤلّون ، فهم بعد
ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم ، وجلس بعد صلاة الفجر للدعاء ، فهبط إليه
وفد من السماء السابعة وهم ثلاثة أملاك فسلموا عليه ، ثم قالوا له : يا نبيَّ
الله لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : تؤخِّر الدعاء على قومك فإنها أولُّ
سطوةٍ لله عز وجل في الأرض .

قال عليه السلام : قد أخرت الدعاء عليهم ثلاثمائة سنة أخرى ، وعاد
إليهم فصنع ما كان يصنع ، ويفعلون ما كانوا يفعلون حتى إذا انقضت

ثلاثمائة سنة أخرى وَيُثَسِّمُ مِنْ إيمانهم ، جلسَ في وقت ضحى النهار
للدعاء فهبطَ عليه وفدٌ مِنَ السماء السادسة ، وهم ثلاثة أملاك ، فسَلَّمُوا
عليه ، وقالوا : نحن وفدٌ مِنَ السماء السادسة خرجنا بكراً وجئناك ضحوةً ،
ثم سألوهُ مثل ما سأله وفدُ السماء السابعة ، فأجابهم إلى مثل ما أجاب
أولئك إليه .

وعاد عليه السلام إلى قومه يدعوهم فلا يزيدهم دعاؤُهُ إلا فراراً ، حتى
انقضت ثلاثمائة سنة تتمَّة تسعمائة سنة ، فصارت إليه الشيعةُ وشكوا ما
ينالهم مِنَ العامة والطواغيت ، وسألوه الدعاء بالفرج ، فأجابهم عليه السلام إلى
ذلك ، وصَلَّى ودعا .

فهبط جبرائيل عليه السلام فقال له : « إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى أجابَ دعوتك
فَقُلْ للشيعة : يَا أَكْلُوا التمرَ وَيَغْرَسُوا النَّوَى وَيَرَاعُوهُ حَتَّى يثمرَ ، فَإِذَا أَثْمَرَ
فَرَّجْتُ عَنْهُمْ .

فحمد الله وأثنى عليه ، وعرفَّهم ذلك ، فاستبشروا به ، فأكلوا التمر
وغرسوا النَّوَى ورَاعُوهُ حَتَّى أَثْمَرَ ، ثم صاروا إلى نوح عليه السلام بالتمر وسألوه
أَنْ يُنْجِزَ لَهُم الوعدَ ؟

فسأل الله عزَّ وجلَّ في ذلك . فأوحى اللهُ إليه قُلْ لَهُمْ : كُلُّوا هَذَا
التمرَ وَأَغْرَسُوا النَّوَى ، فَإِذَا أَثْمَرَ فَرَّجْتُ عَنْكُمْ .

قال : فَلَمَّا ظَنُّوا أَنَّ الخلفَ قد وقع عليهم ، ارتدَّ منهم الثلث ، وثبت
الثلثان . فأكلوا التمرَ وغرَسُوا النَّوَى حَتَّى إِذَا أَثْمَرَ أَتَوْا بِهِ نوحاً عليه السلام فَأَخْبَرُوهُ

وسألوه أن يُنجزَ لهم الوعد ، فسألَ اللهُ عزَّ وجلَّ في ذلك ، فأوحى اللهُ إليه قُلْ لهم : كُلُوا هذا التمر ، واغرسوا النوى . قال : فارتدَّ الثلثُ الآخر ، وبقي الثلث ، فأكلوا التمر وغرسوا النوى ، فلَمَّا أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام ثمَّ قالوا له : لم يبقَ مِنَّا إلا القليل ونحن نتخوَّفُ على أنفسنا بتأخير الفرج أن نهلك ، فصلَّى نوحٌ عليه السلام ثمَّ قال : يا ربِّ لم يبقَ مِن أصحابي إلا هذه العصاة ، وإني أخافُ عليهم الهلاك إن تأخَّرَ عنهم « الفرج » ، فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه : قد أجبتُ دعاءَكَ ، فاصنع الفلک . ثمَّ قال عليه السلام : وكان بين إجابة الدعاء وبين الطوفان خمسون سنة ^{٤٠} .

لاحظ !!! أبى اللهُ تعالى إلا أن يُتِمَّ أمره في خلقه ، وفق سننٍ هو يعرفها ونحن نجهلها ، فأرجأ دعاءَ نبيِّه قروناً ، ولمَّا انتهى الأمرُ إلى بناء السفينة أرجأ نزول العذاب خمسين سنة .

والأهم أن ما بين إخبارِ إدريس النبي عليه السلام شيعةً بالمنتظر من ولده وهو نوحٌ الذي سينال من الجبارين مرَّت قرون ، والمؤمنون ينتظرون ، فمنهم من ثبت على دينه بيقينٍ لم يزلزله شيء ، مسلماً تسليماً ، ومنهم من ضعف دينه وانكشف شكُّه ، وظهر بطلانه ، فلم يُسلم لله بل أنكرَ عليه . ثمَّ بعد قيام نوح عليه السلام أخذَ اللهُ عليه قروناً في الدعاء والتبليغ والصبر والأناة قبل إنزال العذاب .

^{٤٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٣٣ - ١٣٤

ونحن الآن في حال غيبة مولانا الإمام المهدي عليه السلام وقد مرّت عليها قرون ، فمن ثبت فإنما يثبت على أمر الله ، ومن زلّ فإنما يزلّ على نفسه ويقع عليها . وما غيبة المهديّ بأعجب من غيبة الخضر أو المسيح ، فمن أنكر فإنما ينكر على نفسه ، وحالُه حال من ارتدّ عن دين المسيح عليه السلام بعد أن أصدده الله إلى السماء .

على أنّ أمر الله تعالى جارٍ على شرط الحجّة في الأمم ، فلا تخلو الأرض من حُجَجٍ بَيِّنَاتٍ وعلامات ظاهرات مهما تقلّبت الوجوه واختلفت الألسن ، وفي رواية عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « عاش نوحٌ بعد النزول من السفينة خمسين سنة ، ثمّ أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له : يا نوح قد انقضت نبوتك ، واستكملت أيامك ، فانظر الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة التي معك ، فادفعها إلى ابنك « سام » ، فإنني « لا أترك الأرض إلا وفيها عالمٌ تُعرف به طاعتي » ويكون نجاةً فيما بين قبض النبي ومبعث النبي الآخر ، ولم أكن أترك الناس بغير حجّةٍ وداعٍ إليّ ، وهادٍ إلى سبيلي ، وعارفٍ بأمرِي ، فإنني قد قضيتُ أن أجعل لكلِّ قومٍ هادياً ، أهدي به السعداء ، ويكون حجّة على الأشقياء .

قال : فدفع نوح عليه السلام الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة إلى ابنه سام .

فأما حام ويافث ، فلم يكن عندهما علم ينتفعان به .
 قال : وبشّرهم نوحٌ عليه السلام بـ « هود » وأمرهم باتباعه ، وأن يفتحوا
 الوصية كل عام فينظروا فيها ، ويكون عيداً لهم كما أمرهم آدم عليه السلام .
 قال : فظهرت الجبرية في ولد حام ويافث ، فاستخفى ولد سام بما
 عندهم من العلم (بسبب المظلومية والقهر من الجابرة) ، وجرت على سام
 بعد نوح الدولة لحام ويافث ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
 الْآخِرِينَ ﴾ (٧٨/٣٧) يقول عليه السلام : تركت على نوح دولة الجبارين . ويعز الله
 محمداً عليه السلام بذلك (في الآخرين) .

قال : ووُلد لحام السند والهند والحبش ، ووُلد لسام العرب والعجم .
 وجرت عليهم الدولة . وكانوا يتوارثون الوصية عالم بعد عالم حتى بعث الله
 عز وجل هوداً عليه السلام «^{٤١} .

ومعنى هذا أن الله تعالى لا يترك الأرض بلا حجة ولا بينات مهما
 طال الزمن وكرت القرون ، كما لا يعجل الله تعالى لعجلة خلقه ، بل لا بد
 لأمره أن يتم وفق مشيئته .

وقد أخبرنا النبيُّ والأولياءُ عليهم السلام أن حجة الله باقية ، وبيناته ظاهرة ،
 وأعلامه ساطعة ، وأن المهديَّ رغم غيبته يرى الخلق ولا يرونه ، وإذا رآوه
 لم يعرفوه ، وهو يمشي في سككهم وبين دُورهم ويقطع شرق الأرض
 وغربها ، فيما بينات الله وشرعُهُ زاد قوم علماء يحملونه في صدورهم

^{٤١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٣٤ - ١٣٥

ودواوينهم ، ويُقيمونه حجةً على الخلق ، ويملكون من الدليل ما يُعجز العقول ويلزمها ، وتكثر أعلامُ الله وتتعدد آياته التي يحتجُّ بها على الخلق في آخر الزمان ، فمن عقيل أمين ، ومن تكبر هلك^{٤٢} .

وعليه : الإنتظار واحدٌ من أكبر معاني الطاعة وهو وصيةُ الأنبياء كما روينا عليك ، بل تذكر الأخبار أنَّ وصيةَ إدريس عليه السلام لشيعةِ المؤمنين كانت بانتظار نوح ، فانتظروا قروناً حتى بعث الله نوحاً . فمنهم من ثبت على أمر الله ففاز ، ومنهم من ضلَّ فهلك مخزياً .

انتظار هود

وكذا قصةُ نوح وشيعته بخصوص هود ، فمنهم من لم يتعجل أمرَ الله وأحسن الطاعة على كلِّ حال ، ومنهم من تعجل وأنكرَ فنالهُ الخسران المبين . وفي رواية علي بن سالم عن أبيه قال : قال الإمام الصادق عليه السلام : « لَمَّا حَضَرَت نوحاً عليه السلام الوفاةُ ، دعا الشيعة فقال لهم : اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبةٌ ، تظهر فيها الطواغيت ، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ يُفرِّج عنكم بالقائم من وُلدي ، اسمه « هود » ، له سمتٌ وسكينة ووقارٌ ، يشبهني في خلقي وخلقي ، وسيهلكُ الله أعداءكم عند ظهوره بالريح .

^{٤٢} وفي رواية المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أقرب ما يكون العباد من الله عز وجل وأرضى ما يكون عنهم إذا فقدوا حجة الله ، فلم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه ، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجج الله عز وجل ولا بيناته ، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً ، وإن أشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجته فلم يظهر لهم ، وقد علم أن أولياءه لا يرتابون ، ولو علم أنهم يرتابون ما غيب عنهم حجته طرفة عين ، ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٩] .

قال : فلم يزالوا يترقبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره حتى طال عليهم الأمد ، وقست قلوبُ أكثرهم ، فأظهر الله نبيَّهُ هوداً عليه السلام عند اليأس منهم ، وتناهي البلاءُ بهم ، وأهلك الأعداء بالريح العقيم التي وصفها الله تعالى فقال : ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ ﴾ (٤٢/٥١) ،

قال عليه السلام : ثم وقعت الغيبة به بعد ذلك ، إلى أن ظهر صالح عليه السلام «^{٤٣} .

وهكذا : نرى غيبةً بعد غيبةٍ وسط حجج الله وبيِّناته التي لا تغيب ولا تقطع خطابها وأعلامها عن أهل الأرض وعقولهم . وفي رواية عبد الحميد بن أبي الديلم ، عن الصادق عليه السلام قال : « لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُودًا عليه السلام أَسْلَمَ لَهُ الْعَقَبُ مِنْ وُلْدِ سَامٍ . وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَقَالُوا : مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً !!! فَأَهْلِكُوا بِالرِّيحِ الْعَقِيمِ . وَأَوْصَاهُمْ هُودٌ وَبَشَّرَهُمْ بِصَالِحٍ عليه السلام »^{٤٤} . بحيث تشعر وكأنَّ الغيبة واحدةٌ من سنن الله في الأنبياء والأولياء ، فضلاً عن أنَّها عنوان كبير لما سيقع في آخر الزمان . وهذا ظاهر بقوة من الأخبار ، وصريح في القرآن والآثار ، ليس في أصل الغيبة فحسب بل بأعاجيب الغيبة وعناوينها ، حتى أنَّ إدريس النبي عليه السلام غاب في السماء ، فيما المسيح عيسى ما زال من قرونٍ طويلة في السماء وهو لن يظهر إلا بعد ظهور المهدي عليه السلام باتفاق أخبار أهل الإسلام .

^{٤٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٣٥ - ١٣٦

^{٤٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٣٦

وهذه المسيحية تؤمن بغيبة المسيح السماوية عليه السلام لكن تقول بأنه قبل الغيبة مات ثلاثة أيام ثم رفعه الله إليه وهو الآن في غيبته وأنه سيعود إلى الأرض العودة الثانية قبل نهاية العالم . والحاصل أنها تؤمن بنوع كبير من الغيبة الإعجازية . وكذا اليهودية تؤمن بغيبة مخلصها الطويلة وأنه سيخرج في آخر الزمن .

ولا شك أنّ هذا النوع الإعجازي من الغيبة (أي طول العمر وحفظ الله تعالى له) وقع في الإمام المهدي عليه السلام وتواتر الأخبار .

وعلى هذا النحو من بيان السنن في المهدي عليه السلام لجهة طول العمر وحفظ الله له روى الشيخ الصدوق عن أحمد ابن إسحاق بن سعد الأشعري قال : « دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام (العسكري) ، وأنا أريد أن أسأله عن الخلف عليه السلام من بعده ، فقال لي مبتدئاً : يا أحمد بن إسحاق ، إنّ الله تبارك وتعالى لم يُخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه ، به يدفع البلاء عن أهل الأرض ، وبه يُنزل الغيث ، وبه يُخرج بركات الأرض . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله ، فمن الامام والخليفة بعدك ؟ قال : فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ، ثم خرج وعلى عاتقه « غلام » كأن وجهه القمر ليلة البدر ، من أبناء الثلاث سنين ، فقال عليه السلام : يا أحمد بن إسحاق ، لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا ، إنه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً .

يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام ، ومثله مثل ذي القرنين ، والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووقفه فيها للدعاء بتعجيل فرجه .

قال أحمد بن إسحاق : فقلت له : يا مولاي ، فهل من علامة يطمئن إليها قلبي ؟

قال : فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح فقال : أنا بقيّة الله في أرضه ، والمنتقم من أعدائه ، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق .

قال أحمد بن إسحاق : فخرجت مسروراً فرحاً ، فلما كان من الغد عدت إليه فقلت له : يا ابن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليّ ، فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين ؟ فقال عليه السلام : طول الغيبة يا أحمد ، قلت : يا ابن رسول الله وإن غيبته لتطول ؟؟؟!!!

قال عليه السلام : إي وربّي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ولا يبقى إلا من أخذ الله عز وجل عهده لولايتنا ، وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه ، يا أحمد بن إسحاق : هذا أمر من أمر الله ، وسر من سر الله ، وغيب من غيب الله ، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين ^{٤٥} . وهو صريح في عظيم أمر الله تعالى في المهدي عليه السلام وطول غيبته وشقة ذلك في آخر الزمان ، دالاً على جملة من الغيبات التي

^{٤٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨٤ - ٣٨٥

طالَ أمدُها في أنبياءِ الله وأوليائه، وهذه ذات لسان هام جداً ومعنى كامل^{٤٦}.

على أنَّ الغيبات التي جرت مع الأنبياء السابقين تمت على نحوٍ إعجازي، وسط البيِّنات الساطعات، فلم تخلُ أرضُ الله تعالى من حجَّةٍ أو عَلمٍ لله تعالى.

غيبه صالح وانتظاره

وقد جرى مع الأنبياء السابقين ما جرى في غيبة المهدي عليه السلام من انقسام الفرق، وسط أعلى معاني الإعجاز الإلهي في الحجَّة والبيِّنات، ورغم ذلك ضلَّ قوم وفسد آخرون، وثبت أهل اليقين. وفي رواية زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « إنَّ صالحاً عليه السلام غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب عنهم كهلاً حسن الجسم، وافر اللحية، ربعة من الرجال، فلمَّا رجع إلى قومه لم يعرفوه بصورته، فرجع إليهم وهم على ثلاث طبقات: طبقة جاحدة لا ترجع أبداً، وأخرى شاكَّة فيه، وأخرى على

^{٤٦} وفي رواية عبد الله بن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله عز وجل أنَّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبياً، فمكَّن الله له في الأرض وآتاه من كلِّ شيء سبباً، فوصفت له عين الحياة وقيل له: من شرب منها لم يمت حتى يسمع الصبحة وإنه خرج في طلبها حتى انتهى إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً وكان الخضر على مقدمته، وكان من أحب الناس إليه فأعطاهُ حوتاً مالحاً، وأعطى كل واحد من أصحابه حوتاً مالحاً، وقال لهم: ليغسل كل رجل منكم حوته عند كل عين، فانطلق الخضر عليه السلام إلى عين من تلك العيون فلما غمس الحوت في الماء حيي وأنساب في الماء، فلما رأى الخضر عليه السلام ذلك علم أنه قد ظفر بماء الحياة فجعل يرمس فيه ويشرب منه فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته، ورجع الخضر وليس معه الحوت، فسأله عن قصته فأخبره فقال له: أشربت من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها وأنت الذي خلقت لهذا العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الابصار إلى النفخ في الصور [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨٥ - ٣٨٦].

يقين . فبدأ عليه السلام حيث رجع بالطبقة الشاكة فقال لهم : أنا صالح ، فكذبوه وشتموه وزجروه ، وقالوا : برئ الله منك إنَّ صالحاً كان في غير صورتك ، قال : فأتى الجَحَاد فلم يسمعوا منه القول ونفروا منه أشدَّ النفور ، ثم انطلق إلى الطبقة الثالثة ، وهم أهل اليقين فقال لهم : أنا صالح ، فقالوا : أخبرنا خبراً لا نشكُّ فيك معه أنك صالح ، فإنَّا لا نمتري أن الله تبارك وتعالى الخالق ينقل ويحوِّل في أي صورةٍ شاء ، وقد أخبرنا وتدارسنا فيما بيننا بعلامات القائم إذا جاء ، وإنما يصحُّ عندنا إذا أتى الخبرُ من السماء ، فقال لهم صالح : أنا صالح الذي أتيتكم بالناقة ، فقالوا : صدقت وهي التي نتدارس فما علامتها ؟ فقال : لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، قالوا : آمنا بالله وبما جئتنا به ،

ف عند ذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ فقال : أهل اليقين : ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٥/٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا (وهم الشكاك والجحَاد) : إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ ٧٦/٧ ﴾ .

قلت : هل كان فيهم ذلك اليوم عالم به ؟
قال : الله أعدلُ من أن يترك الأرضَ بلا عالمٍ يدلُّ على الله عز وجل ، ولقد مكثَ القومُ بعد خروج صالح سبعة أيام على فترةٍ لا يعرفون إماماً ، غير أنهم على ما في أيديهم من دين الله عز وجل ، كلمتهم واحدة ، فلما ظهر صالح عليه السلام اجتمعوا عليه . وإنما مثل القائم عليه السلام مثل صالح ^{٤٧} .

^{٤٧} كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٣٦ - ١٣٧

لاحظ فعلة الفرق الثلاث ، واحدة أنكرت للإنكار فقط ، وثانية أنكرت للجحود ، فيما الفئة الثالثة وهم أهل اليقين تثبتوا من الأمر وطلبوا من صالح عليه السلام أن يثبت لهم ذلك بدليل معقول أو مسموع ، وكان لديهم من الأدلة والبيّنات التي يكشفون فيها حقيقة الأمر فسألوه وأجاب ، فأعلنوا النزول على ولايته بالمطلق ، وهم الذين ما خالفوه في غيبة أو حضور . ثمّ نقلنا الخبر فيشير إلى أنّ ما جرى مع صالح عليه السلام يجري مع المهدي عليه السلام ضمن صفات وعناوين خاصّة ، فيثبت قوم ، وينحرف آخرون ، فيما الفراعنة يشكّلون أعداء عالم السماء . إذاً : الإنتظار جزء من الهوية الإلهية التي سنّها في كثير من هياكل السنن التي خطّها على الأنبياء والأولياء ، وهذا الخضر ما زال إلى اليوم غائباً ، ليشير إلى الخطّ المرسوم الذي سار مع البشرية جنباً إلى جنب .

بل يبدو أنّ الغيبة ومظاهرها وطبيعتها لها أصالة وتمركز في هيكل جملة رئيسية من النبوات ، وسط صورة تؤكد طلب الطغاة للأنبياء ، ومحاولات مختلفة لقتلهم أو منع ولادتهم ، وهذا ما جرى مع كثير من الأنبياء ، حتى أنّ الله تعالى أخفى « حمل » أمّ موسى في وقت كانت القوابل تستظهر بطون النساء لبقر بطون الحاملات .

غيبة إبراهيم

والأعجب منها غيبة النبي إبراهيم عليه السلام ، حتى قال الشيخ الصدوق :
« وأما غيبة إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه ، فإنّها تشبه غيبة قائمنا

صلوات الله عليه ، بل هي أعجب منها ، لأن الله عز وجل غيَّب أثر إبراهيم عليه السلام وهو في بطن أمه حتى حوِّله عز وجل بقدرته من بطنها إلى ظهرها ، ثم أخفى أمر ولادته إلى وقت بلوغ الكتاب أجله ^{٤٨} .

وكان من قصة ذلك أن عمَّ إبراهيم عليه السلام كان مُنجمًا لنمرود بن كنعان ، وكان نمرود لا يُصدر قولاً إلا عن رأيه ، فنظر في النجوم ليلة من الليالي فأصبح فقال : لقد رأيتُ في ليلتي هذه عجباً .

فقال له نمرود : وما هو ؟ فقال : رأيتُ مولوداً يُولد في أرضنا هذه فيكون هلاكنا على يديه ، ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به . فعجب نمرود من ذلك وقال له : هل حملت به النساء ؟ فقال : لا . قال : فحجب النساء عن الرجال ، فلم يترك امرأة إلا جُعِلت بالمدينة حتى لا يخلص إليهنَّ الرجال . وكانت أمُّ إبراهيم حاملاً بإبراهيم . فأرسل نمرود إلى نساء من القوابل : لا يكون في البطن شيء إلا علمن به ، فنظرن إلى أمِّ إبراهيم ، فألزم الله تعالى ما في رحمها في الظهر ، فقلن : ما نرى شيئاً في بطنها .

فلما وضعت أمُّ إبراهيم ولدها إبراهيم عليه السلام ذهبت به إلى غارٍ ثم أرضعته ، ووضعت على باب الغار صخرة ، ثم انصرفت عنه ، لأنها لو اختفت من المدينة يُعرف أمرها ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « فجعل الله عز وجل رزقه في إبهامه ، فجعل يمصها فيشرب لبناً ، وجعل يشبُّ في اليوم

^{٤٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٣٧

كما يشبُّ غيره في الجمعة ، ويشبُّ في الجمعة كما يشبُّ غيره في الشهر ، ويشبُّ في الشهر كما يشبُّ غيره في السنة . فمكث ما شاء الله أن يمكث . ثم إنَّ أمَّهُ أتت الغار ، فإذا هي بإبراهيم عليه السلام ، فأخذته وضمَّته إلى صدرها وأرضعته ، ثمَّ انصرفت عنه ، فمكثت تتعلَّل بالحاجة فتخرج وتذهب إلى إبراهيم عليه السلام فتضمُّه إليها ثم تنصرف ،

فلم يزل إبراهيم عليه السلام في الغيبة مخفياً لشخصه ، كاتماً لأمره ، حتى ظهر فصدع بأمر الله تعالى ذكره وأظهر الله قدرته فيه . ثم غاب عليه السلام الغيبة الثانية ، وذلك حين نفاة الطاغوت عن مصر فقال : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ ﴿٤٨/١٩﴾ قال الله عزَّ وجل : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ ﴿٤٩/١٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠/١٩﴾ ^{٤٩} .

ثمَّ أشار الإمام الصادق عليه السلام على أثر بيان غيبة النبي إبراهيم عليه السلام إلى ما سيقع في ولده من غيبة الإمام المهدي عليه السلام .

ويبدو صريحاً أنَّ غيبة إبراهيم عليه السلام عجيبة جداً ، وهي غيبتان : الأولى منذ أن ولدته أمُّه إلى ما شاء الله ، والثانية لما اعتزل قومه . وهي أيضاً على سنَّة الله تعالى في خلقه ، بياناً لهذا النحو من الغيبات التي جرت في التاريخ النبوي وأكَّدت طابع هذا النحو من الأسرار التي لها لغتها ودلالاتها

^{٤٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٣٨ - ١٣٩

التي كثيراً ما يخفى وجه المصلحة فيها على البشر ويظهر فيما بعد ، كما هي الحال مع جملة من الغيبات التي عرضناها عليك ، وظهر فيما بعد وجه المصلحة فيها .

غيبه النبي يوسف

ثم تطالعنا الأخبار عن غيبات أخرى جرت مع النبيين ، إتماماً لهذا المعنى الذي حصل مع جملة من الأنبياء الرئيسيين . فتحدثنا عن غيبه النبي يوسف ، وظروف تلك الغيبة التي بدأت بإلقاءه بالجُبِّ ، ثم سلسلة من هذه المحن ، حتى صار إليه مُلكُ مصر ، وكان هذا واحداً من وجوه المصلحة في تلك الغيبة التي ظهرت فيما بعد . وقد كانت غيبة يوسف عليه السلام عشرين سنة : « كان منها ثلاثة أيام في الجب (البئر) ، وفي السجن بضع سنين ، وفي الملك باقي سنه . وكان هو بمصر ، ويعقوب بفلسطين ، وكان بينهما مسيرة تسعة أيام ، فاختلفت عليه الأحوال في غيبته من إجماع إخوته على قتله ثم إلقاءهم إيَّاه في غيابة الجب ، ثم بيعهم إيَّاه بثمنٍ بخس دراهم معدودة ، ثم بلواه بفتنة امرأة العزيز ، ثم بالسجن بضع سنين ، ثم صار إليه بعد ذلك ملك مصر ، ثم جمع الله تعالى شمله وأراده تأويل رؤياه »^{٥٠} .

وتخبرنا المتون أن يعقوب عليه السلام كان يعرف أن يوسف عليه السلام لم يمت ، بل غُيبَ وسيُظهره الله تعالى ، ولم يكن يعرف أين هو . وفي رواية

^{٥٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٤١

هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قدم أعرابي على يوسف ليشتري منه طعاماً فباعه ، فلما فرغ قال له يوسف : أين منزلك ؟ قال له : بموضع كذا وكذا : فقال له : فإذا مررت بوادي كذا وكذا فقف فناد : يا يعقوب ، فإنه سيخرج إليك رجلٌ عظيمٌ جميلٌ جسيمٌ وسيمٌ ، فقل له : لقيت رجلاً بمصر وهو يقرئك السلام ويقول لك : إنَّ وديعتك عند الله عزَّ وجلَّ لن تضيع ، قال : فمضى الأعرابي حتى انتهى إلى الموضع فقال لغلمانه : احفظوا على الإبل ثم نادي :

يا يعقوب ، يا يعقوب ، فخرج إليه رجلٌ أعمى طويلٌ جسيمٌ جميلٌ يتقي الحائط بيده حتى أقبل فقال له الرجل : أنت يعقوب ؟ قال : نعم . فأبلغه ما قال له يوسف قال : فسقط مغشياً عليه ، إلى أن قال : فكان يعقوب عليه السلام يعلم أن يوسف عليه السلام حيٌّ لم يمت وأنَّ الله تعالى سيُظهره له بعد غيبته وكان يقول لبنيه : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وكان أهله وأقرباؤه يفندونه على ذكره ليوسف حتى أنه لما وجد ريح يوسف قال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ﴿ ٩٤/١٢ ﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿ ٩٥/١٢ ﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ (وهو يهودا ابنه وألقى قميص يوسف) أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٩٦/١٢ ﴾ «^{٥١} .

^{٥١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٤١ - ١٤٢ * وفي رواية بشر بن جعفر عن المفضل الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : أتدري ما كان قميص يوسف عليه السلام ؟ قلت : لا ، قال : إنَّ إبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار أتاه جبرائيل عليه السلام بثوبٍ من ثياب الجنة وألبسه إياه فلم يضره معه حرٌّ ولا برد ، فلما حضر إبراهيم الموت جعله

ثمّ تنبؤنا الأخبار أنّ للمهدي عليه السلام صفات لها شاهد من جملة من الأنبياء كالغيبة وطول العمر وما إلى ذلك ، بل بنفس المتون التي تتحدّث عن غيبة الأنبياء تتحدّث عن غيبة المهدي وما يقع في هذه الأمة ، ففي رواية سدير قال :

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن في القائم سنة من يوسف عليه السلام ، قلت : كأنك تذكر خبره أو غيبته ؟ فقال لي : إنّ إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء ، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم ، فلم يعرفوه حتى قال لهم : " أنا يوسف وهذا أخي " فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عزّ وجلّ في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجّته عنهم ؟!! لقد كان يوسف يوماً ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً . فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يعرفه مكانه لقد رعى ذلك ، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة في تسعة أيّام إلى مصر ، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عزّ وجلّ يفعل بحجّته ما فعل بيوسف أن يكون يسيراً فيما بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عزّ وجلّ له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف عليه السلام حين قال

في نعمة وعلقه إسحاق ، وعلقه إسحاق على يعقوب ، فلما ولد ليعقوب يوسف علقه عليه ، وكان في عضده حتى كان من أمره ما كان ، فلما أخرج يوسف القميص من التيممة ، وجد يعقوب ريحه ، وهو قوله : " إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون " فهو ذلك القميص الذي انزل من الجنة ، قال : قلت : جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص ؟ قال : إلى أهله ثم قال : كلُّ نبيٍّ ورثَ علماً أو غيره فقد انتهى إلى آل محمد عليهم السلام . قال : فروي " أن القائم عليه السلام إذا خرج يكون عليه قميص يوسف ، ومعه عصا موسى ، وخاتم سليمان عليه السلام " [كمال الدين ونعمان النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٤٢ - ١٤٤] .

لهم : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿٨٩/١٢﴾ قَالُوا
 إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ
 وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠/١٢﴾^{٥٢}

وهذا كلام « عظيم » وشديد الرفع ، يضع أعيننا على نحو خاص
 من معاني الغيبات ، فغيبة المهدي عليه السلام ليست في السماء بل في الأرض ،
 ثم تشير إلى أنه يطرق سكك الناس ، ويمشي بين بيوتهم ، وهو يراهم ولا
 يرونه ، ويعرفهم ولا يعرفونهم . وفي قصة يوسف مثالاً تقريبي وبيان لمظهر
 توضيحي ، فيما المطلب بأصل معناه . وهذا يعني أن قصة الغيبات التي
 جرت في الأنبياء شككت مركز الأحداث والسُنن بشكلٍ تشير كل قارئ أو
 عارفٍ بها ، وهي بدأت منذ الحقبات القديمة وظلت مستمرة بأشكالٍ
 مختلفة ومضامين متنوعة ، وستظل على ركيزتها حتى قيام المهدي عليه السلام .
 وهي وقعت في العديد من أولي العزم ، وما قبلهم وما بعدهم ، لتؤكد طابع
 السنة الإلهية الخاصة جداً التي خطت مسار العديد من النبوات على هذا
 النحو . أمّا أتباع النبوة والإمامة ، فعليهم الصبر والثبات والنزول على الطاعة
 الإلهية من أبوابها التي افترضها الله تعالى عليهم .

غيبة موسى وانتظار قومه

وفي قصة النبي موسى عليه السلام تأكيد لمعنى الغيبة والانتظار ، ففي
 رواية سعيد بن جبیر ، عن الإمام زين العابدين عن أبيه سيّد الشهداء ، عن

^{٥٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٤٤ - ١٤٥

أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لَمَّا حَضَرَتْ يُوسُفَ عليه السلام الوفاة ، جمع شيعته وأهل بيته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم حدثهم بشدة تنالهم ، يُقتل فيها الرجال ، وتشق بطون الحبالى ، وتذبح الأطفال ، حتى يُظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب ، وهو رجل أسمر طويل ، ونعته لهم بنعته ، فتمسكوا بذلك .

قال : ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل وهم منتظرون قيام القائم أربع مائة سنة ، حتى إذا بُشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره واشتدَّت عليهم البلوى ، وحول عليهم بالخشب والحجارة ، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر (لأنه طلب من فرعون) ، وراسلوه فقالوا : كُنَّا مع الشدة نستريح إلى حديثك ، فخرج بهم إلى بعض الصحاري وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر ، وكانت ليلة قمراء ،

فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السن وقد خرج من دار فرعون يظهر للنزهة فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحتة بغلة وعليه طيلسان خز ، فلما رآه الفقيه عرفه بالنعته فقام إليه وانكب على قدميه فقبلهما ثم قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرايك ، فلما رأى الشيعة ذلك علموا أنه صاحبهم فأكبوا على الأرض شكراً لله عز وجل ، فلم يزداهم على أن قال : أرجو أن يعجل الله فرجكم .

قال : ثمَّ غاب عليه السلام بعد ذلك ، وخرج إلى مدينة مدين ، فأقام عند شعيب ما أقام ، فكانت الغيبة الثانية أشدَّ عليهم من الأولى ، وكانت نيفاً وخمسين سنة ،

واشتدَّت البلوى عليهم ، واستتر الفقيه ، فبعثوا إليه أنه لا صبرَ لنا على استتارك عنا ، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم وطَّيب نفوسهم ، وأعلمهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إليه أنه مفرِّجٌ عنهم بعد أربعين سنة ، فقالوا بأجمعهم : الحمد لله ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه قل لهم : قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم " الحمد لله " ، فقالوا : كلُّ نعمة فمن الله ، فأوحى الله إليه قل لهم : قد جعلتها عشرين سنة ، فقالوا : لا يأتي بالخير إلا الله ، فأوحى الله إليه قل لهم : قد جعلتها عشراً ، فقالوا : لا يصرف السوء إلا الله ، فأوحى الله إليه قل لهم : لا تبرحوا فقد أذنتُ لكم في فرجكم ، فبيناهم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً ، فأراد الفقيه أن يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه ، وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلمَّ عليهم فقال له الفقيه : ما اسمك ؟ فقال : موسى ، قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابن عمران ، قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن قاهت بن لاوي بن يعقوب ، قال : بماذا جئت ؟ قال : جئتُ بالرسالة من عند الله عزَّ وجلَّ ، فقام إليه فقبَّل يده ، ثم جلس بينهم فطَّيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرَّقهم ، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة ^{٥٣} .

^{٥٣} كمال اندين وتام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٤٥ - ١٤٧

ومعنى هذا أن الغيبة الربانيّة مرسومة في هيكل النبوات والأولياء ،
وفي كثيرٍ من المحطّات الرئيسيّة ، وضمن أشكال ووظائف ومُدّد مختلفة ،
بعضها وصلَ إلى مئات السنين وبعضها زادَ عن آلاف السنين ، وقد أخبرنا
النبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ أن الغيبة التي وقعت في النبيين ممّا مضى ، هي واقعةٌ في
هذه الأمة ، وأنها في المهديِّ ﷑ الذي يخرج في آخر الزمان بعد غيبتين
الأخيرة منهما طويلة ، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً .

بل في قصة موسى ﷑ تأكيد على خروج الكذّابين الذين ادّعوا
أنهم هم من وعد الله به ، إيهاماً للناس ، وهذا أيضاً يقع في أمّة النبيِّ ﷑
قبل ظهور المهديِّ ﷑ ، حيث يخرج الكذّابون يدّعون المهدويّة طمعاً في
الدنيا والسلطان ، فلا يصحُّ لهم قول ولا تقوم لهم حجة حتى يُظهرَ اللهُ وليّه .
وفي رواية محمد الحلبي ، عن أبي عبد الله ﷑ قال : « إن يوسف ابن
يعقوب ﷑ حين حضرته الوفاة ، جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً
فقال : إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ، ويسومونكم سوء العذاب ، وإنما
يُنْجِيكُمْ اللهُ من أيديهم برجلٍ من وُلْدِ لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن
عمران ﷑ ، غلام طوال جعد آدم .

قال : فجعل الرجلُ من بني إسرائيل يُسمّي ابنه عمران ، ويسمّي
عمران ابنه موسى . حتى روى أبو بصير عن أبي جعفر ﷑ قال : ما خرجَ
موسى ﷑ حتى خرجَ قبله خمسون كذّاباً من بني إسرائيل كُلُّهُمْ يدّعي أنه
موسى ابن عمران .

فبلغ فرعون أنهم يُرجفون به ويطلبون هذا الغلام ، وقال له كهنته
وسحرته : إنَّ هلاكَ دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يُولد العام من
بني إسرائيل .

قال : فوضع القوابل على النساء وقال : لا يُولد العام ولدٌ إلا ذُبِحَ .
ووضِعَ على أمِّ موسى قابلةً .

فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا : إذا ذُبِحَ الغلمان واستحيى النساء
هلكنا فلم نبقَ ، فتعالوا : لا نقرب النساء .

فقال عمران أبو موسى عليه السلام : بل باشروهنَّ ، فإنَّ أمرَ الله واقعٌ ولو
كره المشركون ، اللهمَّ من حرمةٍ فإني لا أحرِّمه ، ومن تركه فإني لا
أتركه . ووقع على أمِّ موسى عليه السلام فحملت ، فوضِعَ على أمِّ موسى قابلة
تحرسُها فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت ، فلما حملته أمُّه وقعت عليها
المحبَّة ، وكذلك حججُ الله على خلقه ، فقالت لها القابلة : ما لك يا بنيَّة
تصفرين وتذوبين !!؟؟ قالت : لا تلوميني فإني إذا ولدت أُخِذَ ولدي فدُبِحَ ،
قالت : لا تخزني فإني سوف أكتمُ عليك ، فلم تصدقها . فلما أن ولدت
التفت إليها وهي مقبلة فقالت : ما شاء الله ، فقالت لها : ألم أقل : إني سوف
أكتمُ عليك ، ثمَّ حلمته فأدخلته المخدعَ وأصلحت أمره ، ثم خرجت إلى
الحرس فقالت : انصرفوا ، وكانوا على الباب ، وإنما خرج دمٌ منقطع ،
فانصرفوا ، فأرضعته ، فلما خافت عليه الصوت أوحى الله إليها أن اعلمي
التابوت ، ثمَّ اجعليه فيه ، ثم أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر ، فوضعته

في التابوت ، ثم دفعته في اليمِّ ، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر ، و إنَّ الرِّيحَ ضربته فانطلقت به ، فلما رأته قد ذهب به الماءُ همَّت أن تصيح ، فربطَ اللهُ على قلبها .

قال : وكانت المرأة الصالحة امرأة فرعون وهي من بني إسرائيل قالت لفرعون : إنَّها أيَّامُ الربيع ، فأخرجني واضرب لي قبةً على شطِّ النيل حتى أتزّه هذه الأيَّام ، فضربت لها قبة على شطِّ النيل إذ أقبل التابوت يريدتها ، فقالت : هل ترون ما أرى على الماء ؟ قالوا : إي والله يا سيدتنا إننا لنرى شيئاً ، فلما دنا منها ثارت إلى الماء فتناولته بيدها وكاد الماءُ يغمرها حتى تصايحوا عليها فجذبتة وأخرجته من الماء فأخذته فوضعتة في حجرها ، فإذا هو غلامٌ أجملُ الناس وأسترهم فوقعت عليها منه محبة ، فوضعتة في حجرها وقالت : هذا ابني ، فقالوا : إي والله يا سيدتنا والله مالك ولد ولا للملك فاتخذي هذا ولداً ، فقامت إلى فرعون وقالت : إنني أصبت غلاماً طيباً خلواً نتخذُهُ ولداً فيكون قرّة عين لي ولك فلا تقتله ،

قال : ومن أين هذا الغلام ؟ قالت : والله ما أدري إلا أنّ الماء جاء به ، فلم تنزل به حتى رضي ، فلما سمع الناس أن الملك قد تبني ابناً لم يبقَ أحداً من رؤوس مَنْ كان مع فرعون إلا بعثَ إليه امرأته لتكون له ظئراً أو تحضنه فأبى أن يأخذ من امرأةٍ منهن ثدياً ، قالت امرأة فرعون : اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقروا أحداً ، فجعل لا يقبل من امرأةٍ منهن ، فقالت أم موسى لأختها : قُصِّيه انظري أترين له أثراً ، فانطلقت حتى أتت باب الملك فقالت :

قد بلغني أنكم تطلبون ظئراً وههنا امرأةٌ صالحَةٌ تأخذ ولدكم وتكفله لكم ،
فقلت : ادخلوها ، فلما دخلت قالت لها امرأةُ فرعون : ممَّن أنت ؟ قالت :
من بني إسرائيل ،

قالت : اذهبي يا بنية فليس لنا فيك حاجة ، فقلن لها النساء : انظري
عافاك الله يقبل أو لا يقبل ، فقالت امرأةُ فرعون : أرايتم لو قَبِلَ هل يرضى
فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل والمرأة من بني إسرائيل - يعنى
الظئر - فلا يرضى . قلن : فانظري يقبل أو لا يقبل ، قالت امرأةُ فرعون :
فاذهبي فادعيها ، فجاءت إلى أمها وقالت : إنَّ امرأةَ الملك تدعوك فدخلت
عليها فدفعَ إليها موسى فوضعتَه في حجرها ، ثم ألقته ثديها فزدحم اللبن
في حلقه ، فلما رأت امرأةُ فرعون أن ابنها قد قبل قامت إلى فرعون فقالت :
إني قد أصبتُ لابني ظئراً وقد قَبِلَ منها ، فقال : ممَّن هي ؟

قالت : من بني إسرائيل قال : فرعون هذا مما لا يكون أبداً ، الغلامُ
من بني إسرائيل والظئر من بني إسرائيل . قال : فلم تزل تكلمه فيه وتقول :
ما تخاف من هذا الغلام ؟ إنما هو ابنك ينشأ في حجرك ، حتى قلبته عن
رأيته ورضي .

قال : فنشأ موسى عليه السلام في آل فرعون وكتمت أمُّه خبره وأخته
والقابلة ، حتى هلكت أمُّه والقابلة التي قبلته .

فنشأ عليه السلام لا يعلم به بنو إسرائيل قال : وكانت بنو إسرائيل تطلبه
وتسأل عنه فيعمى عليهم خبره .

قال : فبلغ فرعون أنهم يطلبونه ويسألون عنه ، فأرسل إليهم فزاد في العذاب عليهم ، وفرّق بينهم ونهاهم عن الإخبار به والسؤال عنه . قال : فخرجت بنو إسرائيل ذات ليلة مقمرة إلى شيخ لهم عنده عليم فقالوا : قد كنا نستريح إلى الأحاديث فحتى متى وإلى متى نحن في هذا البلاء ؟

قال : والله إنكم لا تزالون فيه حتى يجيء الله تعالى ذكره بسلام من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران غلام طوال جعد فيناهم كذلك إذ أقبل موسى عليه السلام يسير على بغلة حتى وقف عليهم ، فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة فقال له : ما اسمك يرحمك الله ؟ قال : موسى ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عمران ، قال : فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبلها وثاروا إلى رجله فقبلوها فعرفهم وعرفوه واتخذ شيعة .

قال : فمكث بعد ذلك ما شاء الله ، ثم خرج فدخل مدينة لفرعون فيها رجل من شيعته يقاتل رجلاً من آل فرعون من القبط ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه القبطي فوكزه موسى ففضى عليه ، وكان موسى عليه السلام قد أعطي بسطةً في الجسم وشدّةً في البطش . فذكره الناس وشاع أمره وقالوا : إنّ موسى قتل رجلاً من آل فرعون فأصبح في المدينة خائفاً يترقب^{٥٤}

^{٥٤} فلما أصبحوا من الغد إذا الرجل الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر ، فقال له موسى : إنك لغوي مبین ، بالأمس رجل واليوم رجل . فلما أراد أن يطش بالذي هو عدولهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين * وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إنّ الملا يأمرون بك ليقتلوك فاخرج إنني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب .

إلى أن قال : فخرج عليه السلام من مصر بغير ظهرٍ ولا دابة ، تخفضه أرضٌ وترفعه أخرى حتى انتهى إلى أرض مدين ، فانتهى إلى أصل شجرة فنزل فإذا تحتها بئر وإذا عندها أمةٌ من الناس يسقون ، وإذا جاريتان ضعيفتان معهما غنيمة لهما ، قال : ما خطبكما قالتا : أبونا شيخٌ كبيرٌ ونحن جاريتان ضعيفتان لا نقدرُ أن نزاحم الرجالَ فإذا سقى الناسُ سقينا ، فرحمهما موسى عليه السلام فأخذ دلوهما فسقى لهما ، فرجعتا بكرةً قبل الناس ، ثم تولَّى موسى إلى الشجرة فجلس تحتها ، ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^{٥٥} قال : فلما جاء إلى شعيب وقصَّ عليه القصص قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين^{٥٦} .

قال : فلما قضى موسى الأجل وسارَ بأهله نحو بيت المقدس أخطأ عن الطريق ليلاً فرأى ناراً فقال لأهله : امكثوا إني آنستُ ناراً لعلِّي آتيكم منها بقبسٍ أو بخبرٍ من الطريق ، فلما انتهى إلى النار إذا شجرةٌ تضطرم من أسفلها إلى أعلاها ، فلما دنا منها تأخرت عنه فرجع وأوجسَ في نفسه خيفة ، ثم دنت منه الشجرةُ فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة

^{٥٥} فروي أنه قال ذلك وهو محتاج إلى شق تمره - فلما رجعتا إلى أبيهما قال : ما أعجلكما في هذه الساعة ؟ قالتا : وجدنا رجلاً صالحاً رجعتنا فسقى لنا ، فقال لإحدهما إذ هي فادعيه لي فجاؤته تمشي على استحياء قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا . فروي أن موسى عليه السلام قال لها : وجهيني إلى الطريق وامشي خلفي فإننا بنو يعقوب لا ننظر في أعجاز النساء .

^{٥٦} قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين * قال إني أريد أن أنكحت إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حججاً فإن أتممت عشرًا فمن عندك . فروي أنه قضى أتمهما لأن الأنبياء عليهم السلام لا يأخذون إلا بالفضل والتمام .

المباركة من الشجرة أن يا موسى : إنني أنا الله رب العالمين ، وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب فإذا حية مثل الجذع ، لأسنانها صرير يخرج منها مثل لهب النار ، فولى موسى مدبراً فقال له ربُّه عز وجل : ارجع ، فرجع وهو يرتعد ، فقال : يا إلهي هذا الكلام الذي أسمع كلامك ؟ قال : نعم فلا تخف ، فوقع عليه الأمان فوضع رجله على ذنبها ، ثم تناول لحبيها فإذا يده في شعبة العصا قد عادت عصا ، وقيل له : اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . ثم أرسله الله عز وجل إلى فرعون وملائته بآيتين : بيده والعصا^{٥٧} «^{٥٨} .

وبذلك جرت الغيبة في موسى ﷺ بنحوين ،

ولقد كان بين بني إسرائيل يرونه ويراهم لكن لا يعرفونه ، ثم عرفوه بالوصف ،

ولما وقعت الغيبة الثانية إثر خروجه من مملكة فرعون يتفرق ، اشتدَّ البلاء ، وصعب الانتظار ، فانتظروا وثبتوا على أمر الله ،

وقد أمرهم « الفقيه العارف » بينهم أن يدعوا الله تعالى بتعجيل الفرج ، فكانوا على ذلك يدعون الله تعالى بتعجيل الفرج حتى فرج عليهم

^{٥٧} وقد روي عن الصادق ﷺ أنه قال لبعض أصحابه : « كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو . فإن موسى ابن عمران ﷺ خرج ليقبس لأهله ناراً ، فرجع إليهم وهو رسول نبي ، فأصلح الله تبارك وتعالى أمر عبده ونبيه موسى ﷺ في ليلة ، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بالقائم الثاني عشر من الأئمة ﷺ يصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر نبيه موسى ﷺ ويخرجه من الحيرة والغيبة إلى نور الفرج والظهور .

^{٥٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٤٧ - ١٥٢

بظهوره لهم ، وإنما كان ﷺ في ناحيةٍ أخرى ، ينتظرُ أمرَ الله تعالى فيه ، فلَمَّا حَانَ وقتُ البعثة الإلهية أمرُهُ أن يذهب إلى فرعون ويبلغه أمرَ الله تعالى .

وقد أَكَّدت الأخبارُ أنَّ في المهديِّ ﷺ سنةً من موسى ﷺ ، وفي رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال : سمعته يقول : « في القائمِ ﷺ سنةٌ من موسى بن عمران ﷺ فقلت : وما سنتُهُ من موسى بن عمران ؟ قال : خفاء مولده ، وغيبته عن قومه ^{٥٩} » ^{٦٠} .

وكما أصلحَ اللهُ أمرَ موسى في ليلةٍ ، حيث ذهبَ إلى النارِ فبعثهُ اللهُ نبيًّا ، كذلك تضافرت الأخبارُ بأنَّ اللهُ تعالى يُصلحُ أمرَ المهديِّ ﷺ في ليلةٍ . وفي الرواية عن أمير المؤمنين ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « المهديُّ منَّا أهلَ البيت ، يُصلح اللهُ له أمره في ليلةٍ » ^{٦١} . في حين أَكَّدت الأخبارُ أنَّ في المهديِّ ﷺ جملةً من السنن التي وقعت في جملةٍ من الأنبياء ، ففي رواية أبي بصير قال : سمعتُ أبا جعفر ﷺ يقول : « في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء : سنةٌ من موسى ، وسنةٌ من عيسى ، وسنةٌ من يوسف ، وسنةٌ من محمد صلوات الله عليهم أجمعين » ^{٦٢} .

^{٥٩} فقلت : وكم غاب موسى عن أهله وقومه ؟ فقال : ثمانين وعشرين سنة .

^{٦٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٢

^{٦١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٢

^{٦٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٢ - ١٥٣ * وفي رواية يزيد الكناسي قال : سمعتُ أبا جعفر الباقر ﷺ يقول : إن صاحب هذا الأمر فيه شبه من يوسف ، ابن أمة سوداء ، يصلح اللهُ له أمره في ليلةٍ [كتاب الغيبة -

والمتون في هذا المعنى كثيرة ، وهي تؤكد وقوع الغيبة في أمة
النبي محمد ، وأنها تكون في المهدي من ولده ﷺ ، الأخبار في ذلك
متواترة .

ويبدو صريحاً لمن تصفح الأخبار أنّ الغيبة جرت في الأنبياء
والأولياء على قدم وساق منذ القدم تبعاً ، منها غيبة الخضر الذي غاب
أعظم الغيبات وما زال في تلك الغيبة العظمى ،

وكذا المسيح عليه السلام ، وقد ذكرت الأخبار وقوع الغيبة أيضاً بكثير
من الأوصياء والحجج من بعد موسى عليه السلام وصولاً إلى أيام المسيح عليه السلام^{٦٣} .

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ النبي موسى عليه السلام حين دنا
أجله دعا « يوشع بن نون » ، فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي

محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٦] . وفي الرواية عن سدير الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول :
إن في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف . فقلت : فكأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة ؟ فقال : ما ينكر هذا الخلق الملعون من
ذلك ؟ إنّ إخوة يوسف كانوا عقلاء ألباء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه وكانوا
إخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتى عرفهم نفسه ، وقال لهم : أنا يوسف ، فعرفوه حينئذ ، فما تنكر هذه الأمة المتحيرة أن
يكون الله عز وجل يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجته عنهم ، لقد كان يوسف النبي ملك مصر ، وكان بينه وبين
أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً ، فلو أراد أن يعلمه بمكانه لقدر على ذلك ، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام
من بدوهم إلى مصر ، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف ، وأن يكون صاحبكم المظلوم
المجروح حقاً صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ، ويمشي في أسواقهم ، ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله له أن
يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته : (إنك لأنت يوسف قال أنا يوسف) [كتاب الغيبة - محمد بن
إبراهيم النعماني - ص ١٦٧] .

^{٦٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٣

بعده إلى مَنْ يقوم بالأمر . ثمَّ توفي موسى عليه السلام ، وكان ذلك في التيه ، فصاح صائحٌ من السماء : مات موسى كلِّيم الله ، وأي نفس لا تموت «^{٦٤} .

استتار الأوصياء والأنبياء من بعد يوشع بن نون إلى زمن داود

ثمَّ إنَّ يوشع بن نون عليه السلام قام بالأمر بعد موسى عليه السلام فخرجَ عليه كثيرٌ من الطواغيت والمنحرفين ، حتى مضى منهم ثلاث طواغيت ، فقوي بعدهم أمره ، فخرجَ عليه رجلا من منافقي قوم موسى عليه السلام بمائة ألف ، فقاتلوا يوشع بن نون عليه السلام فقتلهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين بإذن الله تعالى .

ثمَّ استتر الأوصياء والأنبياء من بعد يوشع بن نون إلى زمان داود عليه السلام أربعمئة سنة ، وكانوا أحد عشر ، وكان قوم كلِّ واحدٍ منهم يختلفون إليه في وقته ويأخذون عنه معالم دينهم ، حتى انتهى الأمر إلى آخرهم ، فغاب عنهم ، ثم ظهر لهم فبشَّروهم بداود عليه السلام ، وأخبرهم أنَّ داود عليه السلام هو الذي يُطهِّر الأرض من جالوت وجنوده ، ويكون فرجهم في ظهوره ، فكانوا ينتظرونه ،

قال : فلمَّا كان زمان داود عليه السلام كان له أربعة إخوة ولهم أبٌ شيخٌ كبير ، وكان داود عليه السلام من بينهم حامل الذكر ، وكان أصغر أخوته ، لا يعلمون أنه داود النبي المنتظر الذي يُطهِّر الأرض من جالوت وجنوده ،

^{٦٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٣ - ١٥٨

وكان المؤمنون يعلمون أنه قد وُلِدَ وبلغ أشدَّهُ ، وكانوا يرونه ويشاهدونه ولا يعلمون أنه هو .

فخرج داود عليه السلام واخوته وأبوهما لما فصل طالوت بالجنود ، وتخلَّف عنهم داود ، وقال : ما يصنع بي في هذا الوجه إلى أن رجع أبوه وقال لداود : احمل إلى إخوانك طعاماً يتَّقون به على العدو ، فخرج والقوم متقاربون بعضهم من بعض قد رجع كلُّ واحدٍ منهم إلى مركزه ، فمرَّ داود عليه السلام على حجرٍ فقال الحجر له بئداء رفيع : يا داود خُذني فاقتل بي جالوت فإنني إنما خُلِقتُ لقتله .

فأخذه عليه السلام ووضعهُ في مخلاته التي كانت تكون فيها حجارته التي كان يرمي بها غنمه^{٦٥} ، وكان الله تبارك وتعالى أوحى إلى طالوت أنه لا يقتل جالوت إلا مَنْ لبس درعك فملأها ، فدعا بدرعهِ فلبسها داود عليه السلام فاستوت عليه فراغَ ذلك طالوت ومَنْ حضره من بني إسرائيل فقال : عسى الله أن يقتل به جالوت ،

فلما أصبحوا والتقى الناسُ قال داود عليه السلام : أروني جالوت فلما رآهُ أخذ الحجر فرماه به فصكَّ به بين عينيه فدمغه وتنگسَ عن دابته ، فقال الناس : قتل داودُ جالوت ، ومَلَكَةُ الناسُ حتى لم يكن يسمع لطالوت ذكر ، واجتمعت عليه بنو إسرائيل وأنزل الله تبارك وتعالى عليه

^{٦٥} فلما دخل العسكر سمعهم يعظمون أمر جالوت ، فقال لهم : ما تعظمون من أمره فوالله لئن عابته لأقتلنه ، فتحدثوا بخبره حتى أدخل على طالوت

الزبور وعلمه صنعة الحديد فلين له ، وأمرَ الجبال والطير أن تسبح معه ،
وأعطاهُ صوتاً لم يسمع بمثله حسناً ، وأعطاهُ قوَّةً في العبادة . وأقام في بني
إسرائيل نبياً^{٦٦} «^{٦٧} .

إذاً : كان داودُ عليه السلام واحداً من الأنبياء المنتظرين ، كما هي حالُ
جملةٍ سقتُها عليك من الأنبياء المنتظرين ، والذين طالَ أمدُهم ، وعرفهم
أتباعُهُم بالصفات المعلومَةِ بهم . بل مرَّت القرون والمؤمنون ينتظرون
بشارة الظهور في نبيِّ الله المعهود إلى أن تمَّ أمرُ الله فأظهره . وكذا أمرُ
المهدي عليه السلام ، فقد تواترت الأخبارُ بأنه يغيب غيبةً طويلةً ، يخرج على
أثرها فيملاً الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً ،

غيبه سليمان ووصيته

وظلَّ هذا العنوانُ من معاني الغيبةِ ماراً في كثيرٍ من الأنبياء
والأوصياء^{٦٨} عليهم السلام ، بين ظهورٍ وغيبة ، وبين حجَّةٍ ظاهرةٍ وحجَّةٍ مستترة ،
دون أن يمنع عنهم الأعلامَ البيِّنة والأدلة القائمة ، وهكذا في اختبارٍ يتلوه
اختبار ، حتى أن داودَ عليه السلام لما استخلف سليمان عليه السلام طراً من الأمر ما

^{٦٦} وهنا قال الشيخ الصدوق : « وهكذا يكون سبيل القائم عليه السلام له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه ،
وأنطقه الله عز وجل فناداه اخرج يا ولي الله فاقتل أعداء الله ، وله سيف مغمدة إذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من
غمده وأنطقه الله عز وجل فناداه السيف اخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله ، فيخرج عليه السلام ويقتل أعداء
الله حيث تقفهم ويقوم حدود الله ويحكم بحكم الله عز وجل .

^{٦٧} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٣ - ١٥٨

^{٦٨} يبدو من طائفة من الأخبار أن أوصياء الأنبياء في الأمم السابقة كانوا يُبعثون أنبياء بعد وفاة النبي .

أوجب غيبة سليمان عن المؤمنين ، وقد ظلَّ كذلك مأموراً بالإستار ما شاء الله ، إلى أن عزَّزه الله تعالى بالخاتم الذي فيه عظيمُ المعجزات ، فلمَّا لبسه حنَّ عليه الطير والريحُ وغشيه الملك ، وقصد بلاد إصطخر ، واجتمعت إليه أتباعه المؤمنون واستبشروا به ، ففرَّجَ اللهُ عنهم ممَّا كانوا فيه من حيرة غيبته .

آصف بن برخيا ثم دانيال والشدة التي وقعت على بني إسرائيل

فلمَّا حضرت الوفاةُ سليمان أوصى إلى « آصف بن برخيا » بأمر الله تعالى ، فلم يزل بينهم يختلف إليه المؤمنون ويأخذون عنه معالم دينهم ، إلى أن أمره الله تعالى بالغيبة فغيَّبه غيبةً طال أمدها ، ثم ظهرَ لهم ، فبقي بين قومه ما شاء الله ، ثم إنه ودَّعهم فقالوا له : أين الملتقى ؟ قال : على الصراط ،

وغابَ عنهم ما شاء الله ، فاشتدَّت البلوى على بني إسرائيل بغيبته ، وتسلَّط عليهم بختنصر ، فجعل يقتل من يظفر به منهم ، ويطلب من يهرب ويسبي ذراريهم ، فاصطفى من السبي من أهل بيت يهودا أربعة نفر فيهم « دانيال » ، واصطفى من وُلد هارون عزيزاً ، وهم يومئذ صبية صغار ،

فمكثوا في يده وبنو إسرائيل في العذاب المهين ، والحجة دانيال عليه السلام (حجةُ الله) أسير في يد بختنصر^{٦٩} ، فلمَّا عرف فضله وسمع أن

^{٦٩} تسعين سنة

بني إسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره وعلى يده أمر أن
يُجعل في جُبِّ عظيم واسع ويجعل معه الأسد ليأكله ، فلم يقربه ، وأمر أن
لا يُطعم فكان الله تبارك وتعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يد نبي من أنبيائه .

فكان دانيال يصوم النهار ويفطر بالليل على ما يُدلى إليه من الطعام .
فاشتدت البلوى على شيعته وقومه والمنتظرين له ولظهوره . قال : وشكَّ
أكثرهم في الدين لطول الأمد .

إلى أن فرَّجَ اللهُ تعالى على دانيال ، وانبسطت يدهُ ،
فظهر مَنْ كان مستتراً من بني إسرائيل واجتمعوا إلى دانيال عليه السلام
موقنين بالفرج ، فلم يلبث إلا القليل على تلك الحال حتى مات ،

غيبه عزير ثم قيام يحيى

وأفضى الأمر بعدهُ إلى عزير عليه السلام فكانوا يجتمعون إليه ويأنسون به
ويأخذون عنه معالم دينهم ، فغيبَ اللهُ عنهم شخصه مائة عام ثم بعثه ،

وغابت الحُجَج بعده ، واشتدت البلوى على بني إسرائيل حتى وُلِدَ
يحيى بن زكريا عليه السلام وترعرع ،

فظهر عليه السلام وله سبعُ سنين ، فقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى
عليه وذكَّرهم بأيام الله تعالى ، وأخبرهم أنَّ محن الصالحين إنما كانت

لذنوب بني إسرائيل وأنَّ العاقبة للمتقين ، ووعدهم الفرج بقيام
المسيح ﷺ .

غيبه المسيح

فلما وُلِدَ المسيح ﷺ أخفى الله عزَّ وجلَّ ولادتهُ وغَيَّب شخصه ،
لأنَّ مريم ﷺ لما حملته انتبذت به مكاناً قصياً ، فلما ظهرت به اشتدَّت
البلوى والطلب على بني إسرائيل ، حتى كان من أمر المسيح ما قد أخبر الله
عز وجل به ،

استتار شمعون بن حمون الصفا

واستتر شمعون بن حمون والمؤمنون حتى أفضى بهم الاستتارُ إلى
جزيرة من جزائر البحر ، فأقاموا بها ففجَّرَ اللهُ لهم العيون العذبة وأخرج لهم
من كل الثمرات ، وجعل لهم فيها الماشية ولم يكونوا يفقدون شيئاً من
أخبار المسيح ﷺ «^{٧٠} .

وهكذا ظلَّ كثيرٌ من الأنبياء والأوصياء على سكة الغيبة والاستتار
والظهور والمواعيد الإلهية ، مع بلاء أتباعهم وقيام الحجج ، وثبات
البراهين ، ووجوب النزول على أمر الله تعالى ، حتى بعث اللهُ المسيح ﷺ ،
فلما أرادوا به قتلاً رفعه اللهُ إليه في أعظم الآيات وأظهرها ، وما زال حياً منذ

^{٧٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٨ - ١٥٩

تلك الغيبة والعظمى ، وقد تواترت الرواياتُ بأنه يخرجُ في زمن المهديِّ عليه السلام ويكونُ نزولُهُ من السماء آيةً للعالمين ، وذلك إتماماً لعظيم الآيات التي تظهر في آخر الزمان قبيل وأثناء الظهور (وبعده) وهي تشيرُ إلى أمرٍ عظيمٍ يُرادُ بأهل الأرض ، والذي ينكشف في لحظةٍ عظمى عن ظهورِ قائمِ آلِ محمَّد المهدي عليه السلام الذي يقود الأمم على أعظم معاني العدل الإلهي وسنة الوجود ، حتى لا يُعبَد إلا الله تعالى .

غياب الحُجج بعد شمعون الصفا

على أنه كان للمسيح عليه السلام غيبات يسيحُ بها في الأرض « فلا يعرف قومه وشيعته خبره ، فلما ظهر لهم أوصى إلى شمعون بن حمون عليه السلام ، قال : فلما مضى شمعون غابت الحُجج بعده ، واشتدَّ الطلب ، وعظمت البلوى ، ودُرسَ الدِّين ، وضُيِّعت الحقوق ، وأميتت الفروض والسنن ، وذهبَ الناسُ يميناً وشمالاً لا يعرفون أيّاً من أيٍّ ، فكانت الغيبة مائتين وخمسين سنة »^{٧١} . وفي رواية معاوية بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « بقي الناس بعد عيسى بن مريم عليه السلام خمسين ومائتي سنة بلا حجة ظاهرة »^{٧٢} يعني النبيِّ ، فيما حُججُ الله المختلفة ظلَّت منصوبةً للخلق وفي أعلى مراسمها . وفي رواية يعقوب بن شعيب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كان بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وآله خمسمائة عام ، منها مائتان

^{٧١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٩ - ١٦١

^{٧٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦١

وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالمٌ ظاهر ، قلت : فما كانوا ؟ قال : كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام ، قلت : فما كانوا ؟ قال : كانوا مؤمنين ، ثم قال عليه السلام : ولا تكون الأرض إلا وفيها عالمٌ «^{٧٣} .

وهكذا كانت سكة الغيبة والانتظار تُشكّل واحدةً من معالم سنن الله ، وموعداً للمنتظرين الذين جابوا الأرض طلباً للحجج والآيات .

سلمان الفارسي من أتباع المسيح عليه السلام ومنتظري النبي محمد ﷺ

هذا سلمان الفارسي كان من أولئك الذين ضربوا في الأرض وهم يُفتشون عن حجة الله الموعودة بوصية المسيح عليه السلام في نبينا محمد ﷺ ، فلم يزل ينتقل من عالم إلى عالم ، وهو يحمل العلامات منتظراً قيام النبي الأعظم زمناً طويلاً ، حتى بُشِّرَ بولادته ﷺ ، فلما أيقن بذلك خرج يريد تسهامة طلباً للحجة العظمى والآية الكبرى . فلما وصل إليه تحقق من العلامات ، فلما عرفها صدق ووفى ، بل تؤكد الروايات أنه كان ينتظر آخر علامة وهي ختم النبوة بين كتفيه ﷺ ، قالوا : فألقى رسول الله ﷺ الرداء عن كتفيه فجأة ثم نظر إلى سلمان وقال هل تكفي هذه يا سلمان !!؟؟ فخر سلمان على كتفيه يُقبّلهما ويقول : أشهد أنك نبي آخر الزمان^{٧٤} .

^{٧٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦١

^{٧٤} وفي الرواية الإمام الكاظم عليه السلام قال : حدثني أبي عليه السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسلمان الفارسي وأبا ذر وجماعة من قريش كانوا مجتمعين عند قبر النبي ﷺ فقال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان : يا أبا عبد ، الله إلا تخبرنا بمبدء أمرك ؟ فقال سلمان : والله يا أمير المؤمنين لو أن غيرك سألتني ما أخبرته ، أنا كنت رجلاً من أهل شيراز من أبناء

الدهاقين وكنت عزيزاً على والدي فيينا أنا سائر مع أبي في عيد لهم إذا أنا بصومعة وإذا فيها رجل ينادي أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله ، وأن محمداً حبيب الله ، فرسخ وصف محمد في لحمي ودمي فلم يهتني طعام ولا شراب ، فقالت لي أمي : يا بني ما لك اليوم لم تسجد لمطلع الشمس ؟ قال : فكابرتها حتى سكنت ، فلما انصرفت إلى منزلي إذا أنا بكتاب معلق في السقف فقلت لأمي : ما هذا الكتاب ؟ فقالت : يا روزبه إن هذا الكتاب لما رجعنا من عيدنا رأينا معلقاً ، فلا تقرب ذلك المكان فإنك إن قربته قتلك أبوك ، قال : فجاهدتها حتى جنّ الليل فنام أبي وأمي فقممت وأخذت الكتاب وإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا عهدٌ من الله إلى آدم أنه خالق من صلبه نبياً يُقال له : محمد ، يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن عبادة الأوثان ، يا روزبه انت وصي عيسى وآمن واترك المجوسية ، قال : فصعقت صعقة وزادني شدة . قال : فعلم بذلك أبي وأمي فأخذوني وجعلوني في بئر عميقة ، وقالوا لي : إن رجعت وإلا قتلناك ، فقلت لهم : افعلوا بي ما شئتم ، حبُّ محمدٍ لا يذهب من صدري ، قال سلمان : ما كنت أعرف العربية قبل قراءتي الكتاب ، ولقد فهمني الله عز وجل العربية من ذلك اليوم . قال : فبقيت في البئر فجعلوا ينزلون في البئر إلي أقراصاً صغاراً . قال : فلما طال أمري رفعت يدي إلى السماء فقلت : يا رب إنك حبيبت محمداً ووصيته إلي فبحق وسيلته عجل فرجي وأرحني مما أنا فيه ، قال : فأتاني آتٍ عليه ثياب بيض فقال : قم يا روزبه ، فأخذ بيدي وأتى بي إلى الصومعة فأنشأت أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله ، وأن محمداً حبيب الله ، فأشرف عليّ الديراني فقال : أنت روزبه ؟ فقلت : نعم ، فقال : اصعد فأصعدني إليه وخدمته حولين كاملين ، فلما حضرته الوفاة قال : إني ميت فقلت له : فعلى من تخلفني ؟ فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتني هذه إلا راهباً بأنطاكية ، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام وادفع إليه هذا اللوح ، وناولني لوحاً ، فلما مات غسلته وكفنته ودفنته وأخذت اللوح وسرت به إلى أنطاكية وأتيت الصومعة وأنشأت أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وأن محمداً حبيب الله ، فأشرف عليّ الديراني فقال : أنت روزبه ، فقلت : نعم ، فقال : اصعد فصعدت إليه فخدمته حولين كاملين ، فلما حضرته الوفاة قال لي : إني ميت ، فقلت : على من تخلفني ؟ فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتني هذه إلا راهباً بالاسكندرية فإذا أتيت فأقرئه مني السلام وادفع إليه هذا اللوح ، فلما توفي غسلته وكفنته ودفنته وأخذت اللوح وأتيت الصومعة وأنشأت أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وأن محمداً حبيب الله ، فأشرف عليّ الديراني فقال : أنت روزبه ؟ فقلت : نعم ، فقال : اصعد فصعدت إليه وخدمته حولين كاملين ، فلما حضرته الوفاة قال لي : إني ميت فقلت : على من تخلفني ؟ فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتني هذه في الدنيا وإن محمد بن عبد الله قد حانت ولادته فإذا أتيت فأقرئه مني السلام ، وادفع إليه هذا اللوح ، قال : فلما توفي غسلته وكفنته ودفنته وأخذت اللوح وخرجت ، فصحبت قوماً فقلت لهم : يا قوم اكفوني الطعام والشراب أكفكم الخدمة ؟ قالوا : نعم ، قال : فلما أرادوا أن يأكلوا شدوا علي شاة فقتلوا بالضرب ، ثم جعلوا بعضها كباباً وبعضها شواء فامتنعت من الأكل ، فقالوا : كل فقلت : إني غلام ديراني وإن الديرانيين لا يأكلون اللحم ، فضربوني وكادوا يقتلونني فقال بعضهم : أمسكوا عنه حتى يأتيكم شرابكم فإنه لا يشرب ، فلما أتوا بالشراب قالوا : اشرب ؟ فقلت : إني غلام ديراني وإن الديرانيين لا يشربون الخمر ، فشدوا عليّ وأرادوا قتلي ، فقلت لهم : يا قوم لا تضربوني ولا تقتلونني فإني أقرأ لكم بالعبودية فأقررت لواحدٍ منهم فأخرجني وباعني بثلاثمائة درهم من رجل يهودي قال : فسألني عن قصتي فأخبرته وقلت : له ليس لي ذنب إلا أنني أحببت محمداً ووصيته ، فقال اليهودي : وإني لأبغضك وأبغض محمداً .. قال : فأخرجني وباعني من امرأة سلمية فأحبتني

فكان هذا من سلمان عملاً دؤوباً انتظر به النبي محمدًا ردها طويلاً
من الزمن ، وكان من المنتظرين .

قس بن ساعدة الأيادي وانتظار النبي محمد ﷺ

وكذا دلّتنا الأخبار على جملة من الذين كانوا على دين
المسيح عليه السلام ، وكانوا يمارسون عبادة الإنتظار وينزلون على طاعة السماء
عبر معهودة المسيح عليه السلام وما أوصاهم النزول عليه من أمر الله تعالى من

حباً شديداً وكان لها حائط ، فقالت : هذا الحائط لك كل منه وما شئت و هب و تصدق . قال : فبقيت في ذلك الحائط ما
شاء الله فينا أنا ذات يوم في الحائط إذا أنا بسبعة رهط قد أقبلوا تظلمهم غمامة ، فقلت في نفسي : والله ما هؤلاء كلهم
أنبياء ولكن فيهم نبياً قال : فأقبلوا حتى دخلوا الحائط والغمامة تسير معهم ، فلما دخلوا إذا فيهم رسول الله ﷺ وأمير
المؤمنين عليه السلام وأبو ذر والمقداد وعقيل بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، فدخلوا الحائط فجعلوا
يتناولون من حشف النخل ورسول الله ﷺ يقول لهم : كلوا الحشف ولا تفسدوا على القوم شيئاً ، فدخلت على مولاتي
فقلت لها : يا مولاتي هبي لي طبقاً من رطب ، فقالت : لك ستة أطباق ، قال : فجئت فحملت طبقاً من رطب ، فقلت في
نفسي : إن كان فيهم نبي فإنه لا يأكل الصدقة ، ويأكل الهدية ، فوضعت بين يديه ، فقلت : هذه صدقة فقال رسول
الله ﷺ : كلوا وأمسك رسول الله وأمير المؤمنين وعقيل بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب ، وقال لزيد : مد يدك
وكل ، فقلت في نفسي هذه علامة ، فدخلت إلى مولاتي فقلت لها : هبي لي طبقاً آخر ، فقالت : لك ستة أطباق قال :
فجئت فحملت طبقاً من رطب فوضعه بين يديه فقلت : هذه هدية ، فمدَّ يده وقال : بسم الله ، كلوا ، ومدَّ القوم جميعاً
أيديهم فأكلوا ، فقلت في نفسي : هذه أيضاً علامة ، قال : فينا أنا أدورُ خلفه إذ حانت من النبي ﷺ التفاته فقال : يا
روزبه تطلب خاتم النبوة ؟ فقلت : نعم ، فكشف عن كتفيه فإذا أنا بخاتم النبوة معجوم بين كتفيه عليه شعرات ، قال :
فسقطتُ على قدم رسول الله ﷺ أقبلها ، فقال لي : يا روزبه ادخل إلى هذه المرأة وقل لها : يقول لك محمد بن عبد الله
تبيعنا هذا الغلام ؟ فدخلت فقلت لها : يا مولاتي إن محمد بن عبد الله يقول لك : تبيعنا هذا الغلام ؟ فقالت قل له : لا
أبيعك إلا بأربعمائة نخلة مائتي نخلة منها صفراء ومائتي نخلة منها حمراء ، قال : فجئت إلى النبي ﷺ : فأخبرته .. قال :
فأعتقني رسول الله ﷺ وسماني سلمان . ثم قال الشيخ الصدوق رضي الله عنه : « كان اسم سلمان روزبه بن خشبوزان
وما سجد قط لمطلع الشمس وإنما كان يسجد لله عز وجل وكانت القبلة التي أمر بالصلاة إليها شرقية وكان أبواؤه يظنان
أنه إنما يسجد لمطلع الشمس كهيتهم ، وكان سلمان وصي وصي عيسى عليه السلام في أداء ما حمل إلى من انتهت إليه
الوصية من المعصومين » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦١ - ١٦٦] .

الوصايا وشريعة موسى ﷺ . فمن هؤلاء « قس بن ساعدة الأيادي »^{٧٥} الذي عرف النبي محمداً بالصفات والآيات وكان ينتظر ظهوره ﷺ ويقول لقومه : « إنَّ لله ديناً خيراً من الدين الذي أنتم عليه » . ولقد كان النبي ﷺ يترحم عليه ويقول : يحشر يوم القيامة أمةً وحدهُ^{٧٦} لأنه كان من المنتظرين . فقد كان من أولئك الذين عرفوا النبي ﷺ بالصفة والإسم وتتبعوا الآيات وجمعوا من الدليل ما ألزمهم النزول على الطاعة واتباع مبادئ الدين وقيم الشرع لمن سبق من النبيين ، وهم ينتظرون أمر النبي الخاتم ﷺ . تباعاً لمعنى الإنتظار ومجريات السنة الإلهية التي خطها في الأمم والأنبياء ﷺ ، وقد تلونا عليك جملة واسعة من الشعوب والأمم التي كانت تنتظر أمر الله في نبي ما . وكان المسيح ﷺ قد بشر أُمَّته بالنبي

^{٧٥} وهو قس بن ساعدة بن حذافة بن زهر بن أياد بن نزار ، أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا . ويقال : إنه كان يعرف النبي ﷺ باسمه ونسبه ويبشر الناس بخروجه ، وكان يستعمل التقية .

^{٧٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦٦ * وفي رواية محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر ﷺ قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بفناء الكعبة يوم افتتح مكة إذ أقبل إليه وفد فسلموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ : من القوم ؟ قالوا : وفد بكر بن وائل ، قال : فهل عندكم علم من خير قس بن ساعدة الأيادي ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فما فعل ؟ قالوا : مات ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله رب الموت ورب الحياة ، كل نفس ذائقة الموت ، كأنني أنظر إلى قس بن ساعدة الأيادي وهو بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول : اجتمعوا أيها الناس ، فإذا اجتمعتم فأنصتوا فإذا أنصتتم فاسمعوا ، فإذا سمعتم فعوا ، فإذا وعيتم فاحفظوا ، فإذا حفظتم فاصدقوا ، ألا إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، ومن فات فليس بآت ، إن في السماء خبراً وفي الأرض عبراً ، سقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، ونجوم تمور ، وليل يدور ، وبحار ماء لا تغور ، يحلف قس ما هذا بلعب وإن من وراء هذا لعجبا ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ يحلف قس يميناً غير كاذبة إنَّ لله ديناً هو خير من الدين الذي أنتم عليه . ثم قال رسول الله ﷺ : رحم الله قساً يحشر يوم القيامة أمةً وحده . [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦٦ - ١٦٧] .

محمد ﷺ طالباً منها انتظارَ أمرِهِ والنزولِ عليه ، مؤكِّداً أنه أعظمُ النبيين
وخاتمهم .

المنتظرون للنبيِّ محمد ﷺ

كثرت وجوهُ المنتظرينَ لأمر النبيِّ محمد ﷺ بعد طولِ زمنٍ ،
وقد افرقت الناسُ بعد المسيح بين عابدين وثنٍ ، وبين مُشركٍ ، وبين مُصيرٍ
ثابتٍ على أمر الله تعالى ، واللافت كما في سياق فئة المنتظرين أن مَنْ بقي
على شرطِ المسيح في الإنتظار والثبات حاملاً النفسَ بمعهدَةِ النزولِ على
أمر رسولِ الله ﷺ كانوا قد أضحوا قلةً وسطَ بحرٍ من الإنحرافِ
والجحودِ .

نعم يبدو أن مَنْ كان يحفظُ خبر النبوةِ المحمديَّةِ وينتظرها ، كان
من وجوهٍ مختلفةٍ ، فمنهم قس بن ساعدة الأيادي ، الذي كان يُبشِّرُ ناسَهُ
وأُمَّتَهُ بقربِ زمنِ النبيِّ الموعودِ ، وفي متن الغيبة للصدوق وهو يعدُّ بعضاً
مِن وجوهٍ مَنْ كان ينتظر خروج النبيِّ ﷺ قال : « وكان تُبَع الملك أيضاً
ممن عرفَ النبيَّ ﷺ وانتظر خروجهُ ، لأنه قد وقعَ إليه خبرُهُ ، فعرف أنه
سيخرج من مكَّة نبي يكون مهاجرته إلى يثرب ^{٧٧} » ^{٧٨} .

^{٧٧} وفي رواية إسماعيل بن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : « يكون لصاحب هذا الأمر عليه السلام غيبة في بعض
هذه الشعاب - وأومى بيده إلى ناحية ذي طوى - حتى إذا كان قبل خروجه أتى المولى الذي كان معه حتى يلقي بعض
أصحابه ، فيقول : كم أنتم ها هنا ؟ فيقولون : نحو من أربعين رجلاً . فيقول : كيف أنتم لو رأيتم صاحبكم ؟ فيقولون :
والله لو ناوى بنا الجبال لناويناهما معه ، ثم يأتيهم من القابلة ويقول : أشيروا إلى رؤسائكم أو خياركم عشرة ، فيشيرون له
إليهم فينطلق بهم حتى يلقوا صاحبهم ويعدهم الليلة التي تليها . ثم قال أبو جعفر عليه السلام : والله لكأنني أنظر إليه وقد أسند

وفي رواية الوليد بن صبيح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إِنَّ تَبِعاً
قال للأوس والخزرج : كونوا ههنا حتى يخرج هذا النبيُّ ، أمّا أنا فلو أدركته
لخدمته ولخرجت معه » ^{٧٩} .

وفي رواية ابن عباس قال : « لا يشتبهنَّ عليكم أمرُ تبع ، فإنَّهُ كان
مسلماً » ^{٨٠} .

ظهره إلى الحجر فينشد الله حقه ، ثم يقول : يا أيها الناس ، من يحاجني في الله فأنا أولى الناس بالله . أيها الناس ، من يحاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم . أيها الناس ، من يحاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح . أيها الناس ، من يحاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم . أيها الناس ، من يحاجني في موسى فأنا أولى الناس بموسى . أيها الناس ، من يحاجني في عيسى فأنا أولى الناس بعيسى . أيها الناس ، من يحاجني في محمد عليه السلام فأنا أولى الناس بمحمد عليه السلام . أيها الناس ، من يحاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله ، ثم ينتهي إلى المقام فيصلي عنده ركعتين وينشد الله حقه . ثم قال أبو جعفر عليه السلام : وهو والله المضطر الذي يقول الله فيه : (أمنَّ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) فيه نزلت وله « . وفي رواية أمية بن علي القيسي ، قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام : من الخلف بعدك ؟ فقال : ابني علي وابنا علي ، ثم أطرق ملياً ، ثم رفع رأسه ، ثم قال : إنها ستكون حيرة . قلت : فإذا كان ذلك فإلى أين ؟ فسكت ، ثم قال : لا أين - حتى قالها ثلاثاً - فأعدت عليه ، فقال : إلى المدينة . فقلت : أي المدن ؟ فقال : مدينتنا هذه ، وهل مدينة غيرها [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٧ - ١٨٨] .

^{٧٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦٩ * وفي رواية عمر بن أبان ، عن أبان رفعه أن تبع قال في مسيره : حتى أتاني من قريظة عالم * حبر لعمرك في اليهود مسود . قال ازدجر عن قرية محجوبة * لنبي مكة من قريش مهتد فغفوت عنهم عفو غير مثرب * وتركتهم لعقاب يوم سرمد وتركتها لله أرجو عفو * يوم الحساب من الجحيم الموقد ، ولقد تركت له بها من قومنا * نقرأ أولي حسب وممن يحمد ، نقرأ يكون النصر في أعقابهم * أرجو بذاك ثواب رب محمد ، ما كنت أحسب أن بيتاً ظاهراً * لله في بطحاء مكة يعبد ، قالوا بمكة بيت مال دائر * وكنوزه من لؤلؤ وزبرجد ، فأردت أمراً حال ربي دونه * والله يدفع عن خراب المسجد ، فتركت ما أملكه فيه لهم * وتركتهم مثلاً لأهل المشهد] . وفي هذا المعنى قال أبو عبد الله عليه السلام عنه : قد أخبر أنه سيخرج من هذه - يعني مكة - نبي يكون مهاجرته إلى يثرب ، فأخذ قوماً من اليمن فأنزلهم مع اليهود لينصروه إذا خرج وفي ذلك يقول : شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارئ النسب . فلو مد عمري إلى عمرة * لكنت وزيراً له وابن عم . وكنت عذاباً على المشركين * أسقيهم كأس حنق وغم [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٦٩ - ١٧٠] .

^{٧٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧٠ - ١٧١

وهذا يعني أنّ خبر النبوة المحمّديّة كان ظاهراً جديداً ، وقد أثبتت الأخبار أنّ المسيح ﷺ أمرَ أهل الأرض بانتظارِ قدومه الممجد ، والسعي لتحصيل مرضاته العظيمة ، وقد انتظروا أتباع المسيح قروناً ، عاملين بما أمر الله ، نازلين على شريعة السماء .

عبد المطلب وأبو طالب : انتظار النبي الموعود

أكدت المتون أنّ خبر النبي الموعود ، نبي آخر الزمان ، كان مُشاعراً مُداعاً في الأمم ، بين الرهبان والأخبار وبين الأقطار والنواحي بشكلٍ ظاهر ، حتى هرقل كان يسأل : هل خرج نبيٌّ في بلاد العرب . وفي شهادة الشيخ الصدوق قال : « كان عبد المطلب وأبو طالب من أعراف العلماء وأعلمهم بشأن النبي ﷺ وكانا يكتمان ذلك عن الجهّال وأهل الكفر والضلال »^{١٧١} ،

وفي رواية ابن عباس قال : « كان يُوضع لعبد المطلب فراشٌ في ظلّ الكعبة لا يجلس عليه أحدٌ إلا هو إجلالاً له ، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب ، فكان رسولُ الله ﷺ يخرج وهو غلام ، فيمشي حتى يجلس على الفراش ، فيعظم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخروه ، فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إنّ له لشأناً

^{١٧١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧١

^{١٧١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧١

عظيماً ، إني أرى أنه سيأتي عليكم يومٌ وهو سيِّدُكُمْ ، إني أرى غرته غرّةً
تسودُّ الناس .

قال : ثمَّ يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبّله ويقول : ما رأيتُ
قبلةً أطيّبَ منه ولا أظهرَ قط ، ولا جسداً ألينَ منه ولا أطيّبَ منه .
ثمَّ يلتفت إلى أبي طالب وذلك أنّ عبد الله وأبا طالب لأُمِّ واحدة ،
فيقول : يا أبا طالب ، إنّ لهذا الغلام لشأناً عظيماً ، فاحفظه واستمسك به ،
فإنه فردٌ وحيدٌ وكُنْ له كالأم ، لا يصل إليه بشيءٍ يكرهه .
ثمَّ يحمله على عنقه فيطوف به (حول الكعبة) أسبوعاً (أي
سبعاً) .

ثمَّ قال : كان عبد المطلب قد علِمَ أنه يكره اللات والعزى فلا
يدخله عليهما .

فلمّا تمّت له (أي للنبيِّ) ستُّ سنين ، ماتت أمُّه آمنة بالأبواء بين
مكة والمدينة ، وكانت قدِمَت به على أخواله من بني عدي ، فبقي رسولُ
الله ﷺ يتيماً لا أبَ له ولا أم ، فأزادَ عبد المطلب له رقةً وحفظاً ،
وكانت هذه حاله حتى أدركت عبد المطلب الوفاة ، فبعث إلى أبي
طالب ومحمّدٍ على صدره وهو في غمرات الموت وهو يبكي ويلتفت إلى
أبي طالب ويقول :

يا أبا طالب ، انظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة
أبيه ولا ذاقَ شفقة أمّه ،

ثم يقول : انظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبذك ،
فإني قد تركت بني كلهم وأوصيتك به لأنك من أم أبيه ،
يا أبا طالب إن أدركت أيامه فاعلم أنني كنت من أبصر الناس وأعلم
الناس به ،

فإن استطعت أن تتبعه فافعل ، وانصره بلسانك ويدك ومالك ،
فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي ،
يا أبا طالب :

ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه ولا أمه على
حال أمه ، فاحفظه لو حدثه ،

هل قبلت وصيتي فيه ؟؟؟

فقال أبو طالب : نعم قد قبلت ، والله عليّ بذلك شهيد .

فقال عبد المطلب : فمُد يدك إليّ .

فمدَّ يده إليه ، فضرب يده على يده ثم قال عبد المطلب :

الآن خفف عليّ الموت ،

ثم لم يزل يُقبِّل النبي ﷺ ويقول :

« أشهد أنني لم أقبل أحداً من ولدي أطيب

ريحاً منك ولا أحسن وجهاً منك » ،

قال : وكان يتمنى أن يكون قد بقي حتى يُدرك زمانه ، فمات عبد

المطلب وهو (أي النبي) ابن ثمان سنين ، فضمه أبو طالب إلى نفسه ، لا

يفارقه ساعةً من ليلٍ ولا نهار ، وكان ينام معه حتى لا يأتَمَن عليه أحداً»^{٨٢} ،
 لاحظ معنى البشارة بالنبِيِّ ﷺ ، ومعنى الإنتظار لدى هذا البيت وهذه
 الفئة من الناس ، حيث كانت تعلم بالصفات والآيات أنَّ هذا نبيُّ آخر
 الزمان ، بل أعظم النبيين ، فكانت على دين إبراهيم ﷺ وشرائع
 النبيين ﷺ تنتظرُ أمرَ ربِّها ، وقد أحسنت الإنتظار . ومَن يقرأ حياة هذين
 العظيمين : عبد المطلب وأبو طالب ، يُدرك معنى وقيمة وحقيقة الإنتظار ،
 حتى أنَّ أبا طالب كان يُبدِّل فراشَ النبيِّ ﷺ في الليل مرَّتين حتى يطمئنَّ
 له ، فيأخذه فيضعه مكان ولدِهِ علي ويضع علياً مكانه ليفديه بولده علي !!!

^{٨٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧١ - ١٧٢ * وفي رواية العباس بن عبد الله بن سعيد عن بعض
 أهله قال : كان يوضع لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ فراش في ظل الكعبة فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً
 له ، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه ليؤخروه ، فيقول جده عبد المطلب : دعوا ابني ،
 فيمسح على ظهره ويقول : إن لابني هذا لشأناً . فتوفي عبد المطلب والنبي ﷺ ابن ثمان سنين بعد عام الفيل بثمان
 سنين . وفي رواية أبي بكر ابن عبد الله بن أبي جهم قال : حدثني أبي عن جدي قال : سمعت أبا طالب يحدث عن عبد
 المطلب قال : بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤياً هالتي فأتيت كاهنة قريش (أي مأولة الرؤيا) وعلي مطرف خز ،
 وجمتي تضر بمنكبي ، فلما نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغير فاستوت وأنا يومئذ سيد قومي ، فقالت : ما شأن سيد
 العرب متغير اللون ، هل رآته من حدثان الدهر ريب ؟؟؟ فقلت لها : بلي إني رأيت اللبلة وأنا قائم في الحجر كأن شجرة
 قد نبتت على ظهري قد نال رأسها السماء وضربت أغصانها الشرق والغرب ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس
 سبعين ضعفاً ورأيت العرب والعجم ساجدة لها وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً ، ورأيت رهطاً من قريش يريدون
 قطعها ، فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً فيأخذهم ويكسر ظهورهم ، ويقلع أعينهم ،
 فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها ، فصاح بي الشاب وقال : مهلاً ليس لك منها نصيب ، فقلت : لمن النصيب
 والشجرة مني ؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين قد تعلقوا بها وستعود إليها فانتبهت مذعوراً فزعاً متغير اللون ، فرأيت لون
 الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك ولد يملك الشرق والغرب ، ينبأ في الناس . قال :
 فسرى عني غمي .. فكان أبو طالب يحدثُ النَّاسَ بهذا الحديث والنبي ﷺ قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أبا
 القاسم الأمين » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧٢ / ١٧٥] .

بـحيث تبدو سكة الإستخلاف ممهورةً بنوع مدهشٍ من الغيبات
وفرائض الإنتظار ، ضمنَ معالمِ وسُننِ وبيِّناتِ إلهيةٍ تفي بغرض الإحتجاج
على العباد ، فلا تدعهم في ضلالة ولا تمنع عنهم نور الهداية وشروطها ، بل
لم يخلُ الزمانُ لحظةً واحدةً من بيِّناتِ الله التامَّات كما في لسان الأخبار
المتواترة ، بل كما في صريح القرآن .

ولأنَّ هذا البيت كان من المنتظرين ، يعني أنهم كانوا على شريعة
الله وشريعة أنبياءه ﷺ فلا يخرجون من حقِّ إلى باطل ، ولا يتركون ما أمرَ
الله به زمنَ الإنتظار لا تَباع شريعة خاتم النبيين ﷺ . وفي هذا المعنى روى
الأصبغ بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : « والله ما
عبدَ أبي ولا جدِّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط . قيل
له : فما كانوا يعبدون ؟ قال ﷺ : كانوا يصلون إلى البيت على دين
إبراهيم ﷺ متمسكين به »^{٨٣} .

اشتهار اليهود وغيرها من النصارى بالأخبار عن النبي الموعود

وقد اشتهرَ تواتراً أنَّ اليهودَ كانت تفتيحُ على العرب أنَّ زمنَ النبيِّ
الموعود قد حلَّ ، وأنَّ يومه في مكة ويشرب ، وأكَّدت طائفةٌ كثيرةٌ من
الأخبار أنَّ رهباناً كثيراً أقاموا صوامعَ لهم على طريق البلاد العربية ، خاصةً
طريق مكة والمدينة ، يسألون الناسَ فيها عن ظهورِ نبيِّ صفاته كيت

^{٨٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧٤ - ١٧٥

و كيت ، لأنَّ بشارَةَ المسيح ﷺ أخبرتهم أنَّه يكون في مكَّة ويثرب ، وهذه النواحي ، فأقاموا الصوامع الكثيرة على مفترقات الطرق التي تصلهم ببلاد العرب يسألون عن أحوال النبي الذي قُرِبَ موعدُهُ .

إخبار سيف بن ذي يزن

وقد شاع خبرُ النبي في الأقطار والنواحي ، وعرفت به وجوهٌ مشهورة وحدثت عنه ، وفي متن الغيبة للصدوق قال : « كان سيف بن ذي يزن عارفاً بأمر رسول الله ﷺ ، وقد بشرَ به عبد المطلب لما وفد عليه »^{٨٤} .

وفي رواية عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : « لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين أتاه وفدُ العرب وأشرافها وشعراؤها بالتهنئة وتمدُّحِه وتذكُّر ما كان من بلائه وطلبه بشار قومه ، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس وعبد الله بن جذعان وأسد بن خويلد بن عبد العزى ووهب ابن عبد مناف في أناسٍ من وجوه قريش ، فقدّموا عليه صنعاء ، فاستأذنوا ، فإذا هو في رأس قصر يُقال له : غمدان^{٨٥} ، فدخل عليه الآذن فأخبره بمكانهم ، فأذن لهم ، فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه في الكلام فقال له : إنَّ كنت ممَّن يتكلَّم بين يدي الملوك فقد أذنَّا لك . فقال عبد المطلب :

^{٨٤} كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧٦

^{٨٥} وهو الذي يقول فيه أمّية بن أبي الصلت : اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً * في رأس غمدان داراً منك محللاً

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَحَلًّا رَفِيْعًا ، صَعْبًا مَنِيْعًا ، شَامِخًا بَاذِخًا ، وَأَنْبَتَكَ مَنبِتًا طَابَتْ أُرُومَتُهُ ، وَعَذِبَتْ جَرثُومَتُهُ ، وَثَبَتَ أَصْلُهُ وَبَسَقَ فَرْعُهُ ، فِي أَكْرَمِ مَوْطِنٍ وَأَطْيَبِ مَوْضِعٍ ، وَأَحْسَنِ مَعْدِنٍ ، وَأَنْتَ مَلِكُ الْعَرَبِ وَرَبِيعِهَا الَّذِي تَخْصِبُ بِهِ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ رَأْسُ الْعَرَبِ الَّذِي لَهُ تَنْقَادٌ ، وَعَمُودُهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ ، وَمَعْقَلُهَا الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ ، سَلْفِكَ خَيْرٌ سَلْفٍ ، وَأَنْتَ لَنَا مِنْهُمْ خَيْرُ خَلْفٍ ، فَلَنْ يَخْمَلَ مَنْ أَنْتَ سَلْفُهُ ، وَلَنْ يَهْلِكَ مَنْ أَنْتَ خَلْفُهُ ، نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَسِدْنَةُ بَيْتِهِ ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجْنَا مِنْ كَشْفِ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحْنَا ، فَنَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفْدَ الْمَرْزُؤَةِ .

فَقَالَ : وَأَيُّهُمْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَتَكَلِّمُ ؟

قَالَ : أَنَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، قَالَ : ابْنُ أَخْتِنَا ؟

قَالَ : نَعَمْ ،

قَالَ : ادْنُ ، فَدَنَا مِنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ وَعَلَيْهِ فَقَالَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، وَنَاقَةً وَرَحْلًا ، وَمَسْتَنَاحًا سَهْلًا ، وَمَلِكًا وَرَبِحْلًا ، قَدْ سَمِعَ الْمَلِكُ مَقَالَتَكُمْ وَعَرَفَ قَرَابَتَكُمْ وَقَبْلَ وَسَيْلَتَكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَهْلُ اللَّيْلِ وَأَهْلُ النَّهَارِ ، وَلَكُمْ الْكِرَامَةُ مَا أَقَمْتُمْ ، وَالْحَبَاءُ إِذَا ظَعَنْتُمْ .

قَالَ : ثُمَّ انْهَضُوا إِلَى دَارِ الضِّيَافَةِ وَالْوَفُودِ . قَالَ : فَأَقَامُوا شَهْرًا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ وَلَا يَأْذَنُ لَهُمْ بِالْانْصِرَافِ ،

ثُمَّ انْتَبَهَ لَهُمْ انْتِبَاهَةً ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَأَدْنَى مَجْلِسَهُ وَأَخْلَاهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، إِنِّي مُفَوِّضٌ إِلَيْكَ مِنْ سِرِّ عِلْمِي أَمْرًا

ما لو كان غيرك لم أُبْحَ له به ، ولكني رأيتك معدته فأطلعك طلعة فليكن
عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره ، إنني أجد في الكتاب
المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجنا دون غيرنا خبيراً
عظيماً وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ،
ولرهطك كافة ولك خاصة ،

فقال عبد المطلب : مثلك أيها الملك من سرّ وبرّ ، فما هو فداك أهل
الوبر زمراً بعد زمر ،

فقال : إذا وُلِدَ بتهامة غلامٌ بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم
به الدعامة إلى يوم القيامة .

ثم قال ابن ذي يزن : هذا حينه الذي يُولد فيه أو قد وُلِدَ فيه ، اسمه
« محمد » يموت أبوه وأمه ويكلفه جدّه وعمّه ، وقد وُلِدَ سراراً ، والله باعته
جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، ليعز بهم أولياؤه ، ويذل بهم أعداءه ،
يضرب بهم الناس عن عرض ، ويستفتح بهم كرائم الأرض ، يكسر
الأوثان ، ويخمد النيران ، ويعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان ، قوله فصل ،
وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطلب : أيها الملك عزّ جدك وعلا كعبك ، ودام
ملكك ، وطال عمرك ، فهل الملك ساري بإفصاح فقد أوضح لي بعض
الإيضاح ، فقال ابن ذي يزن : والبيت ذي الحُجُب والعلامات على النُصْب ،
إنك يا عبد المطلب لجدّه غيرُ كذب .

قال : فخرٌ عبد المطلب ساجداً فقال له : ارفع رأسك ، ثلج صدرك
وعلا أمرك ، فهل أحسستَ شيئاً ممّا ذكرته ؟ فقال : كان لي ابنٌ و كنتُ به
معجباً وعليه رفيقاً فزوَّجته بكريمةٍ من كرائم قومي اسمها « آمنة بنت
وهب » فجاءت بغلامٍ سمَّيته محمّداً ، مات أبوه وأُمُّه وكفلته أنا وعمُّه ،
فقال ابن ذي يزن : إنّ الذي قلتُ لك كما قلتُ لك ،

فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم
عليه سبيلاً ، واطو ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنني لستُ
آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرئاسة ، فيطلبون له الغوائل
وينصبون له الحبائل ، وهم فاعلون أو أبناؤهم ، ولولا علمي بأنّ الموت
مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى صرتُ يشرب دار ملكه نصرةً
له ،

لكنني أجدُّ في الكتاب الناطق والعلم السابق أنّ يشرب دارُ ملكه ،
وبها استحكامُ أمره وأهل نصرته وموضع قبره ،
ولولا أنني أخافُ فيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنتُ على
حدائثِ سنِّه أمره في هذا الوقت ولأوطئن أسنان العرب عقبه ولكنني صارفٌ
إليك عن غير تقصير مني بمن معك .

وقال :

إذا حال الحولُ فائتني ، فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول .
قال : فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش لا يغبطني رجلٌ

منكم بجزيل عطاء الملك وإنْ كُثِرَ فإنه إلى نفاذ ، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبى من بعدي ذكره وفخره وشرفه . وإذا قيل متى ذلك ؟ قال : ستعلمُنَّ نبأ ما أقول ولو بعد حين ^{٨٦} .

فهذا واحدٌ من معاني البشرى المخزونة بالنبي ﷺ ، ولفتة إلى حقيقة الترقُّب الذي كانت عليه وجوه مختلفة من هنا وهناك كلها تعيش الإنتظار ، وتدعو إلى حقيقة النزول على أمر محمد النبي ﷺ .

تماماً على نفس السكَّة من انتظار البشرى التي ترسَّخت في السنن الإلهية وصلبَ عودُها واشتدَّ نباتُها في تاريخ الأمم .

ومعنى هذا أنَّ الإنتظار ظاهرةٌ وجوديةٌ راسخة ، وسنةٌ إلهيةٌ ، وطريقة ربَّانيةٌ ممهورةٌ في تاريخ الأمم ، وحقيقة قائمةٌ في دورات النبیین والأوصياء عليهم السلام ،

وقد بدت هذه الصورة ظاهرةً صريحةً في انتظار كثيرٍ من وجوه الأمم لزمن محمد النبي ﷺ ، ليس في بلاد العرب فحسب ، بل بذلك قالت اليهود وشاعَ خبرها ،

وكذا فاخرت كثيرٌ من النصارى ورهبانها ، وبها قال هرقل وافتتح الخبر ، وقالت وجوهٌ مختلفة من أهل الملك والسلطان وأهل العلم والآثار .

^{٨٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧٧ - ١٨٢

بل كانت صوامع الرهبان تخطُّ طريقَ بلاد العرب انتظاراً للنبيِّ
الموعود .

الرهبان : بحيرا وغيره وقصة الإنتظار

وفي قصة « بحيرا » وغيره دلالةٌ على معنى هذا الرابط التاريخي
وقيمة العلامات التي كانوا يحملونها تفتيشاً عن النبيِّ الموعود ، والتزاماً
لمعنى الإنتظار . وفي هذا المجال يقول الصدوق في خبر بحيرى الراهب : «
وكان بحيرى الراهب ممن قد عرفَ النبيَّ ﷺ بصفته ونعته ونسبه واسمه
قبل ظهوره بالنبوة ، وكان من المنتظرين لخروجه »^{٨٧} .

وفي رواية ابن عباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، عن أبي
طالب قال : « خرجت إلى الشام تاجراً سنة ثمان من مولد النبي ﷺ ،
فلما قربنا من بصرى الشام إذا نحن بصومعة وإذا فيها راهب ، وكانت
السحابة لا تفارق رسولَ الله ﷺ ، وكان الراهبُ لا يكلمُ الناس ولا يدري
ما الركب ولا ما فيه من التجارة ، قال : فلما نظر إلى النبي ﷺ عرفه
فسمعه يقول : إن كان أحد فانت أنت . قال : فنزلنا تحت شجرة عظيمة

^{٨٧} كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٧٧ - ١٨٢

^{٨٨} وكان في أشد ما يكون من الحر ، فلما أجمعت على السير قال لي رجال من قومي : ما تريد أن تفعل بمحمد وعلى من تخلفه ؟ فقلت : لا أريد أن أخلفه على أحدٍ من الناس أريد أن يكون معي ، فقيل : غلام صغير في حر مثل هذا تخرجه معك ؟ فقلت : والله لا يفارقني حيثما توجهت أبداً فاني لأوطئ له الرجل ، فذهبت فحشوت له حشية كساء وكتانا ، وكنا ركباناً كثيراً فكان والله البعير الذي عليه محمد أمامي لا يفارقني .

قريبة من الراهب قليلة الأغصان ليس لها حمل ، وكانت الركبان ينزلون تحتها ، فلما رأى بحيرى الراهب ذلك ، ذهب فاتخذ لرسول الله ﷺ طعاماً بقدر ما يكفيه . ثم جاء وقال : مَنْ يتولّى أمرَ هذا الغلام ؟ فقلت : أنا ، فقال : أيُّ شَيْءٍ تكون منه ؟ فقلت : أنا عمُّه فقال : يا هذا إنّ له أعمام فأَيُّ الأعمام أنت ؟ فقلت : أنا أخو أبيه من أمٍّ واحدة ، فقال : أشهدُ أنه هو وإلا فليست بحيرى . ثم قال لي : يا هذا تَأْذَن لي أن أَقْرِب هذا الطعام منه لِيَأْكُله ؟ فقلت له : قَرِّبه إليه ، ورأيتَه كارهاً لذلك ، والتفتُ إلى النبي ﷺ فقلت : يا بني رجلٌ أحبُّ أن يُكْرِمَكَ فُكُل ، فقال : هو لي دون أصحابي ؟ فقال بحيرى : نعم هو لك خاصّة ، فقال النبي ﷺ : فإني لا آكل دون هؤلاء ..

إلى أن قال : وبحيرى قائمٌ على رأس رسولِ الله ﷺ يذبُّ عنه ، وفي كلِّ ساعةٍ يُقْبَلُ رأسُهُ ويافوخه ، ويقول : هُو هو وربُّ المسيح . والناس لا يفقهون ، فقال له رجلٌ مِنَ الركب : إنّ لك لشأناً قد كُنَّا نمرُّ بِكَ قبلَ اليوم فلا تفعل بنا هذا البر ؟ فقال بحيرى : والله إنّ لي لشأناً وشأناً ، وإني لأرى ما لا ترون ، وأعلم ما لا تعلمون ، وإنّ تحت هذه الشجرة لغلاماً لو أنتم تعلمون منه ما أعلم لحملتموهُ على أعناقكم حتى تردُّوه إلى وطنه ، والله ما أكرمتكم إلا له ، ولقد رأيتُ له - حين أقبل - نوراً أضاء له ما بين السماء والأرض ، ثمّ هذه السحابة لا تفارقه ، ثمّ هذه الحياض التي غارت وذهبت ماؤها أيّام تمرّج بني إسرائيل بعد الحواريين حين وردوا عليهم فوجدنا في كتاب شمعون الصفا أنه دعا عليهم فغارت وذهب ماؤها .

ثم قال : متى ما رأيتم قد ظهر في هذه الحياض الماء فاعلموا أنه لأجل نبي يخرج في أرض تهامة مهاجراً إلى المدينة اسمه في قومه الأمين وفي السماء أحمد ، وهو من عترة إسماعيل بن إبراهيم لصلبه . فوالله إنه لهو . ثم قال بحيرى : يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنيها ، فغضب رسول الله ﷺ عند ذكر اللات والعزى وقال : لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما ، وإنما هما صنمان من حجارة لقومي ، فقال بحيرى : هذه واحدة ، ثم قال : فبالله إلا ما أخبرتني ، فقال : سل عما بدا لك فإنك قد سألتني بإلهي وإلهك الذي ليس كمثله شيء ، فقال : أسألك عن نومك ويقظتك ، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه ، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التي عنده ، فانكب عليه بحيرى ، فقبل رجله وقال :

يا بني ، ما أطيبك وأطيب ريحك ، يا أكثر النبيين أتباعاً ، يا من بهاء نور الدنيا من نوره ، يا من بذكروه تعمر المساجد ،
كأنني بك قد قدت الأجناد والخيول وقد تبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً وكأني باللات والعزى وقد كسرتهمما وقد صار البيت العتيق لا يملكه غيرك تضع مفاتيحه حيث تريد ،
كم من بطل من قريش والعرب تصرعته ،
معك مفاتيح الجنان والنيران ، معك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام ،
أنت الذي لا تقوم الساعة حتى تدخل الملوك كلها في دينك صاغرة قميثة .

قال : فلم يزل يُقبَّل يديه مرّةً ومرّةً ويقول : لئن أدركتُ
زمانك لأضربنَّ بين يديك بالسيف ضرب الزند بالزند ، أنت سيّدُ ولد آدم
وسيّدُ المرسلين وإمامُ المتقين وخاتم النبيين ، والله لقد ضحكت الأرضُ
يوم وُلدتَ فهي ضاحكةٌ إلى يوم القيامة فرحاً بك ، والله لقد بكت البيعُ
والأصنامُ والشياطين فهي باكيةٌ إلى يوم القيامة ، أنت دعوةُ إبراهيم وبشرى
عيسى ، أنت المُقدَّسُ المطهَّرُ من أنجاس الجاهلية .

قال : ثم التفتَ إلى أبي طالب وقال : ما يكون هذا الغلام منك ؟
فإني أراك لا تفارقه ، فقال أبو طالب : هو ابني ، فقال : ما هو بابنك وما
ينبغي لهذا الغلام أن يكون والده الذي ولدهُ حياً ولا أمُّه فقال : إنه ابنُ أخي
وقد مات أبوه وأمُّه حاملةً به ، وماتت أمُّه وهو ابن ست سنين ، فقال :
صدقت هكذا هو ، ولكن أرى لك أن تردّه إلى بلده عن هذا الوجه ، فإنه ما
بقي على ظهر الأرض يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ولا صاحبُ كتابٍ إلا وقد علم
بولادة هذا الغلام ، ولئن رأوه ، وعرفوا منه ما قد عرفتُ أنا منه ليبغينه شراً ،
وأكثر ذلك هؤلاء اليهود . فقال أبو طالب : ولمَ ذلك ؟ قال : لأنه كائنٌ لابن
أخيك هذا النبوة والرسالة ويأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى
وعيسى ^{٨٩} .

^{٨٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٨٨ * وكذا بسنده عن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جده أن أبا طالب قال : لما فارقه بحيرى بكى بكاء شديداً وأخذ يقول : يا ابن آمنة كأنني بك وقد رمتك العرب بوترها ، وقد قطعك الأقارب ، ولو علموا لكنت لهم بمنزلة الأولاد ثم التفت إلي وقال : أما أنت يا عم فارغ فيه قرابتك الموصولة واحتفظ فيه وصية أهلك فإن قريشاً ستهجرك فيه فلا تبال . وفي رواية ابن أبي عمير ، عن

وكذا في طوائف كثيرة من الأخبار تتحدث عن شهادة المنتظرين
من الرهبان والبطارقة وغيرهم ممن كانوا على موعدة مع الصفات التامة
لمجيب النبي الخاتم^{٩٠}.

أبان بن عثمان يرفعه قال : لما بلغ رسول الله ﷺ أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في غير قريش ، فجاء رسول الله ﷺ وتشبث بالزمام وقال : يا عم علي من تخلفني لا على أم ولا على أب ، وقد كانت أمه توفيت ، فرق له أبو طالب ورحمه وأخرجه معه وكانوا إذا ساروا تسير إلى رأس رسول ﷺ غمامة تظله من الشمس ، فمروا في طريقهم برجل يقال له : بحيرى فلما رأى الغمامة تسير معهم نزل من صومعته . نخذ لقريش طعاماً وبعث إليهم يسألهم أن يأتوه ، وقد كانوا نزلوا تحت شجرة فبعث إليهم يدعوهم إلى طعامه فقالوا له : يا بحيرى والله ما كنا نعهد هذا منك ، قال قد أحببت أن تأتوني ، فأتوه وخلفوا رسول الله ﷺ في الرحل ، فنظر بحيرى إلى الغمامة قائمة ، فقال لهم : هل بقي منكم أحد لم يأتني ؟ فقالوا : ما بقي منا إلا غلام حدث خلفناه في الرحل ، فقال : لا ينبغي أن يتخلف عن طعامي أحد منكم ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فلما أقبل أقبلت الغمامة ، فلما نظر إليه بحيرى قال : من هذا الغلام ؟ قالوا : ابن هذا ، وأشاروا إلى أبي طالب ، فقال له بحيرى : هذا ابنك ؟ قال أبو طالب : هذا ابن أخي ، قال : ما فعل أبوه ؟ قال : توفي ، وهو حمل ، فقال بحيرى لأبي طالب : رد هذا الغلام إلى بلاده فإنه إن علمت به يهود ما أعلم منه قتله ، فإن لهذا شأن من الشأن ، هذا نبي هذه الأمة . وكذا رواية الشيخ الصدوق قال : لما جرى للنبي ﷺ مع حبر عظيم اسمه « نسطورا » حيث جلس ينظر إلى النبي ﷺ ولا يكلمه بشيء ، حتى فعل ذلك ثلاثة أيام متوالية ، فلما كانت الليلة الثالثة لم يصبر حتى قام إليه فدار خلفه كأنه يلتمس منه شيئاً ، قال أبو طالب : فقلت له : يا راهب كأنك تريد منه شيئاً ؟ فقال : أجل إنني أريد منه شيئاً ما اسمه ؟ قلت : محمد بن عبد الله ، قال : فتغير والله لونه ، ثم قال : فترى أن تأمره أن يكشف لي عن ظهره لأنظر إليه ، فكشف عن ظهره ، فلما رأى الخاتم انكب عليه يقبله ويبكي ، ثم قال : يا هذا أسرع برد هذا الغلام إلى موضعه الذي وُلد فيه فإنك لو تدري كم عدو له في أرضنا لم تكن بالذي تقدمه معك . قال : « وعجلت به حتى رددته إلى مكة » .

^{٩٠} منها ما رواه بكر بن عبد الله الأشجعي ، عن آباه قالوا : خرج سنة رسول الله ﷺ وعبد مائة بن كنانة ، نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نعمانة بن عدي تجاراً إلى الشام فلقيهما أبو المويهب الراهب فقال لهما : من أنتم ؟ قالوا : نحن تجار من أهل الحرم من قريش ، فقال لهما : من أي قريش ؟ فأخبراه ، فقال لهما : هل قدم معكما من قريش غيركما ؟ قالوا : نعم شاب من بني هاشم اسمه محمد ، فقال أبو المويهب ، إياه والله أردت ، فقالوا : والله ما في قريش أخمل ذكراً منه ، إنما يسمونه يتيم قريش ، وهو أجير لامرأة منا يُقال لها : خديجة ، ثم قالوا : فما حاجتك إليه ؟ فأخذ يحرك رأسه ويقول : هو هو ، فقال لهما : تدلاني عليه ، فقالوا : تركناه في سوق بصرى ، فبينما هم في الكلام إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فقال : هو هذا ، فخلأ به ساعة يناجيه ويكلمه ، ثم أخذ يقبل بين عينيه وأخرج شيئاً من كفه لا ندري ما هو ورسول الله ﷺ يبأى أن يقبله ، فلما فارقه قال لنا : تسمعان مني ؟ هذا والله نبي آخر الزمان ، والله سيخرج قريباً فيدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإذا رأيتم ذلك فاتبعوه ، ثم قال : هل وُلد لعمة أبي طالب وُلد

سطيح الكاهن وانتظار النبي محمد ﷺ

وعلى هذا المعنى تُنبؤنا المتون عن انتظار « سطيح الكاهن » ،
وقصته مشهورة مذكورة في شتى الكتب ، وفي رواية الشيخ الصدوق عن
مخزوم بن هاني المخزومي ، عن أبيه قال :

« لما كانت الليلة التي وُلدَ فيها رسولُ الله ﷺ ارتجسَ إيوانُ
كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرافة ، وغاضت بحيرة ساوه ، وخمدت
نارُ فارس ، ولم تخمد قبل ذلك مدة ألف سنة ، وقد رأى « الموبدان » إبلاً
صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها ، فلما أصبح «
كسرى » هاله ما رأى فتصبر عليها تشجعاً ، ثم رأى أن لا يستر ذلك عن
وزرائه ، فلبس تاجه وقعد على سريرهِ وجمعهم وأخبرهم بما رأى ، فبينما
هم كذلك ، إذ وردَ عليه الكتابُ بخمود نارِ فارس ، فازدادَ غمّاً إلى غمهِ
وقال الموبدان : وأنا - أصلحَ اللهُ الملكَ - قد رأيتُ في هذه الليلة رؤياً ، ثم
قصَّ عليه رؤياهُ في الإبل والخيل ،

فقال : أيُّ شئٍ يكونُ هذا يا موبدان - وكان الموبدان أعلمهم في

أنفسهم - ؟؟ .

يقال له علي ؟ فقلنا : لا . قال : إما أن يكون قد وُلدَ أو يُولد في سنته هو أوّل من يؤمن به ، نعرفه وإنما لنجد صفته عندنا
بالوصية كما نجد صفة محمد بالنبوة ، وإنه سيّد العرب وربانيها وذو قرنيها ، يعطي السيف حقّه ، اسمه في الملأ الأعلى
علي ، هو أعلى الخلائق بعد الأنبياء ذكراً ، وتسميه الملائكة البطل الأزهر المفلج ، لا يتوجّه إلى وجهٍ إلا أفلج وظفر ،
والله لهو أعرف بين أصحابه في السماء من الشمس الطالعة [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٩٠ -

فقال : حادثٌ يكون في ناحية العرب .

فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك إلى نعمان بن المنذر :
أمّا بعد ، فوجّه إليّ برجلٍ عالمٍ بما أريد أن أسأله عنه .

قال : فوجّه إليه بـ « عبد المسيح » بن عمرو بن حيان بن نفيلة
الغساني . قال : فلما قدم عليه قال : عندك علم ما أريد أن أسألك عنه ؟ قال :
ليسألني الملك أو ليخبرني ، فإنّ كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن
يعلمه . قال : فأخبره بما رأى ، فقال : علمٌ ذلك عند خالٍ لي يسكن
بمشارف الشام يقال له : سطيح .

قال : فأتيه فاسأله وأخبرني بما يردُّ عليك .

قال : فخرج عبد المسيح حتى وردَ على سطيح ، وقد أشرف على
الموت ، فسلمَّ عليه وحيّاهُ ، وأخبره ما جاء به ،
فلمّا سمع سطيح قوله فتح عينيه وقال :

عبد المسيح على جملٍ

يسيح إلى سطيح ،

وقد أوفى على الضريح ،

بعثك ملكُ بني ساسان

لارتجاس الأيوان ،

وخمود النيران ،

ورؤيا الموبدان ،

رأى إبلاً صعباً ،
تقوُّدُ خيلاً عراباً ،
قد قطعت الدجلة ،
وانتشرت في بلادها ،
وغازت بحيرة ساوه ،

فقال :

يا عبد المسيح ،
إذا كثرت التلاوة ،
وُبِعِثَ صاحبُ الهراوة ،
وفاضَ وادي سماوه ،
وغازت بحيرة ساوه ،
فليس الشامُ لسطيح شاماً ،
يملك منهم ملوك ،
وملكات على عدد الشرفات ،
وكلما هو آت آت ،

قال : ثم قضى سطيح مكانه ، فنهض عبد المسيح إلى رحله^{٩١} . فلما
قدم على كسرى أخبره بما قال سطيح .

^{٩١} ويقول : شمّر فإنك ماضي العزم شمير * لا يفزعنك تفريق وتغيير . إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم * فان ذا الدهر
أطوار دهارير . وربما كان قد أضحوا بمنزلة * نهاب صولهم الأسد المهاصير . منهم أخو الصرح بهرام وإخوته *

فقال : إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور . قال :
فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقيون إلى إمارة عثمان . وكان
سطيح ولد في سيل العرم ، فعاش إلى ملك ذي نواس ، وكان مسكنه
بالبحرين^{٩٢} .

وأمثال هذه المتون كثيرة ، وهي صريحة في صفحة الإنتظار
ومعناها وسنة السماء في هذا النحو من انتظار النبوات وأولياء الله العظماء
ومن أعددهم الله للقيام بأمره .

تخفي النبي ﷺ بعد نبوته وإعلانه في المهدي والأئمة من ولده

لا بل حتى بعد نبوته ﷺ تخفي ثلاث سنين خائفاً يترقب ، يعبد
الله سرّاً ، وفي رواية محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ما أجاب
رسول الله ﷺ أحدٌ قبل علي بن أبي طالب وخديجة عليها السلام ولقد مكث
رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقب ، ويخاف قومه
والناس^{٩٣} . وهذا تتمّة إضافية في سياق الإنتظار ، فيما كان القوم من
الكهّان والعلماء وغيرهم ينتظرون قدومه .

والهرمزان وسابور وسابور . والناس أولاد علات فمن علموا * أن قد أقل فمحذور ومهجور . وهم بنو الام لما ان رأوا
نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور . والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور .

^{٩٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٩١ - ١٩٦ * فيزعم عبد القيس أنه منهم ، وتزعم الأزدي أنه منهم ،
وأكثر المحذنين قالوا : هو من الأزدي ولا يدري ممّن هو ، غير أن عقبه يقولون : نحن من الأزدي .

^{٩٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٨ * وفي رواية عبيد الله بن علي الحلبي قال : سمعت أبا عبد الله
عليه السلام يقول : مكث رسول الله ﷺ بمكة بعد ما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة منها ثلاث سنين

وكما انتظرَ الرهبانَ والبطارقة الرسولَ ﷺ أخبرنا النبيُّ ﷺ عن
الإنتظار الذي أعدّه الله تعالى لآخر الزمان ، إتماماً لسنة السماء في هذا
المعنى الذي جرى منذ أوّل الأرض ، وعلى سكة النبوات ودورتها .

وفي هذا المعنى من بيان النبيِّ ﷺ لغيبة ولده المهدي جاءت
روايات متواترة شديدة الظهور والبيان ، منها ما رواه سعيد بن جبير ، عن
عبد الله بن العباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله تبارك وتعالى اطّلعَ
إلى الأرض إطلاعةً فاخترني منها فجعلني نبياً ، ثم اطّلع الثانيةً فاختر منها
عليّاً فجعله إماماً ، ثم أمرني أن أتخذهُ أخاً وولياً ووصياً وخليفةً ووزيراً ،
فعليٌّ مني وأنا من علي ، وهو زوج ابنتي ، وأبو سبطي الحسن والحسين .

ثمّ قال ﷺ : ألا وإنّ الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حُجَجاً على
عباده ، وجعل من صلب الحسين أئمةً يقومون بأمري ، ويحفظون وصيّتي :
التاسعُ منهم قائمُ أهل بيتي ، ومهديُّ أمّتي أشبهُ الناس بي في شمائله وأقواله
وأفعاله ، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة ، فيعلن أمر الله ، ويظهر دين الله
عزّ وجل ، يُؤيّد بنصر الله ويُنصر بملائكة الله ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً
كما ملأت جوراً وظلماً^{٩٤} . وكذا في متون كثيرة تشير إلى صفاتٍ وعناوين
تامة في معنى الإمامة المعظمة ، إلى أن يتوقف النبيُّ ﷺ عند المهديِّ

مخفياً خائفاً لا يظهر حتى أمره الله عز وجل أن يصدع بما أمره به ، فأظهر حينئذ الدعوة * [كمال الدين وتمام النعمة -
الشيخ الصدوق - ص ٣٤٤ - ٣٤٥].

^{٩٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٥٧ - ٢٦٠

المهدي عليه السلام فيركز على غيبته التي يطول زمنها ثم يؤكد وظيفته الكبرى بعد الغيبة حيث يخرج على أثرها فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً .

والأهم أن كثرة الأخبار النبوية ركزت على ثقل الإمامة وموقعها ومقامها الرباني وضرورتها من الدين . وفي الرواية عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حدثني جبرائيل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله أنه قال : من علم أن لا إله إلا أنا وحدي ، وأن محمداً عبدي ورسولي ، وأن علي بن أبي طالب خليفتي ، وأن الأئمة من ولدي حججتي ، أدخله الجنة برحمتي ، ونجيت من النار بعفوي ، وأبحث له جوارِي ، وأوجب له كرامتي ، وأتممت عليه نعمتي ، وجعلته من خاصتي وخالصتي . إن ناداني لبّيته ، وإن دعاني أجبتة ، وإن سألتني أعطيتة ، وإن سكت ابتدأته ، وإن أساء رحمتي ، وإن فرّمني دعوته ، وإن رجع إليّ قبلته وإن قرع بابي فتحتة ،

ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي أو شهد بذلك ولم يشهد أن محمداً عبدي ورسولي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب خليفتي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولدي حججتي فقد جحد نعمتي ، وصغر عظمتي ، وكفر بآياتي وكتبي ، إن قصدني حجبتة ، وإن سألتني حرمتي ، وإن ناداني لم أسمع نداءه ، وإن دعاني لم أستجب دعاءه ، وإن رجاني خيبته ، وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلام للعبيد .

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله ، ومن الأئمة من ولد علي ابن أبي طالب ؟ قال ﷺ : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ثم سيّد العابدين في زمانه علي بن الحسين ، ثم الباقر محمد بن علي وستدركه يا جابر ، فإذا أدركته فأقرئه مني السلام ، ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم الكاظم موسى بن جعفر ، ثم الرضا علي بن موسى ، ثم النبي محمد بن علي ، ثم النقي علي بن محمد ، ثم الزكي الحسن بن علي ، ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمّتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً ، هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي ، من أطاعهم فقد أطاعني ، ومن عصاهم فقد عصاني ، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني ، بهم يمسك الله عز وجل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها^{٩٥} .

وهذه كغيرها من الأخبار تؤكد مركز الإمامة وضرورته وعظمته ، وتشير بلفظ تام إلى عظيم أمر المهدي وضرورة انتظاره واتباع أمر الله وأمر

^{٩٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٥٧ - ٢٦٠ * وبهذا المعنى ما رواه يحيى بن أبي القاسم عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم ، هم خلفائي وأوصيائي وأوليائي ، وحجج الله على أمّتي بعدي ، المقر بهم مؤمن ، والمنكر لهم كافر . وفي رواية عن محمد بن الفضيل عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : يا علي أنت والأئمة من ولدك بعدي حجج الله عز وجل على خلقه ، وأعلامه في بريته ، من أنكر واحداً منكم فقد أنكرني ، ومن عصى واحداً منكم فقد عصاني ، ومن جفا واحداً منكم فقد جفاني ، ومن وصلكم فقد وصلني ، ومن أطاعكم فقد أطاعني ، ومن والاكم فقد والاني ، ومن عاداكم فقد عاداني لأنكم مني خلقتُم من طينتي وأنا منكم [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٣] .

النبوة وأمر الإمامة انتظاراً لأمره المعظم ، فمن أتم أمر الله في الإمامة فاز فوزاً عظيماً .

وهذا يعني كبير ما عليه الإمامة وركيزتها ، وهو ما دفع أهل البيت وسيدهم الإمام علي أن يذكر الخلق بصريح القرآن والوصية النبوية في الإمامة ووجوب انتظار الثاني عشر منهم ، ففي رواية الأصبح بن نباته قال : « خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ويده في يد ابنه الحسن عليه السلام وهو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ويدي في يده هكذا وهو يقول : خير الخلق بعدي وسيدهم أخي هذا (يعني علياً عليه السلام) ، وهو إمام كل مسلم ، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي .

ثم قال الإمام علي عليه السلام : ألا وإني أقول :

خير الخلق بعدي وسيدهم ابني هذا ، وهو إمام كل مؤمن ، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي ، ألا وإنه سيظلم بعدي كما ظلمت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن ابني : أخوة الحسين المظلوم بعد أخيه المقتول في أرض كربلاء ، إماماً إنه وأصحابه من سادة الشهداء يوم القيامة ، ومن بعد الحسين تسعة من صلبه خلفاء الله في أرضه وحججه على عباده ، وأمناءة على وحيه ، وأئمة المسلمين وقادة المؤمنين ، وسادة المتقين ، تاسعهم « القائم » الذي يملأ الله عز وجل به الأرض نوراً بعد ظلمتها ، وعدلاً بعد جورها ، وعلماً بعد جهلها .

ثم قال عليه السلام : والذي بعث أخى محمداً بالنبوة واختصني بالإمامة ،
لقد نزل بذلك الوحي من السماء على لسان الروح الأمين جبرائيل عليه السلام ،
ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله - وأنا عنده - عن الأئمة بعده فقال للسائل :
والسماوات ذات البروج إنَّ عددهم بعدد البروج ، ورب الليلي والأيام
والشهور إنَّ عددهم كعدد الشهور . فقال السائل : فمن هم يا رسول الله ؟

فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على رأسي فقال : أولهم هذا ، وآخرهم
المهدي . من والاهم فقد والاني ، ومن عاداهم فقد عاداني ، ومن أحبهم
فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني ، ومن أنكرهم فقد أنكرني ، ومن
عرفهم فقد عرفني ، بهم يحفظ الله عز وجل دينه ، وبهم يعمر بلاده ، وبهم
يرزق عباده ، وبهم نزل القطر من السماء ، وبهم يخرج بركات الأرض ،
هؤلاء أصفيائي وخلفائي وأئمة المسلمين وموالي المؤمنين ^{٩٦} .

بحيث تجد الأخبار ذات تركيز كثيف على أمر المهدي عليه السلام
وانتظاره وهو الذي أعدّه الله لوظيفة قرنهما بالقرب من ختام الأرض وإقبال
علامات القيامة وسوق إنسان الكون نحو أعلى معاني الكمال الوجودي ،
لما تعنيه تلك المحطة العظمى من طلة مصيرية مذهلة على عالم الله
المحتوم . والأخبار النبوية في المهدي وغيبته وضرورة انتظاره أكثر من أن
تحصى ، ففي جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

^{٩٦} كمال الدين ونعمان النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٥٧ - ٢٦٠

« المهديُّ من ولدي ، اسمه اسمي ، وكنيته كنيتي ، أشبه الناس بي خلقاً وخُلُقاً ، تكون به غيبةٌ وحيرةٌ تضلُّ فيها الأمم ، ثم يُقبل كالشهاب الناقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملأت جوراً وظلماً »^{٩٧} .

وتؤكد المتون المحمّديّة على وجوب الإلتزام بالمهديّ عليه السلام ، والتسليم لله تعالى ، والتزام شرع الله ، وإحياء السنّة النبويّة ، وحفظ أمر الله في شتى معاني القيم والمبادئ والسلوك المفترض في أصل الإستخلاف على الخلق ، بما في ذلك أنّ يتولى أولياء الله ويُعادي أعداء الله زمن الغيبة ، ففي رواية أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي ، وهو يأتّم به في غيبته قبل قيامه ويتولّى أوليائه ، ويعادي أعداءه ، ذلك من رفقائي وذوي مودّتي وأكرم أمّتي عليّ يوم القيامة »^{٩٨} .

بل تؤكد المتون أنّ الإيمان بالمهديّ عليه السلام هو من صلب القرآن ومخزونه التام ، وفي رواية داود بن كثير الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ (٣/٢) قال عليه السلام : « من أقر بقيام القائم أنه حقّ »^{٩٩} .

^{٩٧} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٦

^{٩٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٦ * وكذا في رواية سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه ، يأتّم به ويأتمه الهدى من قبله ، ويبصر إلى الله عز وجل من عدوّهم أولئك رفقائي وأكرم أمّتي عليّ » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٦ - ٢٨٧] .

^{٩٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٠

وفي رواية يحيى بن أبي القاسم قال : سألتُ الصادقَ عليه السلام عن قول
الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ ۖ فَلْيَرْجِعْ فِيهَا فَلْيَتَمَتَّعْ ۚ ﴾ (١/٢) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
﴿ ٢/٢ ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿ ٣/٢ ﴾ فقال عليه السلام : المتَّقون شيعةُ علي
عليه السلام ، والغيب فهو الحجة الغائب عليه السلام . وشاهد ذلك قول الله عز وجل : ﴿
وَقُلُوبُنَا لَا تُؤْمِنُ بِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُ بِأُلُوفِهِمْ ۚ ﴾ (٢٠/١٠) «^{١٠٠}

وأينما حطَّ البصرُ على المتون فإنك تجد وصيةَ النبي صلى الله عليه وآله في ولده
المهدي عليه السلام وتأكيده على غيبته ووجوب القيام بلازم أمر الإسلام وشرط
الغيبة ، ففي رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عن آباءه عليهم السلام قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله : « المهدي من ولدي ، اسمه اسمي ، وكُنيتي كُنيتي ، أشبه
الناس بي خلقاً وخلُقاً ، تكون له غيبةٌ وحيرة حتى تضلَّ الخلق عن أديانهم ،
فعند ذلك يُقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً
وجوراً »^{١٠١} .

وتؤكد الأخبار أنَّ تلك الغيبة التي تقع في المهدي عليه السلام يكون فيها
حيرة ، فمن تمسك بالقرآن والعترة النبوية نجا ومن تخلف هلك . مشيرةً أنَّ
المهدي عليه السلام يأتي بدخيرة الأنبياء عليهم السلام ويقوم بهدي السماء ، وفي رواية
صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ، عن أبيه سيّد

^{١٠٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٠ - ٣٤١

^{١٠١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٧

العابدين علي بن الحسين ، عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي ، عن أبيه سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « المهديُّ من وُلدي ، تكون له غيبةٌ وحيرةٌ تضلُّ فيها الأمم ، يأتي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلأت جوراً وظلماً »^{١٠٢} .

وقد أشرنا إلى أنّ معنى انتظار الفرج القيام بأمر الإسلام ، والتزام القرآن والعترة النبويّة تماماً على نسق ولاية الثقلين المتواترة في مجامع الرواية عند السنّة والشريعة والتي تُلزم كلّ الخلق النزولَ على أمر الله المكون في الثقلين وعلى سعة ولايتهما . وبهذا المعنى أكّدت الأخبار أنّ أفضل العبادة انتظار الفرج ، منها ما رُوِيَ بأسناد كثيرة عن الإمام علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أفضلُ العبادة انتظارُ الفرج »^{١٠٣} .

نعم تشير متونٌ كثيرة إلى أنّ المنتظرين للمهديّ عليه السلام زمنَ غيبتهِ أندر من الكبريت الأحمر ، وذلك إشارة إلى انحراف العالم ، بما في ذلك أكثرية المسلمين عن ضرورات هذه المحطة المعظمة والفريضة الكبرى ، ففي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن علي بن أبي طالب عليه السلام إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي ، ومن وُلده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلأت جوراً

^{١٠٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٧

^{١٠٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٧

وظلماً ، والذي بعثني بالحق بشيراً إنَّ الثابتين على القول به في زمان غيبته
لأعزُّ من الكبريت الأحمر .

قال : فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله وللقائم
من وُلدِكَ غيبة ؟ قال ﷺ : « إي وربِّي ، ولیمحص اللهُ الذين آمنوا
ويمحق الكافرين . يا جابر : إنَّ هذا الأمرُ أمرٌ من أمر الله وسرٌّ من سرِّ الله ،
مطويٌّ عن عباد الله ، فأياك والشك فيه ، فإنَّ الشكَّ في أمر الله عزَّ وجل
كفر »^{١٠٤} .

وفي هذا المعنى روى الكاهلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
« تواصلوا وتباروا وتراحموا ، فوالذي فلقَ الحبة وبرأ النسمة ليأتينَّ عليكم
وقتٌ لا يجد أحدكم لديناره ودرهمه موضعاً - يعني لا يجد له عند ظهورِ
القائم عليه السلام موضعاً يصرفه فيه لاستغناء الناس جميعاً بفضل الله وفضل وليِّه .
فقلت : وأنى يكون ذلك ؟ فقال : عند فقدكم إمامكم ، فلا تزالون كذلك
حتى يطلع عليكم كما تطلع الشمس آيس ما تكونون ، فأياكم والشك
والارتياب ، وانفوا عن أنفسكم الشكوكَ وقد حذرتكم فاحذروا » ثمَّ قال
الشيخ النعماني : « فليُنظر الناظرُ إلى هذا النهي عن الشكِّ في صحَّةِ غيبة
الغائب عليه السلام وفي صحَّةِ ظهوره ، وإلى قوله بعقبِ النهي عن الشك فيه : «
وقد حذرتكم فاحذروا » يعني من الشك ، نعوذ بالله من الشك والارتياب

^{١٠٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٧ - ٢٨٨

ومن سلوك جادة الطريق الموردة إلى الهلكة ، ونسأله الثبات على الهدى
وسلك الطريقة المثلى التي توصلنا إلى كرامته مع المصطفين من خيرته
بمنه وقدرته «^{١٠٥} .

وعليه : فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَسِرُّهُ ، وحفظَ الله ورسوله ﷺ في أوليائه و
الأئمة الإثني عشر عليهم السلام الذين تواترَ الحديث النبوي بهم أنهم خلفاءُ الله في
شئى كتب الرواية بما في ذلك صحاح ومسانيد السنة والشيعه ، فقد آمنَ
وأتمَّ أمرَ الله وكان من أعظم الناس يقيناً بدليل أخبار رسول الله ﷺ ، وفي
رواية حماد بن عمرو ، عن الإمام جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ،
عن علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث طويل في وصية النبي ﷺ ذكر
فيها أن رسولَ الله ﷺ قال له :

« يا علي ، اعلم أن أعجبَ الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً ، قومٌ
يكونون في آخر الزمان ، لم يلحقوا النبي ، وحجبتهم الحجة ، فأمنوا بسوادٍ
على بياض »^{١٠٦} .

لاحظ ، الحديث يؤكد أن حجَّتهم المهدي محجوبٌ عنهم ، أي
زمن الغيبة ، فيما النبي قد سبقهم ، وكذا الأئمة السابقون ، ومع ذلك آمنوا
بدليل العقل والنقل ، وأتموا أمرَ الله تعالى على أعظم ما يُفترض أن يكون ،
فوصفهم النبيُّ بالأعظم يقيناً .

^{١٠٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٢ - ١٥٣

^{١٠٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٨

وكذا تمام أمر الغيبة في متون هي من أعلى الدرجات تواتراً ، منها ما ذكر على سبيل العرض ضمن لحظة تأمل من المعصوم عليه السلام مثل مروية الأصبح لما وجد الإمام علي متفكراً ، ثم أشار إلى غيبة المهدي وعظمة الموقف وكبير ما أعدّه الله له ^{١٠٧} .

وتؤكد تلك الأخبار أنّ حجّة الله تعالى لا تنقطع عن الخلق ، لكنّ أوليائه يكونون إمّا بين قائم مشهور ، أو خائف مغمور ، ورواية كميل بن زياد عن الإمام علي عليه السلام مشهورة مركوزة في كافة المتون ^{١٠٨} ، وفيها يقول : « اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم بحجّة : إمّا ظاهر مشهور أو

^{١٠٧} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٩ * عن الأصبح ابن نباتة قال : أتيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدته متفكراً ينكت في الأرض ، فقلت : يا أمير المؤمنين مالي أراك متفكراً تنكت في الأرض أرغبت فيها ؟ فقال : لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط ولكن فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي ، هو المهدي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، تكون له حيرة وغيبة ، يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون ، فقلت : يا أمير المؤمنين وإن هذا لكائن ؟ فقال : نعم كما أنه مخلوق وأنى لك بالعلم بهذا الأمر يا أصبح أولئك خيار هذه الأمة مع إيراد هذه العترة ، قلت : وما يكون بعد ذلك ؟ قال : ثم يفعل الله ما يشاء فإن له إرادات وغايات ونهايات .

^{١٠٨} عن كميل بن زياد - قال : أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيدي فأخرجني إلى ظهر الكوفة ، فلما أصحرت نفّس ثم قال : يا كميل إن هذه القلوب أوعيةٌ فخيرها أوعاها ، احفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاته ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يضئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق ، يا كميل العلم خيرٌ من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دينٌ يدان به ، يكسب الإنسان به الطاعة في حياته وجميل الأحدث بعد وفاته ، وصنيع المال يزول بزواله ، يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر . أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب مبرجدة ، هاهنا إن ههنا - وأشار بيده إلى صدره - لعلماً جداً لم أصب له حملة ، بل أصبت لنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا ومستظهِراً بحجج الله عز وجل على خلقه وبنعمه على أوليائه ليتخذ الضعفاء وليجة دون ولي الحق . أو متقاداً لحملة العلم لا بصيرة له في أحنائه يفتح الشك في قلبه بأوّل عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذلك . أو منهوماً باللذات سلس القياد للشهوات أو مغرماً بالجمع والإدخار ليسا من رعاة الدين في شئ ، أقرب شئ شياً بهما الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم يموت حامله ثم يقول ..

خاف مغمور ، لثلاً تبطل حجج الله وبيئاته » ، إلى أن يقول وهو يصف أهل الإيمان زمن غيبة المهدي عليه السلام : « وكم ذا وأين أولئك ، أولئك والله الأقلون عدداً ، والأعظمون خطراً بهم يحفظ الله حججه وبيئاته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقائق الأمور ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترقون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى . يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه ، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم »^{١٠٩} .

إذاً : غيبة المهديّ وزمنها شديدة الدقة والإهتمام في المتون والأخبار ، وعليها أقوالهم وبياناتهم ، وعندها قلوبهم .

ولأنّ هذا النحو من الغيبات له ارتباطٌ بدور ربّانيّ كبير ، عبّرت عنه الأخبار المتواترة بأنّه الدور الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً ، كما أنّ المسموعات ركّزت ثقلها للتأكيد على أنّ زمن الغيبة صعبٌ وحادٌ وخطر لما يقع فيه من بلاءاتٍ عظام وتمحصاتٍ كبار ، وفي رواية كمال الدين بسنده^{١١٠} عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « للقاء منا غيبة ، أمدها طويل . ثم قال : كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته ،

^{١٠٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٩٠ - ٢٩١

^{١١٠} حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسيني رضي الله عنه ، عن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي - طالب عليهم السلام ، عن أبيه ، عن آباءه ،

يطلبون المرعى فلا يجدونه . ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقسُ قلبه
لطولِ أمدِ غيبةِ إمامِهِ فهو معي في درجتي يوم القيامة . ثم قال عليه السلام : إنَّ
القائم منا إذا قام لم يكن لأحدٍ في عنقه بيعةٌ فلذلك تخفى ولادته و يغيب
شخصه ^{١١١} .

وهذا لسانٌ صريحٌ كغيره يريد أن يؤكِّد لنا طابع الخطورة والاختبار
وشدَّة الزمان ، وسطوة الانحرافات الفكرية والثقافية والهيكلية والسلوكية
وشتى مقاسات الفعل البشري .

ولأنَّ وظيفة المهدي عليه السلام إقامة الحقِّ على مستوىٍّ شاملٍ فإنَّ
الأخبار كرَّست لنا بياناتٍ متوالية عن قيمة ووزن تلك الشخصية التي طالما
بشَّر بها الأنبياءُ والأئمة عليهم السلام لتؤكِّد معها أنَّ ظهور تلك الشخصية الربانية
لإتمام ذلك الدور يكون بعد حيرةٍ وفتنةٍ وبلاءٍ وغيبةٍ ومحنٍ لا يثبت لها إلا
مَنْ امتحن الله قلبه بلزوم الدين . وفي رواية الشيخ الصدوق ^{١١٢} عن أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال للحسين عليه السلام : « التاسعُ من ولدك يا
حسينُ هو القائمُ بالحقِّ ، المُظهِر للدين ، والباسط للعدل . فقال الحسين

^{١١١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٠٣ * وفي الرواية عن علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام : القائم
منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا : لم يولد بعد . ليخرج حين يخرج وليس لأحدٍ في عنقه بيعة . [كمال الدين
وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٢ - ٣٢٣] .

^{١١٢} علي ابن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن علي بن - موسى الرضا ، عن أبيه
موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن
علي ، عن أبيه

عنه عليه السلام : فقلت له : يا أمير المؤمنين وإن ذلك لكائن ؟ فقال عليه السلام : إي والذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة واصطفاه على جميع البرية ، ولكن بعد غيبةٍ وحيرةٍ ، فلا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين ، الذين أخذ الله عزَّ وجلَّ ميثاقهم بولايتنا وكتبَ في قلوبهم الإيمان وأيدَهُم بروح منه «^{١١٣} .

وفيها بيانٌ للحتم النازل في الغيبة التي تقع على المهدي عليه السلام ، كما فيها بيانُ الدورِ الأعظم المرسوم للمهدي عليه السلام فضلاً عن الحيرة والشدة والبلاء الذي يُطبق على الناس في آخر الزمان . إلا أنَّ الأخبار تخصُّصُ الشيعة بشيءٍ صريحٍ من البلاء والتمحيص ، وهذا يعود إلى ما أثبتنا من الطوائف الكثيرة التي أكَّدت أنَّ من يلتزم الدين ويتبع الإسلام ويحفظ أمر الله على شرطِ الثقلين هم الشيعة فيلاقون من فراغة آخر الزمان الكثير من العناء والبلاء وأشكالاً متراكمة من الخصومة الأخلاقية والفكرية والسياسية وغيرها .

نعم واحدةٌ من محنة الشيعة أنَّهم يعيشون طيلة الغيبة ولا يرون إمامهم . ففي رواية عبد الله بن أبي عقبة الشاعر قال : سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : « كآني بكم تجولون جولان الإبل تبتغون المرعى فلا تجدونه يا معشر الشيعة »^{١١٤} . وفيها بيانٌ لسوطِ المحنة وسطوة

^{١١٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٠٤

^{١١٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٠٤

البلاء وسط عالمٍ منحرفٍ في هيكله وإجراءاته وثقافته ومشاريعه الأخلاقية والسياسية وغيرها ، والشيعه رغم ذلك لا يرون إمامهم ﷺ .

لذا ردَّ أهل البيت ﷺ شيعتهم زمن الغيبة إلى ولاية الثقلين وكمالها : كتاب الله والعترة النبوية المرسومة في أمر الله والقائمة على دينه ، فمن تمسك بها أمن ونجا ، ومن هجرها ضل وأضل ، وقد أخبرتنا النصوص التي لا تحصى أن حملة الدين وحفظة الأخبار وفقهاء الأحكام وأمناء الشرع وعارفيه المطيعين لأمر الله تعالى ، هم أمناء الله تعالى على دينه زمن الغيبة ، وهم مرجع الناس وإليهم يجب الاحتكام ، وعندهم يجب الوقوف والتسليم .

ثم تؤكِّد الأخبار أن أمر الله تعالى ماضٍ في هذا الخلق على سنة إثني عشر خليفة ، لا ينقضي عنهم الدهر ، وهم إمَّا ظاهرٌ مشهور أو مستترٌ مغمور . وفي رواية الحسن بن العباس^{١١٥} عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال لابن عباس :

« إنَّ ليلةَ القدرِ في كلِّ سنةٍ ، وإنه ينزل في تلك الليلة أمرُ السنة ، ولذلك الأمرُ ولاةٌ بعد رسولِ الله ﷺ ، فقال ابن عباس : مَنْ هم ؟ قال ﷺ : أنا وأحد عشر من صلبي أئمةٌ محدثون »^{١١٦} ، وهذا يعني أنهم

^{١١٥} ابن الحريش الرازي عن أبي جعفر محمد بن علي الثاني عن آبائه ﷺ

^{١١٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٠٤ - ٣٠٥

أعلامُ الحجَّةِ وقطبها ، ولهم أدلَّةٌ وبَيِّناتٌ وعلاماتٌ مشهوراتٌ ، فإنَّ استترَ
بعضُهم وسَطَ اللهُ تعالى مِنْ حُجَجِهِ وآيَاتِهِ وبَيِّنَاتِهِ وحمَلَةَ دِينِهِ ما يُتِمُّ به
شرطَ التكليفِ ولزومِ الطاعاتِ وغيرها .

محنة الغيبة

حينما تتحدث الأخبار عن آخر الزمان وتعب الناس تُركّز بشدّة لافتة على « محنة الغيبة » ، لهذا نجد أهل البيت عليهم السلام يُركّزون على هذه الناحية ويُطَيّبون قلوب شيعتهم ، ويخاطبون مواليهم مع قواطع الزمان ، ليؤكّدوا ضرورة الصبر والانتظار والثبات على أمر الله في تلك اللحظات القاسية جداً من « غيبة » مولى الله على الأرض الحجّة المنتظر عليه السلام ، وهذا يعني أنّ مركز جملة من الخطابات المكرّرة ظلّت تدور حول الغيبة وضرورة ترسيخها في النفوس حتى تأنس إليها القلوب ، ففي رواية مفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « لصاحب هذا الأمر غيبتان : إحداهما يرجع منها إلى أهله والأخرى يُقال : هلك ، في أيّ وادٍ سلك ^{١١٧} » ^{١١٨} ، وفيها تأكيدٌ على محنتين : محنة الغيبة بكلّ ما تعنيه ، ومحنة التضليل العنيفة التي تحاول عبرها الدعاية الإقليمية والعالمية استئصال إسم

^{١١٧} قلت : كيف نصح إذا كان كذلك ؟ قال : إذا ادعاهم مدّع فاسألوه عن أشياء يُجيب فيها مثله . أي لا بدّ من تبين علامات الإمامة وأشرافها فيه .

^{١١٨} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٠

المهدي وحقيقته من عقائد الناس . ولكل من المحتين عذابه وحدته ومعناه
الإختباري .

فيما لسان طوائف أخرى يصف ظهور المهدي بأنه يكون بعد فترة
من الأئمة ، وهذا وحده يشكّل محنة لا سابق لها ، ففي رواية شعيب ، عن
أبي حمزة قال : « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : أنت صاحب هذا
الأمر ؟ فقال عليه السلام : لا . فقلت : فولدك ؟ فقال عليه السلام : لا . فقلت : فولد
ولدك هو ؟ قال : لا . فقلت : فولد ولد ولدك ؟ فقال : لا . قلت : من
هو ؟؟!!! قال عليه السلام : الذي يملأها عدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً ، على
« فترة » من الأئمة ، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث على فترة من الرسل »^{١١٩} .

وحاصل هذه المتون أنها تؤكد طابع الوجع والثقل والمعاناة التي
يلاقونها أهل الإيمان آنذاك ، وسط عالم يترنح من الأباطيل في ظل
حكومات أكلة الحقوق ومقترفي الآثام وماسخي الثقافات والمفاهيم .

في حين بعض الأخبار تصف المهدي عليه السلام بالشهاب الذي يتوقّد ،
وذلك بياناً لظلمة الزمان وحدة المشكلات فيه وكثرة الفساد وعظمة
الإختبار وجحيم الظلام الأخلاقي والسياسي والنفسي والتربوي والثقافي
الذي يحجب أنوار الشريعة وضياء نور الثقلين ، ففي رواية ثعلبة أم هانئ
قالت : لقيت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام فسألته عن هذه الآية ﴿ فلا أقسمُ

^{١١٩} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤١

بالخنس الجوار الكنس ﴿ قال عليه السلام : الخنس إمامٌ يخنس في زمانه عند انقطاع من علمه عن الناس ، سنة ستين ومائتين ، ثمَّ يبدو كالشهاب الواعد في ظلمة الليل ^{١٢٠} » ^{١٢١} . وفي رواية صفوان بن مهران الجمال قال : قال الصادق عليه السلام : « أمَّا والله ليغيبنَّ عنكم مهديُّكم حتى يقول الجاهل منكم : ما لله في آلِ محمد ، ثمَّ يُقبل كالشهابِ الثاقبِ فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملأت جوراً وظلماً » ^{١٢٢} .

وفيه وفي غيره إشارةٌ إلى شدة البلاء ووطأة الجبروت وإطباقي أهل الضلالة وإغراق العالم بالفساد والجحود والردة والفرعونية والغرائزية حتى تعمى القلوب وتضلَّ الناس إلا قلة سمَّتهم الأخبار بـ « المنتظرين » ووصفتهم بأنهم قائمون على أمر الله ، متبعون دينه ، محافظون على شرعه ، ينادون بالمهديِّ عليه السلام ويوظفون له سلطانه .

ثمَّ تضيف الروايات معانٍ تأكيديةً لهذا الارتكاز ، أي معانٍ لها صلة بالبلاء ورفع العلم وكثرة الفتن الثقافية والدعائية وما إليه ، حتى روى أيوب بن نوح عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال : « إذا رُفِعَ علمُكم من بين أظهركم ، فتوقعوا الفرَجَ من تحت أقدامكم » ^{١٢٣} إشارة إلى أنه إذا بلغ الأمرُ

^{١٢٠} ثم قال : فإن أدركت زمانه قرأت عينك . إشارة تعظيمية يُراد منها بيان مفخرة إدراك المعصوم عليه السلام .

^{١٢١} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤١

^{١٢٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤١ - ٣٤٢

^{١٢٣} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤١ * وفي رواية كمال الدين عن إبراهيم بن محمد بن فارس قال : كنت أنا ونوح وأيوب بن نوح في طريق مكة فنزلنا على وادي زباله ، فجلسنا نتحدث فجرى ذكر ما نحن فيه وبعد الأمر علينا

مبلَّغَةٌ مِنَ الظُّلْمَةِ وَحِكْرَةِ أَهْلِ الجَبْرُوتِ وَالْفَسَادِ حَتَّى أَطْبَقْتَ الظُّلْمَاءُ
عَلَيْكُمْ ، عِنْدَهَا تَوَقَّعُوا الفَرَجَ .

ويكفي في أمر الغيبة المعظمة ما حصل من دعاية العباسيين ومن
تبعهم ومن يتبعهم الآن من الإصرار على أن الإمام العسكري عليه السلام مات
دون خلف ليغتالوا الإمامة .

لذا ركزت طوائف من الأخبار على هذا المعنى من فتنة الضلالة
التي تعمل على نفس أساس الإمامة التي أعدها الله لآخر الزمان على نحو
من دور قل نظيره في تاريخ المناصب الإلهية .

بل نقراً استعراض الإمام لهذا النحو من البلاء والتحذير منه في
مواقف أصيلة وأخرى عرضية ، ففي رواية أيوب بن نوح قال : قلت لأبي
الحسن الرضا عليه السلام :

« إني أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر ، وأن يسوقه الله إليك بغير
سيف ، فقد بُويعَ لك وضربت الدراهم بإسمك ؟؟؟ فقال عليه السلام : ما منّا أحدٌ
اختلف إليه الكتب ، وأشير إليه بالأصابع ، وسئِلَ عن المسائل ، وحُمِلت
إليه الأموال ، إلا اغتيل أو مات على فراشه ، حتى يبعث الله لهذا الأمر غلاماً
منّا ، خفي الولادة والمنشأ ، غير خفي في نسبه »^{١٢٤} .

فقال أيوب بن نوح : كتبت في هذه السنة أذكر شيئاً من هذا ، فكتب إلي : إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقعوا
الفرج من تحت أقدامكم * [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨١ ت] .

^{١٢٤} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤١ - ٣٤٢ * [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٠] .

وفي رواية الريان بن الصلت قال : سمعته يقول : سئل أبو الحسن
الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام (أي صاحبة دولة آل محمد) فقال عليه السلام : « لا
يرى جسمه (أي من تقع به الغيبة) »^{١٢٥}

لاحظ استعراض الإمام الرضا عليه السلام لهذا المعنى الجليل ، فالرجل
يسأل : هل هو صاحب الدولة المحمدية التي تواترت الأخبار أن واحداً من
أنمة أهل البيت يقودها على أعظم مقاماتها ؟؟ فإذا بالإمام ينفي ذلك ويطير
به نحو المولى المعظم المهدي عليه السلام فيؤكد أن الأمر في المهدي الذي
تخفى ولادته ونشأته لكنه لا يخفى نسبه وذكره ، أي هو المهدي ابن
الحسن العسكري ، حفيد علي وفاطمة الزهراء ، أي هو ولد النبي
المصطفى صلى الله عليه وآله .

الأهم هنا تأكيد الإمام علي وصف المحنة الشديدة بخفاء ولادته
ومنشأه عليه السلام حتى يقول القائل : هلك ، في أي وادٍ سلك !!! لذا ساق الخبر

^{١٢٥} كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٠ * وفي رواية الحسن بن محبوب ، عن أبي الحسن علي بن
موسى الرضا عليه السلام قال : قال لي : لا بد من فتنة صماء سيلم تسقط فيها كل بطانة وليجة وذلك عند فقدان الشيعة الثالث
من ولدي ، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض وكل جري وحران ، وكل حزين ولهفان ثم قال عليه السلام : بأبي وأمي سمي
جدتي عليها السلام وشبهي وشبهه موسى بن عمران عليه السلام ، عليه جيوب النور ، يتوقد من شعاع ضياء القدس ، يحزن (لغيبته)
أهل الأرض والسماء ، كم من حري مؤمنة ، وكم من مؤمن متأسف حران حزين عند فقدان الماء المعين ، كأني بهم
آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين « وفي
رواية أحمد بن زكريا قال : قال لي الرضا علي ابن موسى عليه السلام : أين منزلك ببغداد ؟ قلت : الكرخ ، قال : أما إنه أسلم
موضع ولا بد من فتنة صماء سيلم تسقط فيها كل وليجة وبطانة ، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي « [كمال
الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٠ - ٣٧١]

وكذا متوناً لا تُحصى ليؤكد لشيعه آخر الزّمن ضرورة ضبط المقام وحفظ الأمانة ، وإتمام العدة ، ولزوم الشريعة ، والثبات على صفة الإنتظار التي تعني الإعتقاد والعمل معاً .

وكذا ساقّت الروايات لنا تعمّد الأئمة عليهم السلام استعراضاً محنة الغيبة عبر الإشارة إلى محنة الولادة والمنشأ لتؤكد على شيعة ذلك الزمان الصبر والثبات والطمأنينة ، وهذا من بديهي الأخبار . ففي رواية عبد الله بن عطاء عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : « إنَّ شيعتك بالعراق كثيرةٌ ، والله ما في أهل بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج ؟؟!! » قال : فقال يا عبد الله بن عطاء ، قد أخذت تفرش أذنيك للنوكي !! إي والله ما أنا بصاحبكم (أي صاحب دولة آل محمد الكبرى) . قال : قلت له : فمَنْ صاحبنا ؟؟ قال عليه السلام : انظروا مَنْ عميَ على الناس ولادتهُ ، فذاك صاحبكم . إنه ليس منا أحدٌ يُشار إليه بالإصبع ويُمضغُ بالألسن إلا ماتَ غيظاً (أي ممنوعاً من إقامة أمر الله) أو رغم أنفه » ^{١٢٦} .

خلاصةُ المتن أنّ الدولة المحمديّة الكبرى أمرٌ مرصودٌ للمهديّ عليه السلام وذلك بعد محنةٍ تطول ، منها بلاءُ الولادة والمنشأ وسط دعايةٍ جبّارةٍ تصرُّ على استئصال أمر المهدي من صدور الناس . وهذا معنى رواية هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « يقومُ القائمُ وليس لأحدٍ في

^{١٢٦} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢٤٢

عنه عهدٌ ولا عقدٌ ولا بيعة»^{١٢٧} . أي يغيب عن الناس ، ويظهر حين يتم أمر الله ، فإذا تمَّ شرطُ الغيبتين وظهر أقام دولة آل محمَّد ، وساق الناس على هديها ، ورفع أعلام الله في أرضه ، فلا يُعبدُ إلا الله ، ولا تُقام راية إلا لله ، وذلك بعد محنة « الغيبتين » وما يجري في الغيبة الكبرى من بلاءٍ ومحنٍ ومفاسدٍ وآثام تملأ الأرض عدواناً وجوراً وحراماً ..

وعن واحدةٍ من أسباب الغيبة تشيرُ بعضُ المتون إلى إصرارِ القوم على قتله ﷺ لإبطال أمر الله في الثاني عشر الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً . على أنَّ السبب الإجمالي أو الكلِّي للغيبة أعمق وأكبر من الخوف ، لكنَّ الأخبار ألقَّت إلينا بواحدٍ منها وهو الخوف لتبرز لنا قضية الإصرار العباسي وغيره على قتل المهدي ﷺ والخلاص من كابوس الثاني عشر الذي يُسقطُ عروش الباطل ويقتل الجبابرة ويُهلك المفسدين كما في الأخبار المتواترة ، وفي رواية زرارة بن أعين قال : قال أبو عبد الله ﷺ : « لا بد للغلام من غيبة . قلت : ولم ؟ قال : يخاف (القتل) - وأوماً بيده إلى بطنه - ثم قال : وهو المنتظر ، وهو الذي يَشْكُ النَّاسُ في ولادته ، فمنهم من يقول : حمل ، ومنهم من يقول : مات أبوه ولم يخلف ، ومنهم من يقول : ولد قبل موت أبيه »^{١٢٨} .^{١٢٩}

^{١٢٧} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٢ * كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٦]

^{١٢٨} قال زرارة : فقلت : وما تأمرني لو أدركت ذلك الزمان ؟ قال : ادع الله بهذا الدعاء : اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرفك ، اللهم عرفني نبيك ، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرفه قط ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني . قال أحمد بن الهلال : سمعت هذا الحديث منذ ست وخمسين سنة . وفي رواية

إذاً : محنة الإستتار هي جزء مما يجب الإلتفات إليه ، وقد تواترت الأخبار فيها لتؤكد أن المهدي عليه السلام يستتر بعد ولادته عبر غيبتين : الأولى تمت وحصلت ، والثانية تلتها وما زالت إلى الآن ، فإذا أتى أمر الله فإنما يأتي فجأة ، فيظهر المهدي عليه السلام ليقوم أمر الله تعالى ومعه تبدأ دولة العدل الإلهي ، ويفوز في عصر الغيبة كل من اتقى ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولزم شرع الله واتبع خطاب الثقلين ، فاعتقد وعمل ^{١٣٠} .

وقد كثرت الأخبار التي حدثتنا عن الإستتار الذي لا تغيب معه حجة الله بل يكون المهدي فيه كالشمس إذا سترتها الغيوم ، ينتفع بها الخلق وهي محتجبة عن أعينهم . وكلما قلنا الأخبار وجدنا خطاب الغيبة أو الإستتار ، وفي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز

عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر علي ابن أبي طالب عن خاله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : قلت له : إن كان كون لا أراني الله يومك (أي إذا مت) ، فيمن أنتم ؟ قال : فأوما إلى موسى عليه السلام ، فقلت : فإن مضى موسى فإلى من ؟ قال عليه السلام : إلى ولده ، قلت ، فإن مضى ولده وترك أخاً كبيراً وابتناً صغيراً فيمن أنتم ؟ قال عليه السلام : بولده ، ثم قال : هكذا أبداً ، قلت : فإن أنا لم أعرفه ولم أعرف موضعه فما أصنع ؟ قال : تقول : « اللهم إني أتولى من بقي من حججك من ولد الامام الماضي فإن ذلك يجزيك » [كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٠] .

^{١٢٩} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٢

^{١٣٠} وفي رواية الحسين بن خالد قال : قال علي بن موسى الرضا عليه السلام : وقد قيل له : يا ابن رسول الله من القائم منكم أهل البيت ؟ قال عليه السلام : الرابع من ولدي ابن سيدة الإمام ، يُظهر الله به الأرض من كل جور ، ويُفدسها من كل ظلم ، وهو الذي يشك الناس في ولادته ، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه ، فإذا خرج أشرق الأرض بنوره ، ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحدٌ أحداً ، وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظل ، وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه بقول : ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه ، فإن الحق معه وفيه ، وهو قول الله عز وجل : « إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلمت أعناقهم لها خاضعين » [كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧١ - ٣٧٢]

وجل : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ (٨/٧٤) قال عليه السلام : إِنَّ مِنَّا إِمَامًا مَظْفُورًا مُسْتَرًّا ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرَهُ إِظْهَارَ أَمْرِهِ ، نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً فَظَهَرَ فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى «^{١٣١} . وعن هذا المعنى من الغيبة والمحنة روى محمد بن الفرّج قال : « كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِذَا غَضِبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ نَحَانًا عَنْ جَوَارِهِمْ »^{١٣٢} ، وَكَأَنَّ فِي لِسَانِ هَذَا الْمَتْنِ إِشَارَةً إِلَى عِقَابِ إِلَهِي لِلأُمَّةِ الَّتِي عَدَّتْ عَلَى نَبِيِّهَا وَآلِهِ عليهم السلام ، فَشَاءَ اللَّهُ لَعَلِمَ خَاصًّا بِهِ وَلَوْظِيفَةً كَبْرَى أَعَدَّ الْمَهْدِيَّ لَهَا أَنْ يُغَيَّبَ وَلِيَّهُ دُونَ أَنْ يَحْجِبَ الْحُجَّةَ عَنِ النَّاسِ ، بَلْ أَظْهَرَ الْحَجَجَ وَأَشَارَ إِلَى الْبَيِّنَاتِ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيِّنَةِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنِ بَيِّنَةٍ . لِذَلِكَ تَوَالَتِ الْأَخْبَارُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الدَّورِ الوَظِيفِيِّ لِلْمُنْتَظَرِينَ . فَالْإِنْتِظَارُ لَيْسَ مَجْرَدَ اعْتِقَادٍ فَحَسَبَ ، بَلْ فِعْلٌ وَشَرُوطٌ وَالتَّزَامَاتُ . وَأَوَّلُهُ اتِّبَاعُ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ وَحِفْظُ خُطَابِ اللَّهِ وَاتِّخَاذُ الثَّقَلَيْنِ حُجَّةً فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَوْطِنًا فِي الْقَلْبِ . فَفِي رِوَايَةِ مَنْصُورٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : قُلْتُ : « إِذَا أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ لَا أَرَى إِمَامًا أَتَمُّ بِهِ ، مَا أَصْنَعُ ؟؟ » قَالَ عليه السلام : فَأَحِبْ مَنْ كُنْتَ تَحِبُّ وَابْغُضْ مَنْ كُنْتَ تَبْغُضُ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «^{١٣٣} . وَمَعْنَاهُ : كُنْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْأَئِمَّةِ

^{١٣١} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٣ * وفي رواية كمال الدين عن المفضل بن عمر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير جابر فقال : لا تحدّث به السفلى فيذيعوه ، أما تقرأ في كتاب الله عز وجل : « وَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ » إِنَّ مِنَّا إِمَامًا مُسْتَرًّا ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِظْهَارَ أَمْرِهِ نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً فَظَهَرَ وَأَمَرَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « [كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٩] .

^{١٣٢} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٣

^{١٣٣} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٤٢

والتزام أمرهم والثبات على شرط الثقلين : كتاب الله وعتره النبيّ المعصومين عليهم السلام ، وتظل كذلك حتى يظهره الله تعالى ، وهذا يعني : الإعتقاد والإمتثال معاً . وهذا هو شرط الإنتظار .

نعم تصرُّ الأخبار على ضرورة معرفة الإمام وتحصيل شخصيته والتزام عهده ، وقد تواتر عند السنة والشيعة أنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة .

وهذه تُؤكِّد أنّ المتقين المنتظرين لا تُضعفهم غيبة إمامهم ، ولا تُزلزلهم ظروف استتاره ، بل هم قوم على ما مضى عليه الأئمة ، أي يتبعون أمر الله ويلتزمون نهج الثقلين وضوابطهما ، ويحفظون الشرع في القلب والفكر والأركان . فإذا كانوا كذلك فلا يضرُّهم تقدّم أمر مولاهم أو تأخّر من جهة الظهور ، ففي رواية حريز عن زرارة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « اعرف إمامك ، فإنك إذا عرفت لم يضرّك ، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر »^{١٣٤} .

إذاً : معرفة الأئمة واتباع أمرهم والنزول على كتاب الله تعالى ، والتزام أمر الشريعة ، وتحليل ما أحلّ الله وتحريم ما حرّم ، والسعي لإقامة دين الله تعالى ، واتباع الثقلين ، كما في الطوائف التي سقتها عليك في الفصول السابقة ، هي شرط الله على المنتظرين زمن الغيبة . فإنّ هم فعلوا ، فقد فازوا فوزاً عظيماً .

^{١٣٤} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧١

منع التوقيت

واحدةٌ من قوانين الغيبة التي شرطها اللهُ تعالى هي عدمُ التوقيت ،
والتوقيتُ يعني تحديد زمن الظهور ، وهو ممنوعٌ بالقطعيِّ من الأخبار التي
اتفقت على أنَّ ساعةَ ظهورِ المهديِّ علمها عند الله تعالى . وفي رواية عبد
الرحمن ابن كثير قال : كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم ،
فقال له : جُعِلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي نتظر ، متى هو ؟
فقال عليه السلام : يا مهزم كذب الوقَّاتون ، وهلك المستعجلون ، ونجا
المسلِّمون «^{١٣٥} .

لاحظ لسانَ السائل : يقول : الأمر الذي نتظر . وهذا صحيح جداً ،
فكلُّ أصحابِ الأئمةِ عليهم السلام ذكروا أنهم ينتظرون هذا الأمر ، وسألوا عن
دولة آل محمد الموعودة ، وقد ثبت بالقطعيِّ من الأخبار أنَّ لآل محمد
دولةً موعودة وأنَّ لها إماماً قائماً بالأمر ، فكانوا أشدَّ انتظاراً ، بل تقرأ في

^{١٣٥} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨ * وفي رواية أبي حنزة الشمالي قال : « ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً
عندنا ، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » . وفي رواية عبد الرحمن بن كثير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام
يوماً وعنده مهزم الأسدي فقال : جعلني الله فداك ، متى هذا الأمر الذي تنتظرونه فقد طال علينا ؟ فقال : يا مهزم ، كذب
المتمنون ، وهلك المستعجلون ، ونجا المسلمون ، وإلينا يصيرون [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص
٢٠٤] .

بعض المتون وجعهم ولوعتهم وهم ينتظرون . فكان الإمام عليه السلام يؤكد أن دولة آل محمد الكبرى إنما هي وديعة الله للمهدي عليه السلام وأن ذلك يكون في آخر الزمان ، وفي كثير من الأخبار كان الإمام يركز على صفة ظاهرة بالمهدي فيشير إلى خفاء ولادته ومنشأه وغير ذلك من العناوين التي أثرتها فيما سبق .

وعليه : لا توقيت في لسان الأ . بار ، بل حرمة التوقيت صريحة . وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن القائم عليه السلام ؟؟ فقال : « كذب الوقاتون . إنا أهل بيت لا نوقت » ^{١٣٦} . وفي رواية أحمد بإسناده قال : قال عليه السلام : « أباي الله إلا أن يخالف وقت الموقتين » ^{١٣٧} . وفي رواية عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله عز وجل : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (١/١٦) قال عليه السلام : « هو أمرنا ، أمر الله عز وجل أن لا تستعجل به حتى يؤيده الله بثلاثة أجناد : الملائكة ، والمؤمنين ، والرعب ، وخروجه عليه السلام كخروج رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك قوله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ (٥/٨) » ^{١٣٨}

لذا : الأخبار قطعية في منع التوقيت وحرمة . فمن وقت بقريب أو بعيد فقد أثم ، ولا صحة لقوله . وبين يدي رواية شديدة الأهمية ، بالغة

^{١٣٦} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨

^{١٣٧} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨

^{١٣٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٤

المعنى يرويها الفضل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت : لهذا الأمر وقت ؟ فقال عليه السلام : كذب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون . إنّ موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربّه واعدّهم ثلاثين يوماً ، فلمّا زاده الله على الثلاثين عشراً ، قال قومه : قد أخلفنا موسى عليه السلام ، فصنعوا ما صنعوا . ثمّ قال عليه السلام : فإذا حدّثناكم الحديث فجاء على ما حدّثناكم به فقولوا : صدق الله . وإذا حدّثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدّثناكم به فقولوا : صدق الله . تؤجروا مرّتين « ١٣٩ .

وهذا المتن له معنى عالي الدلالة ، مفادُهُ أنّ ما من شيء يُقدّم أو يؤخّر إلا وفيه مصلحة العباد وفق علم الله لا علم الناس ، وهذا - أي الظهور - من علم الله لا من علم الناس ، لسرّ أبي الله أن يُظهره على خلقه . وعليه : من ثبتت عصمته وسفارته عن الله تعالى إن حدّث فخذ منه وصدّق ، فإن وقع الأمر على وجهه المبلّغ فهو كذلك ، وإن تأخّر فأيضاً هو كذلك في علم الله تعالى لما فيه مصلحة الخلق .

واعلم أنّ بعض الأمور قد تكون في علم الله تعالى وفق ما وقع بين العبد الصالح الخضر عليه السلام وبين النبيّ موسى عليه السلام من خرق السفينة وقتل الولد وقصة الحائط ، فسلمّ لله الأمر وانزل على ولاية الصّدق بينك وبين إمامك ، وما ظهور المهديّ إلا الحتم القاطع الذي لا بدّ أن يقع ، لكنّ

^{١٣٩} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨ - ٣٦٩

التقديم والتأخير فيه وحقيقة الوقت بيد الله تعالى لا بيد الناس ، وعلمه عند الله لا عند الناس ، من هنا تواتر لسان الأخبار في منع التوقيت وحرمة ورده .

نعم يُستفاد من الأخبار حمل الأمر بالأمني ، بل هو واحد من معاني الطريقة التربوية في ربط المنتظرين بمولاهم المهدي عليه السلام ، على أن لسان المتون يؤكد أن أمر المهدي عليه السلام إذا حضر كان فجأة ، وأن الله يصلح أمره في ليلة .

ولمعنى الأمني روايات لسانها شديد الأهمية في الدلالة الوظيفية ومعنى الارتباط وطريقة تربية المنتظرين على أمر المهدي عليه السلام أي تهيئة النفوس والإستعداد للحظة الظهور ، فلعلها اليوم أو غداً أو قريباً ، وقد اختصرها لسان المعصوم بقوله : « إنا نراه قريباً ويروونه بعيداً » . ولدي رواية شديدة الدلالة في هذا المعنى ، ففي رواية الحسن ابن علي بن يقطين ، عن أخيه الحسين ، عن أبيه علي بن يقطين قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام :

« الشيعة تُربى بالأمني منذ مأتي سنة . قال : وقال يقطين لابنه علي بن يقطين : ما بالنا قيل لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن ؟ قال : فقال له علي : إن الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد ، غير أن أمركم حضر ، فأعطيتم محضه ، فكان كما قيل لكم ، وإن أمرنا لم يحضر ، فعللنا بالأمني . فلو قيل لنا : إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة

سنة لقسّت القلوب ولرجع عامّة النّاس من الإسلام ، ولكن قالوا : ما أسرعه
وما أقرببه تألّفاً لقلوب النّاس وتقريباً للفرج «^{١٤٠} . إذاً : أن يُرَبَّى المنتظرون
بالأمانى يعني أن تُلَيّن قلوبهم وتهيئها لأمرٍ قد يقع سريعاً أو فجأة ، بل أن
تثبتهم على حقيقة أن أمر المهديّ يُصلحه الله في ليلة .

نعم يُمنع عليك أن تستعجل هذا الأمر على غير الوجه الذي يُريده
الله تعالى . في حين وردت طائفة من الأخبار تأمرنا بالدُّعاء لتعجيل أمر
مولانا المهديّ عليه السلام ، وهذا غير استعجال الأمر ، وتقطع المتون أن ظهور
المهديّ حتمٌ محتوم ، ففي رواية الحسن بن علي ، عن إبراهيم بن مهزم ،
عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ذكرنا عنده عليه السلام ملك آل فلان ،
فقال : إنما هلك النّاس من استعجالهم لهذا الأمر (أي ظهور المهديّ عليه السلام) .
ثمّ قال : إنّ الله لا يعجل لعجلة العباد . إنّ لهذا الأمر غايةً ينتهي إليها . فلو
قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا »^{١٤١} . والحاصل : أمر المهديّ
وظهوره حتمٌ محتوم وقطعٌ مقطوع ، وهو ممّا لا يقع به البداء أبداً ، لأنّ
البداء على أقسامٍ ثلاثة حسب الروايات : فمّا كان من مخزون أم الكتاب أو
اللوح فهذا ممّا لا يقع به بداء أبداً ، وما أخبر الله به ملائكته وأنبياءه وأوليائه
أنه سيقع ولن يتخلف فهذا أيضاً ما لا بداء فيه . أمّا القسم الأخير فهو ما
أخبر به أنبياءه وأوليائه دون حتم الوقوع ، فهذا ممّا يقع فيه البداء ويشمله

^{١٤٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٩

^{١٤١} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٩

قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ﴿٣٩/١٣﴾ وقد ثبت بتواتر الأخبار مطلقاً أنّ ظهور المهدي عليه السلام من الحتم المحتوم الذي قطع الله على نفسه أنه سيَقَع وقد أخبر أنبياءه وأولياؤه عليهم السلام بوقوعه على نحو الجزم والحتم ، وقد وُلِدَ المهديُّ عليه السلام ، وغاب الغيبين ، فانتَهت الغيبة الأولى ، ثمَّ تلتها الغيبة الكبرى ، وها نحن في زمن الغيبة الكبرى التي تنتهي بظهوره الأعظم عليه السلام . نعم يُستفاد من بعض المتون أنّ وقت الظهور قد يُقَرَّب أو يُبَعَّد ، أي وفق ما تَقَع فيه المشيئة الإلهية . فيما لسان طائفة أخرى يستفاد منها أنّ ساعة الظهور لها وقتٌ معلوم وحدٌ محدود لا تتقدّم عليه ولا تتأخّر . ويشهد للأوّل الطائفة التي وردت وهي تأمرنا بضرورة الدعاء لله تعالى حتى يعجّل ظهور المهدي عليه السلام . فيما لسان الطائفة الثانية يُرادُ منها أنّه إذا وقعت المشيئة وتمَّ الأمر على ساعة الظهور فلا تُؤخّر ولا تُقدّم . ما يعني إمكانية التقديم والتأخير قبل ذلك وهذا معنى المشيئة هنا .

أهمية الكلام هنا أنّنا عباد الله المنتظرين ، مأمورون بالانتظار على شرط الله تعالى . فلا تُؤقّت ، ولا نمنع الأمانى ، وواجبنا أن نُعدّ أنفسنا لأمره ، وإعدادُ النفس كما في الأخبار يعني الثبات على الدّين ، والتزام الشريعة ، وتوطين الذات على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقطع يد الحرام ، وجزّ يد الآثام ، والحؤول دون الجبابة والظلام ، والسعي لإقامة أمر الله ، فإنَّ ظهرَ مولانا المهديُّ عليه السلام في زمننا كُنّا من أنصاره وأعوانه بتوفيق الله تعالى ، وإنَّ متنا أو قُتلنا قبله فإنَّ أجرَ مَنْ أقام أمرَ الله وثبت على

الحلال وامتنع عن الحرام ، وحفظ شرط الشريعة ونزل على ولاية الثقلين فاتبعهما ، فإنما أجره لا يحصيه إلا الله تعالى ، وهو كمن يجلس في ظل رواق القائم عليه السلام ..

وقد أشرنا فيما سبق إلى طائفة تؤكد أن شرط الغيبة أن تثبت على أمر الله ، وأن تُوالي في الله ، وأن تُعادي في الله ، وأن تُحلّ حلال الله وأن تُحرّم حرام الله ، وأن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر ، وأن تكون لدين الله عوناً ، وللظلم والفساد والأباطيل خصماً ، وأن تنزل بكلّ تسليم وأمانة على ولاية الفقهاء أصحاب الشريعة وولاية الأمر ، فإذا حفظت هذا الشرط وقمت عليه كنت من المنتظرين الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أخوهم وهو أخوته . فما أعظمها من رتبة ، وما أقدسها من صفة ، فاحرص كلّ الحرص أن تكون منها ، فإنّ المؤاخاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم شرف المؤمنين .

التمحيص والغربة حتى لا يبقى إلا الأندر

تُظهِرُ لنا الأخبار صوراً لها دلالتها الأليمة بما تعنيه من المحنة والبلاء الذي يطال أصل فكرة المهدي عليه السلام وحركة أهل الإيمان في آخر الزمان ، ففي رواية زرارة بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إنَّ للغلام غيبة قبل أن يقوم ، وهو المنتظر ، وهو الذي يشكُّ الناسُ في ولادته ، منهم مَنْ يقول : إذا مات أبوه فلا خلفَ له ، ومنهم مَنْ يقول : هو حمل ، ومنهم من يقول : هو غائب ، ومنهم من يقول : ما ولد ومنهم من يقول : قد ولد قبل وفاة أبيه بسنتين ، وهو المنتظر غير أنَّ الله تعالى يحب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون »^{١٤٢} . ليشير إلى نوع من البلاء المحيط بأصل الاعتقاد بالمهدي عليه السلام ، يُضاف إليها محنة انهيار القيم الأخلاقية والأطر الفكرية والرؤية والثقافة ومفهوم الحضارة ، وصلة الإنسان بالخلق والوجود ومعاني السيرة الكونية ومدى تقاطع الإنسان لهذا النحو في آخر الزمان .

ويبدو أنَّ لسان المتون الذي تحدَّث عن التمحيص والغربة ناظرٌ إلى المجموع المركَّب من كلِّ ما له صلةٌ بالمحنة والاختبار العقيدي والفكري والمعرفي والسلوكي وما إليه ، ففي رواية محمد بن منصور عن

^{١٤٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٣ - ٣٣٤ * [كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٦] .

أبيه قال : « كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعةً نتحدث (بالفرج ودولة قائم آل محمد) فالتفت إلينا فقال : في أي شيء أنتم ؟؟؟!! أيهاً أيهاً ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تُغربلوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تُمحصوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد إياس ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من شقي ويسعد من سعد »^{١٤٣}.

وكُلُّها صريحة في محنة الفكرة والاعتقاد والسلوك والالتزام والخيارات ، وفق شروط التكليف الإلهي الذي لا ينقطع في غربٍ أو شرق ، في أوّل الزمان أو آخره . والحاصل : أن أهل الغيبة ممتحنون بالصبر على أمر الله وصوره شريعته ونصرة الحق وإبطال الباطل وموالاته أولياء الله ومعاداة أعداء الله ، وتنفيذ مقررات الشريعة في حق الفرد والجماعة والاجتماع العام .

ويجب أن نتذكّر جيّداً أننا مخاطبون بتطبيقات الشريعة التي منها الإلتزامات الإجتماعية والأخلاقية والسياسية والثقافية والقانونية والمالية

^{١٤٣} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٥ - ٣٣٦ * وفي رواية محمد بن منصور الصيقل عن أبيه قال : دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام وعنده جماعة ، فبينما نحن نتحدث وهو على بعض أصحابه مقبل إذ التفت إلينا وقال : في أي شيء أنتم ؟ هيهاً هيهاً لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا ، هيهاً ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميزوا ، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا ، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلا بعد إياس ، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقي ، ويسعد من سعد » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٦ - ٢١٧].

وغيرها . فمن جحد الشريعة في واحدةٍ من هذه العناوين فقد خرج عن الطاعة وألزم نفسه الآثام ، وخرج عن معنى الغيبة المنصوبة على شرط الله وشرط رسوله والأئمة عليهم السلام .

من هنا ، فإنَّ لسانَ النصِّ يُريد أن يؤكِّد طابع الخصومة العنيفة بين ثقافتين : الأولى هي عبارة عن ثقافة الإسلام بكلِّ ما تعنيه الشريعة الإلهية وخياراتها اللازمة ، والتي تؤكِّد الأخبار أنها تكون مغرَّبةً ومعزولةً من حياة الأمة والشعوب . فيما الثانية هي عبارة عن الماديَّة النفعيَّة التي تعكس خيارات أمم آخر الزمان على نحوٍ من الغريزيَّة والإستبداد والأسواق المفتوحة التي تتعارض بشكلٍ صارخٍ مع الإسلام ، لكنَّها محميَّة من القوانين والآليات التنفيذيَّة في المسرح الدولي ، وتلقى تطبيقات ضخمة في العالم ، بل تُشكِّل وجهَ الفكر والسلوك والهيكل والدعاية العالميَّة في آخر الزمن

ومع أنَّ حضارة السوق والغرائز المفتوحة تتعارض بشدَّة مع الإسلام بل لا تؤمن بالمعنويات من قريبٍ أو بعيد ، وهي تعيش على الإستبداد والإحتكار والحروب وتجارة العورات ، ومع هذا فإنَّها تُشكِّل مركز الحضارة العالميَّة وحاصل أطرافها وتضربُ بقوةً في البلاد الإسلاميَّة أيضاً .

في ظلِّ هذا العالم يخاطبُ اللهُ تعالى أهلَ الإيمان ، أن يسعوا وبيدلووا الطاقات لتأمين الهياكل اللازمة للشريعة في الحقل الخاص والعام ، ضمن الإمكانيات ووفق الشروط الناجزة التي تتمُّ على الخلق .

فمن اتقى الله وأطاعه ، ونزل على شرط الشرع في كل ما يتعلق
 بأمته التكليفية الفردية والاجتماعية وغيرها ، كان من أولئك الذين فضلهم
 الله وميزهم ، ورفعهم ضمن طبقات لها ميزتها الخصوصية جداً يوم القيامة .
 على أن قضية الاختبار عنواناً مركزيًّا في أطر الاستخلاف البشري .
 لكنها تختلف كمًّا ونوعاً ، وهي في آخر الزمان أكثر تمحيصاً وغرابة ، ففي
 رواية أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قال أبو الحسن عليه السلام : « أما والله لا
 يكون الذي تمدُّون إليه أعينكم حتى تميزوا أو تمحصوا ، حتى لا يبقى
 منكم إلا الأندر ، ثم تلا (أم حسبتم أن تُتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
 منكم ويعلم الصابرين »^{١٤٤} .

و كأنَّ لسان الخبر يريد أن يشير إلى ضرورة إتمام شروط الاختبار
 في آخر الزمان على نحوٍ يخرج فيه الرديئ من الجيِّد ، أو كأنَّ لسان الخبر
 يُريد أن يكشف لنا عن حالة زيفٍ هنا وهناك عبر وجوهٍ مُحدَّدة تخرج من

^{١٤٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٦ - ٣٣٧ * وفي رواية الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « كونوا كالنحل
 في الطير ، ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها ، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك ، خالطوا
 الناس بالسنتكم وأبدانكم ، وزابلوهم بقلوبكم وأعمالكم ، فوالذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتى ينفل بعضكم في
 وجوه بعض ، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذابين ، وحتى لا يبقى منكم - أو قال : من شيعتي - إلا كالكلج في العين ،
 والملح في الطعام ، وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام فنقاه وطيبه ، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله ، ثم
 عاد إليه ، فإذا هو قد أصابه السوس فأخرجه ونقاه وطيبه ، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد
 أصابه طائفة من السوس فأخرجه ونقاه وطيبه وأعاده ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضره السوس
 شيئاً ، وكذلك أنتم تميزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم
 النعماني - ص ٢١٧ - ٢١٨] .

حالتها الظاهرية مع جولات الإختبار حتى يسعد مَنْ يسعد ويشقى مَنْ يشقى ، وتظهر طينة المتقين من غيرها ، وهذا ما دلّت عليه لفظاً جملة من الأخبار الصريحة .

ثم تُطلِعنا الأخبارُ على نتيجة مَنْ تَبَقَّى من أهل الإيمان فَتُعَبِّر عنهم بالأندر ، إشارة إلى قلة قليلة في ظلِّ بحرٍ من البشر يعيشون الزيف والإنحراف والطغيان الفكري والأمني والمالي والمسلكي والشذوذوي ويشكِّلون وجهَ أهل الأرض وسط « سرطان » الحضارة المفتوحة على كلِّ أنواع الطاعون القيمي والمسلكي .

من هنا فإنَّ أكثر النصوص عبَّرت عن تلك الفترة التي تُسيطر فيها حكوماتُ وأسواقُ الحضارة المنحرفة بالمحنة والفتنة والبلاء وما إلى ذلك .

ولسان الأخبار ناظرٌ بقوةٍ نحو أهل الإيمان الذين يُنادون بالشرعية وينزلون على أمر آلِ محمّد ، ويعتقدون قانونَ الشرع الحنيف ، لذا من البديهي أن تُشكِّل حياتهم في ذلك الزمن محنةً من نوعٍ ثقيل حتى قال الإمام الكاظم عليه السلام : « إذا فُقدَ الخامس من وُلدِ السابع من الأئمة ، فالله الله في أديانكم لا يزيّلنكم عنها أحد . إنه لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به ، إنما هي محنةٌ من الله امتحنَ اللهُ تعالى بها خلقه »^{١٤٥} ، وفي رواية أبي بصير قال : قال أبو جعفر محمد بن

^{١٤٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٧

علي الباقر عليه السلام : « إنما مثل شيعتنا مثل أندر - يعني بيدراً فيه طعام - فأصابه أكل فنقي ، ثم أصابه آكل فنقي حتى بقي منه ما لا يضره الأكل ، وكذلك شيعتنا يُمَيِّزُونَ وَيُمَحِّصُونَ حتى تبقى منهم عصابة لا تضرها الفتنة »^{١٤٦} ، وهذه صريحة كسابقاتها في هذا النحو من التمحيص والبليّة وشتى معاني الاختبار .

وفي رواية الفضل بن أبي قرّة التفليسي عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : « المؤمنون يُبتلون ، ثمّ يميزهم الله عنده ، إنّ الله لم يُؤمّن المؤمنين من بلاء الدنيا ومراثيها ، ولكن أمّنهم فيها من العمى والشقاء في الآخرة ، ثمّ قال : كان علي ابن الحسين بن علي عليه السلام يضع قتلاه بعضهم إلى بعض ، ثم يقول : قتلتنا قتلى النبيين »^{١٤٧} ، وهو لسان يريد تأكيد قانون البلاء الذين يشمل المؤمن وغيره ولا يستثني أهل الإيمان ، وصريحه أنّ أهل الإيمان أكثر بلاءً على اعتبار أنّهم الأمة التي تتمسك بالمواثيق والعهود وما إلى ذلك .

وتكشف لنا الأخبار عن محنة تطال الناس في جوعهم ووجعهم وخوفهم لأسبابٍ تتعلّق بحروب اقتصادية وماليّة وأمنيّة فضلاً عن حروب الهوية والثقافة والمعرفة والأفكار . وعلى الأثر تُنبؤنا عن انقراض بشريّ كبيرٍ لأسبابٍ تتعلّق بصراعات القوى ، ففي رواية محمد بن مسلم وأبي

^{١٤٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٨

^{١٤٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٩

بصير قالاً : « سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول : « لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس . فقلنا : إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى ؟ فقال عليه السلام : أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي » ^{١٤٨} ؟ .

وهذا يكشف لنا هويّة ذلك العالم المتصارع المُستنزف الذي تطحنه الحروب والخلافات ووحوش الإحتكار وأكلة الأرواح والأموال ، والظلمة الذين يعيشون في الأرض فساداً ، ما يُؤدّي إلى قتلٍ وموتٍ عنيفٍ يطال كثيراً من الخلق .

لكن من يتعقّب وجه النصوص يجد إصرارها على محنةٍ خاصّة تطال أهل الإعتقاد بالمهديّ أو الشيعة ، ولسانها تكراري يُوكّد طابع البليّة التي تطال الشيعة من جوانب مختلفة ، فلا يبقى منهم إلا النظيف التقي ، ففي رواية جابر الجعفي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : « متى يكون فرجكم ؟؟ فقال عليه السلام : هيهات هيهات ، لا يكون فرجنا حتى تُغربلوا ثم تُغربلوا ثم تغربلوا - يقولها ثلاثاً - حتى يُذهب الله تعالى الكدرَ ويبقى الصفو » ^{١٤٩} . وقد لفت نظري تكرارُ هذه المعاني التي تُوكّد انتسابَ قسمٍ من الشيعة إلى ظاهر الإيمان ، فإذا طالتهم المحنةُ خرجوا عن ظاهرهم وسقطوا في البليّة التي ابتلاهم الله فيها بمقدار ما يُطيقون ويستطيعون ، لكنّ قيمهم وحقائق صدورهم ودوافعهم تكون على خلاف اليقين وشرط

^{١٤٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٩

^{١٤٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٩

الدين ، فإذا مُحْصُوا بالبلاء قلَّ الديَّانون . معاني الأخبار في هذا النحو
 سريحة جداً ، حتى قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : « والله لَتُمَحَّصُنَّ يا معشر
 الشيعة شيعة آل محمد كمخيض الكحل في العين ، لأنَّ صاحب الكحل
 يعلم متى يقع في العين ولا يعلم متى يذهب ، فيصبح أحدكم وهو يرى أنه
 على شريعةٍ من أمرنا فيمسي وقد خرج منها ، ويمسي وهو على شريعةٍ من
 أمرنا فيصبح وقد خرج منها »^{١٥٠} .

وهي من الأخبار التي تُؤكِّد طابع المحن المختلفة التي تطال أتباع
 أهل البيت عليهم السلام ، وفي سياقها ومعناها وردَ العديدُ من الروايات ، منها ما
 رواه المفضل ابن عمر الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : «
 إياكم والتنويه ، أمَّا والله لَيَغَيِّبَنَّ إمامكم سنيماً من دهركم ، ولَتُمَحَّصُنَّ حتى
 يُقال : مات أو هلك ، بأيِّ وادٍ سلك ، ولتدمعنَّ عليه عيونُ المؤمنين
 ولتُكفؤنَّ كما تُكفأ السفن في أمواج البحر ولا ينجو إلا مَنْ أخذ الله ميثاقه
 وكتبَ في قلبه الإيمان وأيدَهُ بروح منه ، ولتُرفعنَّ اثنتا عشرة رايةً مشتبهةً لا
 يُدرى أيُّ من أيِّ . قال : فبكيك ، فقال لي : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟
 فقلت : وكيف لا أبكي وأنت تقول : اثنتا عشرة رايةً مشتبهة لا يدرى أيُّ
 من أيُّ فكيف نصنع ؟ قال : فنظر إلى شمس داخله في الصفة ، فقال : يا أبا

^{١٥٠} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٩ - ٣٤٠ * وفي رواية إبراهيم بن عمر اليماني عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال :
 لتُمَحَّصُنَّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين ، وإنَّ صاحب العين يدرى متى يقع الكحل في عينه ولا يعلم متى
 يخرج منها ، وكذلك يصبح الرجل على شريعةٍ من أمرنا ، ويمسي وقد خرج منها ، ويمسي على شريعةٍ من أمرنا ،
 ويصبح وقد خرج منها » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٤] .

عبد الله ترى هذه الشمس ؟ قلت : نعم ، قال : والله لأمرنا أبين من هذه الشمس^{١٥١} ، وهي تامة التصريح بالبلاء والمحن والمخاضات التي تطال الشيعة ، كما على هذا النحو طائفة تؤكد هجمة تطال الشيعة ، هجمة حضارية فكرية دعائية وغيرها ، منها بطبيعة الحال أحداث الخوف والبلاء ، فإذا بقسم ينكلون فيتخلون عن شرط التدئين وحسن الإقامة على أمر الله في زمن الغيبة . يقول الربيع بن محمد المسلي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام :

« والله لتكسرن كسر الزجاج ، وإن الزجاج يُعاد فيعود كما كان ، والله لتكسرن كسر الفخار ، وإن الفخار يعود كما كان ، والله لتميزن ، والله لتمحصن ، والله لتغربلن كما يُغربل الزؤان من القمح^{١٥٢} »^{١٥٣} . وفي رواية عميرة بنت نفيل قالت : سمعت الحسين بن علي عليه السلام يقول : « لا يكون الأمر الذي تنتظرونه حتى يبرأ بعضكم من بعض ، ويتفل بعضكم في وجوه بعض ، ويشهد بعضكم على بعض بالكفر ، ويلعن بعضكم بعضاً . فقلت له : ما في ذلك الزمان من خير ؟ فقال الحسين عليه السلام : الخير كله في ذلك الزمان ، يقوم قائمنا ويدفع ذلك كله^{١٥٤} »

^{١٥١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٧

^{١٥٢} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٣

^{١٥٣} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٠

^{١٥٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٣ * وفي رواية عبد الله بن جبلة عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لا يكون ذلك الأمر حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض ، وحتى يلعن بعضكم بعضاً ، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذايين » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٤] وفي رواية مالك بن ضمرة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا - وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض - ؟

وهو صريحٌ بالبلية العظمى ثم بالفرج .

وفي رواية مهزم بن أبي بردة الأسدي ، وغيره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « والله لتكسرُنَّ تكسُرَ الزجاج ، وإنَّ الزجاج ليعاد فيعود كما كان ، والله لتكسرُنَّ تكسُرَ الفخار ، وإنَّ الفخار ليتكسر فيعود كما كان ، والله لتغربلُنَّ ، والله لتميزنَّ ، والله لتمحصنَّ حتى لا يبقى منكم إلا الأقل وصعر كفه -^{١٥٥}»

إذاً : هي محنة تكسرُ وتمحصُ وتغربلُ فلا يبقى إلا الجيدُ كما في الأخبار ، بل لا يبقى إلا « الأندر » الذي حسنت طيبته ، أو السعيدُ دون الشقي كما في الباقي من المتون .

ومعنى هذا أن قسماً ممن يقول بهذا الأمر يتعرض لمحنٍ ربّما تكونُ إغراءات وغرائز أو أخاويف أو منافع أو سقوط في سرطان الحضارة « المزيفة » ، فيترك أمرَ أهل الإيمان وينزلق إلى الأباطيل وينحرف إلى الشذوذ ويسقط في المعاصي والفساد .

ثمّ تعبير أنهم يُكسرون كسراً ويُغربلون غربلةً يؤكّد طابع الشدة السليطة ، لكن على نحوٍ لا يسقط قدرتهم على الاختبار والالتزام . من هنا

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عند ذلك من خير ؟ قال : الخير كلُّه عند ذلك يا مالك ، عند ذلك يقوم قائمنا فيقادم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله ﷺ فيقتلهم ، ثم يجمعهم الله على أمر واحد « [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٤] .

^{١٥٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٥

عبّرت الأخبار عن الخارجين بالخبيثين أو السيئين أو الأشقياء وما إلى ذلك من صفاتٍ تُؤكّد عدم تملُّك الإيمان من قلوبهم وأفعالهم ، لتكشف أنّهم مجرد جماعة منتسبين ظاهريين إلى أهل الإيمان فيكسرون بمجرد أن تنالهم محنة أو بليّة أو أن تُعرض عليهم شهوة الإغراءات والمحفّزات .

وفي بعض المتون إشارة إلى نزاعات حربيّة وخلافات دمويّة وقسمة مثيرة ، منها ما رواه عبد الرحمن بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم (يُرى) ، يتبرأ بعضكم من بعض !!! فعند ذلك تُميّزون وتُمحّصون وتُغربّلون ، وعند ذلك اختلافُ « السيفين » وإمارة من أوّل النهار وقتلٌ وخلعٌ من آخر النهار »^{١٥٦} .

وهذه صريحةٌ جدّاً في الخلاف والاختلاف وتدرُّج الأزمة إلى السيف والطّعان وما إليه ،

وكذا غيرها صريح في هذا المعنى الذي يلازمه نوعٌ حادٌّ من التمحيص والغريلة وما هو في معناها . ففي رواية إبراهيم بن هلال قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام :

« جعلت فداك ، مات أبي على هذا الأمر ، وقد بلغت من السنين ما قد ترى ، أموت ولا تخبرني بشيء ؟ فقال : يا أبا إسحاق ، أنت تعجل . فقلت : إي والله أعجل وما لي لا أعجل وقد كبر سني وبلغت أنا من السنّ

^{١٥٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٨

ما قد ترى . فقال : أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تُمَيِّزُوا
وَتُمَحَّصُوا ، وحتى لا يبقى منكم إلا الأقل «^{١٥٧} ،

ويبدو بدليل المسموعات أنَّ قسماً يسقط في امتحان الإمامة ،
اعتقاداً أو التزاماً ، وقد تكشفت التجربة التاريخية عن هذه الصور التي أشرنا
إليها وما زالت تتكشف ، ففي رواية عباية بن ربعي الأسدي قال : سمعت
أمير المؤمنين عليه السلام يقول :

« كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم يُرى يبرأ
بعضكم من بعض !!! »^{١٥٨} ،

وذلك يكون وسط موجة عنيفة من الأفكار التي تقود محاولات
استئصال فكرة المهدوية من الغرس المعرفي في الصحف الدينية والمقار
الثقافية على مستوى العالم ، ففي رواية فرات بن أحنف قال : قال أمير
المؤمنين عليه السلام - وذكر القائم عليه السلام - : « لَيَغِيْبَنَّ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ :
مَا لِلَّهِ فِي آلِ مُحَمَّدٍ حَاجَةٌ !!! »^{١٥٩} ، وتعبير النفي الوارد هنا يُؤكِّد طابع

^{١٥٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٦

^{١٥٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤١ * وفي رواية عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « ستصيكم شبهة
فتبقون بلا علم يُرى ولا إمام هدى (يشير إلى غيبة المهدي عليه السلام) ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق ، قلت : كيف
دعاء الغريق ؟ قال : يقول : يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك * فقلت : يا الله يا رحمن يا
رحيم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك * قال : إن الله عز وجل مقلب القلوب والابصار ولكن قل كما أقول
لك : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك * [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥١ - ٣٥٢] .

^{١٥٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٠ - ٣٤١

الحرب الفكرية والثقافية والدعائية العنيفة التي تُريد استئصال أصل الحاجة إلى آل محمد ﷺ !!!

إلا أن الأخبار تظلُّ تلو علينا حقيقة المهذوية ووزنها وقوتها وتجذرها ، وتؤكد أن أهل الغيبة يُشكّلون في لحظةٍ ما ثقلاً إقليمياً وازناً سيكون له حضوره العابر نحو العالم وقوته الظاهرة ، وستكون هناك مراكز فرعية تنادي بالمهدي وتُنزل على أمر الله وأمر رسوله وأئمة ﷺ ، بل تواتر الخبر بأن خراسان تشكّل مركز الثقل الكبير والدولة العملاقة التي تثبت على أمر الله وتعمل بالشرعة المحمدية ، وتحكم وفق مقولة الثقلين ، فتُحقّق حقّ الله وتُبطل باطله ، ويكون لها قدرة نفوذية عابرة فتُنزل رايات فرعية هنا وهناك على حلفها ، منها أبدال الشام الذين تتفق الأخبار ولوازمها على أن مركز ثقلهم يكون في لبنان وتكون لهم شوكة وقدرة ونفوذ وثبات لافتٌ جداً ، بل يُشكّلون مركزاً فرعياً بغاية الأهمية ، وكذا الحال مع عصاب أهل العراق ، ثمّ النجباء المصريون .

إذاً : عصر الغيبة ينكشف عن صور ومظاهر مختلفة ، لكن في الحاصل العام يُشكّل أهل الغيبة هيكلًا من القوة والثبات على أمر الشريعة يتميز عن باقي مشهد العالم ، ويظلُّ الأمر كذلك حتى ظهور قائم آل محمد ، عجّل الله فرجه الشريف .

وتذكّر جيّداً أن الشيعة رُبيّت بالأمانى ، الأمانى المحقّقة ، الأمانى التي تركز على وعد الله تعالى ، ففي رواية علي بن يقطين قال : قال لي أبو

الحسن عليه السلام : « يا علي إنَّ الشيعة تُربِّي بالأمانى منذ مائتي سنة »^{١٦٠} ، وفي رواية يقطين قال لابنه علي : « ما بالناس قِيل لنا فكان . وقيل لكم فلم يكن !!؟؟ فقال له علي : إنَّ الذي قِيل لكم ولنا من مخرج واحدٍ غيرَ أنَّ أمركم حضركم فأعطيتُم محضه ، وكان كما قيل لكم ، وإنَّ أمرنا لم يحضر ، فعللنا بالأمانى . ولو قيل لنا : إنَّ هذا الأمر لا يكون إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجعت عامَّة الناس عن الإسلام ، ولكن قالوا : ما أسرع وما أقربه ؟ تألَّفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج »^{١٦١} ،

فاحفظ هذا ، واعلم أنَّ الأمانى جزءٌ من التربية الضرورية في آخر الزمان ، وأنَّ ما وعدَ اللهُ لواقع ، ويكفي أننا الآن في عصر الغيبة الكبرى ، فما أسرع أن نرى نورَ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام بأنفسنا أو بأجيالنا المتعاقبة ، وهذا من المحتوم المقطوع كقطع نور الشمس في رابعة النهار ، ووظيفتنا في هذا الزمن الطاعة والنزولُ على عهدِ الله في القرآن والعترة النبوية ، وولاية الفقهاء ، وامتنال قوانين الشريعة وفرائضها ، فما أحلت نُحلُّ ، وما حرَّمت نحرِّم ، على هذا نبقى حتى نلقى الله تعالى ، على أنَّ أولى الواجبات أن نربِّي أنفسنا على التقوى وأن نأخذ بيدِ أجيالنا نحو تأسيس قدرةٍ جماعيةٍ لقيام أمر الإسلام الشريف في النُّظم المختلفة ، حتى تكون مقاليد الحكم والاجتماع السياسي بيدنا على نحوٍ نمارس معه طريقنا القيمية والأخلاقية

^{١٦٠} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤١ - ٣٤٢

^{١٦١} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٢ - ٣٤٣

والإجتماعية والثقافية والتربوية وغيرها مما يؤكد طابع العدة والعتاد
والهيكل والإجتماع والتوطئة لقيام نور آل محمد في البلاد ، فإذا ظهر
مولانا صاحب الأمر عليه السلام كُنَّا جُنْدَهُ وَعِدَّتَهُ وَسَيْفَهُ وَإِمَكَانَاتِهِ وَالْأَرْوَاحَ الَّتِي
تُبَدَلُ دُونَ مُهَجَّتِهِ ، وَهَذَا أَعْظَمُ الشَّرَفِ ، وَأَكْبَرُ الْفِخَارِ ، وَأَحْسَنُ الْإِنْتِظَارِ ،
وَأَمْكَنُ عَنَاوِينَ التَّمَسُّكِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ لِمَوْلَانَا رُوحِي وَأَرْوَاحِ
العالمين فداه .

انتظار الفرج وحقيقة الحيرة وهياكل البلاء

مَنْ يتعقَّب أخبار انتظار الفرج يجد أنَّها كثيرة ومركَّزة وناظرة إلى القيمة المعارفِيَّة والوظيفِيَّة المفروض في أهل الانتظار أن يُحصَلوها ، ولا تكفي المعرفة بل لا بدَّ من الإمتثال وهذه بديهيَّة ظاهرة من طرف الأخبار بشكلٍ صريح ومطلق ، وهذا معنى انتظار الفرج الذي تضافرت الأخبار بمدحِهِ ، ففي رواية سعيد بن مسلم ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انتظار الفرج عبادة ^{١٦٢} . وفي لفظ آخر قيل له : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ قال صلى الله عليه وآله : انتظار الفرج . قيل : فأَيُّ الناس خيرٌ عند الله ؟ قال : أخوفهم له ، وأعملهم بالتقوى ، وأزهدهم في الدنيا ^{١٦٣} .

إذاً : لا بدَّ من المعرفة والتقوى ، أي الإعتقاد والعمل ، ولا خيرَ بلا تقوى ، فمن أقامَ شرطَ الله في نفسه وأهله وولده ومن يملك عليه ولايةً أو سلطاناً فقد أحسنَ الإنتظار وكان من أولئك الذين مدحتهم الأخبار حتى رفعتهم إلى مصافي الأخوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

^{١٦٢} الأمالي - الشيخ الطوسي - ص ٤٠٥

^{١٦٣} الأمالي - الشيخ الطوسي - ص ٤٣٦

أمّا أعظم الفرّج فهو قيامُ المهديّ وظهوره ، وفي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « على رأس السابع منّا الفرّج » ^{١٦٤} أي المهدي عليه السلام ، وفي رواية علي بن مهزيار قال : كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام أسأله عن الفرّج ؟؟ فكتب إليّ : « إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرّج » ^{١٦٥} . وكذا في رواية علي بن محمد بن زياد قال « كتبتُ إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام أسأله عن الفرّج ؟؟ فكتب إليّ : « إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرّج » ^{١٦٦} ،

وهي تؤكّد أنّ الفرّجَ الأعظم مع المهديّ عليه السلام بعد ظهوره ، وبلازمها تعني أنّ المحن والبلايا والصعاب تظلُّ على قدمٍ وساقٍ إلى ما قبل الظهور الأعظم .

وفي لسان طوائف أخرى يحدث النبيُّ الإمامَ علي عن أولئك الذين يكونون في آخر الزمن فينزلون على ولاية الثقلين ، ويُقدّمون ولاية الله على ولاية الناس ، ويفدّون العترة النبويّة بأموالهم وأنفسهم وبكلِّ ما يملكون ، لبيان مسلكهم والقيمة الوظيفيّة التي ينزلون فيها على شرط الله وشرط

^{١٦٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٥٣

^{١٦٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨٠ - ٣٨١

^{١٦٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨٠ - ٣٨١ * وفي رواية أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال : سمعت أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام (يعني الإمام الهادي عليه السلام) يقول : الخلف من بعدي ابني الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟ قلت : ولم جعلني الله فداك ؟ فقال : لأنكم لا ترون شخصه .. قلت : فكيف نذكره ؟ قال : قولوا : الحجّة من آل محمد عليهم السلام « [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨١] .

الإسلام . ففي رواية أبي موسى ^{١٦٧} عن الإمام الحسين بن علي صلوات الله عليه قال : قال لي علي صلوات الله عليه : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سرَّهُ أَنْ يلقى الله عزَّ وجلَّ آمناً مُطَهَّراً لا يحزنه الفزع الأكبر فليتوَّكَّ ^{١٦٨} ، وليتولَّ بنيك الحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمداً وعلياً والحسن ، ثم المهدي وهو خاتمهم . وَلَيَكُونَنَّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَتَوَلَّوْنَكَ يَا عَلِيُّ يَشَاءُ هُمُ النَّاسُ ، وَلَوْ أَحَبُّهُمْ كَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، يُؤَثِّرُونَكَ وَوَلَدَكَ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَخُوَّةِ وَالْأَخَوَاتِ ، وَعَلَى عَشَائِرِهِمُ وَالْقَرَابَاتِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ ، أَوْلَئِكَ يُحْشَرُونَ تَحْتَ لَوَاءِ الْحَمْدِ ، يُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ^{١٦٩} .

إِذَا : أَهْلُ الْإِنْتِظَارِ يُعْرِفُونَ بِالْوَلَايَةِ لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيَعْمَلُونَ بِالشَّرِيعَةِ فَيَحُلُّونَ حَلَالَهَا وَيَحْرَمُونَ حَرَامَهَا ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْعَنَاءِ ، وَيَخْلَصُونَ فِي طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى ، لِذَا يَشِيرُ إِلَى مَقَامِهِمُ الرَّفِيعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤَكِّدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يُحْشَرُونَ عَلَى مَوْقِعٍ عَظِيمٍ وَرَفْعَةٍ عَالِيَةٍ ، تَحْتَ لَوَاءِ الْحَمْدِ ، وَيُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَتُرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

^{١٦٧} عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور قال : حدثني أبو الحسن علي بن محمد العسكري ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه

^{١٦٨} أي يتوَلَّك .

^{١٦٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٣٦ - ١٣٧

وتدور الأخبار مدارَ الصعوبة الجبارة التي تنزلُ بآخر الزمان وما يكون فيه لتؤكد طابع البلاء المُطبّق حتى أنّ جملةً من المتون كانت تستعمل لفظ « الشريد الطريد » بالمهدي عليه السلام لتؤكد طابع المحنة التي تُصيبُ أتباعه في آخر الزمان . وفي رواية عبد الأعلى بن حصين الثعلبي عن أبيه قال : لقيت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام في حجٍّ أو عمرة فقلت له : كبرت سنِّي ، ودقَّ عظمي ، فلستُ أدري يقضي لي لقاءك أم لا ، فاعهد إليَّ عهداً وأخبرني متى الفرج . فقال عليه السلام : إنّ الشريد الطريد الفريد الوحيد ، المفرد من أهله ، الموتور بوالده ، المكنى بعمّه ، هو صاحبُ الرايات ، واسمه اسم نبي . فقلت : أعد عليّ ، قال : فدعا بكتابٍ أديمٍ أو صحيفة فكتب لي فيها ^{١٧٠} «

وفيهما هذا المعنى الصريح الذي أوردناه أعلاه ، كما أنّها صريحة بالجهد والظرف الحاد والأزمات الصعبة ، ولسان الأخبار في هذا المعنى من البلاء كثير ، منها ما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا دخل سلمان رضي الله عنه الكوفة ، ونظر إليها ذكر ما يكون من بلائها ، حتى ذكر ملك بني أمية والذين من بعدهم . ثمّ قال : فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطاهر ابن الطاهر ، المطهر ، ذو الغيبة ، الشريد

^{١٧٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٣ - ١٨٤ * وفي رواية أخرى عن حصين الثعلبي قال : لقيت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ، وذكر مثل الحديث الأول ، إلا أنه قال : ثمّ نظر إليّ أبو جعفر عند فراغه من كلامه ، فقال : أحفظت أم أكتبها لك ؟ فقلت : إنّ شئت ، فدعا بكراع من أديمٍ أو صحيفة فكتبها إليّ ، ثمّ دفعها إليّ وأخرجها حصين إلينا فقرأها علينا ، ثمّ قال : هذا كتاب أبي جعفر عليه السلام [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٤] .

الطريد^{١٧١} «^{١٧٢} . وفي هذا بيان لطابع البلاء « المستطير » الذي يطال أتباع أهل البيت عليهم السلام خاصة في آخر الزمان ، حيث إمامهم في غيبته ، والناس في حيرة وبلاءٍ عظيم .

وكذا على هذا المعنى لوازم هذه المتون ، ففي رواية داود بن كثير الرقي قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن صاحب هذا الأمر ؟ قال عليه السلام : « هو الطريدُ الوحيدُ الغريبُ الغائبُ عن أهله ، الموتورُ بأبيه عليه السلام »^{١٧٣} وهو صريحٌ كغيره في معنى المحنة الحادة والبليّة الصعبة التي تتعاضم وتحتل الأفق ، وتتسع بين يدي الزمان حتى يُتِمَّ اللهُ أمره بالمهدي عليه السلام فيأذن له بالخروج فيقيم الأرض على القسط والعدل .

وكلُّ هذه المتون وغيرها تحشد معانيها على مضبطة الحيرة وعاصف الزمان . لذا برز في طرف الأخبار تعبير « الحيرة » كإشارة إلى الصعوبة البالغة التي تُطَوَّقُ أعناق الناس آنذاك . وقد كرّرت المتون هذه

^{١٧١} وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي أبي عليه السلام : لا بدّ لنا من أذربيجان لا يقوم لها شيء ، وإذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم ، وألبدوا ما ألدنا ، فإذا تحركت متحركنا فاسعوا إليه ولو حيوا ، والله لكأني أنظر إليه بين الركن والدقّام يبايع الناس على كتاب جديد ، على العرب شديد ، وقال : ويل لطغاة العرب من شرّ قد اقترب « وفي رواية أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ليس منا أهل البيت (أي من الأئمة) أحدٌ يدفع ضيماً ولا يدعو إلى حق إلا صرعه البلية ، حتى تقوم عصابة شهدت بداراً لا يُوارى قتلها ، ولا يُداوي جريحها . قلت : من عني أبو جعفر عليه السلام ؟ قال : الملائكة » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٠] .

^{١٧٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦٣ . وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : « صاحب هذا الأمر هو الطريد الشريد الموتور بأبيه المكنى بعمّه المئرد من أهله ، اسمه اسم نبي » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٤] .

^{١٧٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٦١

الألفاظ بكثرة لتشير إلى حقيقة ما يكون في ذلك الزمان ، ففي رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : « في القائم عليه السلام شبهة من يوسف ؟؟؟ قلت : وما هو ؟ قال عليه السلام : « الحيرة والغيبة »^{١٧٤} ، قلت : يا مولاي فكم تكون الحيرة والغيبة ؟ .. فقلت : وإن هذا الأمر لكائن ؟

فقال عليه السلام : نعم كما أنه مخلوق .

ثم قال : وأنسى لك بهذا الأمر يا أصبغ ؟؟؟!! قال : ثم تعرّض لوصفهم فقال عليه السلام : أولئك خيارُ هذه الأمة مع أبرارِ هذه العترة .

قال : قلت : ثم ما يكون بعد ذلك ؟

قال عليه السلام : ثم يفعل الله ما يشاء . فإن له بداءات وإرادات وغايات ونهايات »^{١٧٥} .

إذاً : زمنُ المهدي عليه السلام في شطرٍ رئيسي وابتدائي هو زمنُ الحيرة والغيبة ، والناسُ فيها مأمورون بركوب سفينة الشريعة وولاية آلِ محمّد ، فمن ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .

أمّا مقام التعظيم لأهل الإنتظار ، فلأنّ عالم الغيبة يقومُ على حيرة وجُهدٍ ومخاطر كبرى بسبب حكومات أهل الجور والفساد وأهل الكفر والإضطهاد وأصحاب الثقافات الفاسدة الضالّة حتى يخرج من هذا الدّين قومٌ كانوا يُعرفون به ، ويدخل فيه قومٌ أشبه بعبدة الشمس والقمر ، وفي

^{١٧٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦٣ - ١٦٤

^{١٧٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦٥ - ١٦٦

رواية أبي عيسى بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي بن جعفر ، عن أبيه علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : قال لي :

« يا بني ، إذا فقدَ الخامسُ من وُلدِ السَّابعِ مِنَ الأئمَّةِ فاللهُ اللهُ في أديانكم ، فإنه لا بدَّ لصاحبِ هذا الأمرِ من غيبةٍ يغيبها حتى يرجع عن هذا الأمرِ مَنْ كان يقولُ به . ثم قال : يا بني إنما هي محنةٌ مِنَ اللهِ امتحنَ بها خلقه . لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصحَّ مِنْ هذا الدِّينِ لا تَبَّعُوهُ . قال أبو الحسن : فقلت له : يا سيِّدي مَنْ الخامسُ مِنْ وُلدِ السَّابعِ ؟ قال : يا بني عقولكم تصغر عن هذا ، وأحلامكم تضيق عن حملة ، ولكن إن تعيشوا تدركوهُ »^{١٧٦} .

أقول : تعابير الخبر تُؤكِّدُ بالغِ الصَّعوبةِ وكبيرِ المحنةِ وعظيمِ البلاءِ ، حتى أنَّ عقول مَنْ مضى كانت تستصعب هذا المعنى .

ويبدو من صريح الأخبار أنَّ زمن الغيبةِ صعبٌ مستصعبٌ ، ولا يتمُّ حتى يخرج مِنْ هذا الدِّينِ مَنْ طينتهُ خبيثةٌ وذلك عن طريق الإمتحانِ المشروطِ على العبادِ ، ففي رواية^{١٧٧} سدير الصيرفي قال : « دخلت أنا ، والمفضل بن عمر ، وداود بن كثير الرقي ، وأبو بصير ، وأبان بن تغلب ،

^{١٧٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦٦ - ١٦٧ * وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : منا اثنا عشر مهدياً مضى ستة وبقى ستة ، يصنع الله بالسادس ما أحب » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٨] .

^{١٧٧} سعد بن المنصور الجواشني قال : أخبرنا أحمد بن علي البديلي قال : أخبرني أبي ، عن

على مولانا الصادق عليه السلام ، فرأيناه جالساً على التراب ، وعليه مسح خيبري مطرف ، بلا جيب ، مقصر الكمين ، وهو يبكي بكاء الوالهة الثكلى ذات الكبد الحرى ، قد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغيير في عارضيه وأبلى الدمع محجريه ، وهو يقول :

سيدي ، غيبتك نقت رقادي ،

وضيقت علي مهادي ،

وابتزت مني راحة فؤادي ،

سيدي غيبتك أوصلت مصائبى بفجائع الأبد ، وفقد الواحد بعد

الواحد بفناء الجمع والعدد ،

فما أحسُّ بدمعة ترقأ من عيني وأنين يفشا من صدري .

قال سدير : فاستطارت عقولنا ولها ، وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك

الخطب الهائل والحادث الغائل ، فظننا أنه سمت لمكروهة قارعة ، أو حلت

به من الدهر بائقة .

فقلنا : لا أبكى الله عينيك يا بن خير الورى ، من أية حادثة تستدرف

دمعتك ، وتستمطر عبرتك ؟ وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم ؟

قال : فزفر الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه ، واشتد منها خوفه

فقال : إنني نظرت صبيحة هذا اليوم في كتاب الجفر المشتمل على علم

« البلايا والمنايا » وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، الذي خص الله

تقدس اسمه به محمداً والأئمة من بعده عليهم السلام ،

ثم قال : وتأملتُ فيه مولدَ قائمنا عليه السلام وغيبته وإبطاءَهُ وطولَ عمره وبلوى المؤمنين من بعده في ذلك الزمان ، وتولدَ الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته ، وارتداد أكثرهم عن دينه ، وخلعهم ربة الإسلام من أعناقهم التي قال الله عز وجل : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانَاهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ ﴾ (١٣/١٧) يعني الولاية ، فأخذتني الرقة ، واستولت عليَّ الأحزان .

فقلنا : يا بن رسول الله ، كرّمنا وفضلنا بإشراكك إيانا في بعض ما أنت تعلمه من علم ذلك ؟

فقال عليه السلام : إنّ الله تعالى ذكره أدارَ في القائم عليه السلام منّا ثلاثة أدارها لثلاثةٍ من الرسل :

قدّر مولده تقديرَ مولدِ موسى عليه السلام ،

وقدّر غيبته تقديرَ غيبة عيسى عليه السلام ،

وقدّر إبطاءَهُ تقديرَ إبطاءِ نوح عليه السلام ،

وجعل له من بعد ذلك عمرَ العبد الصالح - أعني الخضر عليه السلام -

دليلاً على عمره .

فقلنا : أكشف لنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله عن وجوه هذه المعاني .

قال عليه السلام : أمّا مولدُ موسى عليه السلام ، فإنّ فرعون لما وقفَ على أنّ

زوالَ ملكِهِ على يده ، أمرَ بإحضارِ الكهنة ، فدلّوا على نسبه وأنّه يكون من

بني إسرائيل ، فلم يزل يأمر أصحابَهُ بشقِّ بطون الحوامل من نساء بني

إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألفاً مولودٍ ، وتعذّرَ عليه الوصولُ
إلى قتل موسى ﷺ بحفظ الله تعالى إياه ،

وقال : كذلك بنو أمية وبنو العباس لما أن وقفوا على أن به زوال
مملكة الامراء والجبابرة منهم على يدي القائم منا ، ناصبونا للعداوة ،
ووضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وإبادة نسله طمعاً منهم
في الوصول إلى قتل القائم ﷺ ، فأبى الله أن يكشف أمره لواحدٍ من
الظلمة إلا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون .

قال : وأما غيبة عيسى عليه السلام ، فإن اليهود والنصارى اتفقت على أنه
قُتل ، فكذبهم الله عز وجل بقوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ
﴿ ١٥٧/٤ ﴾ .

كذلك غيبة القائم ، فإن الأمة ستكرها لطولها ، فمن قائلٌ يقول : إنّه
لم يُؤكّد ، وقائلٌ يفترى بقوله : إنّه وُلِدَ ومات ، وقائلٌ يكفر بقوله : إنّ حادي
عشرنا كان عقيماً ، وقائلٌ يمرق بقوله : إنه يتعدّى إلى ثالث عشر فصاعداً ،
وقائلٌ يعصي الله بدعواه : إنّ روح القائم عليه السلام ينطق في هيكل غيره .

ثمّ قال عليه السلام : وأما إبطاء نوح عليه السلام ، فإنّه لما استنزل العقوبة من
السماء بعث الله إليه جبرئيل عليه السلام معه سبع نويات فقال : يا نبي الله إنّ الله
جلّ اسمه يقول لك : إنّ هؤلاء خلّاتقي وعبادي لست أبيدهم بصاعقةٍ من
صواعقي إلا بعد تأكيد الدعوة ، وإلزام الحجّة ، فعاود اجتهادك في الدعوة
لقومك فإني مُشيبك عليه ، واغرس هذا النوى ، فإنّ لك في نباتها وبلوغها

وإدراكها إذا أثمرت « الفرج والخلص » وبشّر بذلك مَنْ تَبَعَكَ مِنَ
المؤمنين .

قال : فلما نبتت الأشجار وتأزرت وتسوقت وأغصنت وزهت الثمر
عليها بعد زمانٍ طويلٍ استنجز من الله العدة ، فأمره الله تعالى أن يغرس من
نوى تلك الأشجار ، ويُعاود الصبر والاجتهاد ، ويؤكد الحجة على قومه ،
فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به فارتد منهم ثلاثمائة رجل وقالوا : لو
كان ما يدّعيه نوحٌ حقاً لما وقع في عدته خلف .

ثم إن الله تعالى لم يزل يأمره عند إدراكها كل مرة أن يغرس تارة
بعد أخرى ، إلى أن غرسها سبع مرات ، وما زالت تلك الطوائف من
المؤمنين ترتد منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عادوا إلى نيف وسبعين رجلاً ،
فأوحى الله عز وجلّ عند ذلك إليه وقال : الآن أسفر الصبحُ
عن الليل لعينك حين صرح الحق عن محضه ، وصفي الأمر للإيمان من
« الكدر » بارتداد كل من كانت طينته خبيثة ،

فلو أني أهلك الكفار وأبقيت من ارتد من الطوائف التي كانت
آمنت بك لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا لي
التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوتك ، بأن أستخلفهم في الأرض ،
وأمكن لهم دينهم ، وأبدل خوفهم بالأمن ، لكي تخلص العبادة لي بذهاب
الشك من قلوبهم . وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف
بالأمن مني لهم ، مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث

طينتهم ، وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق وسنوخ الضلالة ، فلو أنهم تنسموا من الملك الذي أوتي المؤمنون وقت الاستخلاف إذا هلكت أعداؤهم لنشقوا روائح صفاته ، ولاستحكم سرائر نفاقهم ، وتأبّد خيال ضلالة قلوبهم ، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة ، وحاربوهم على طلب الرئاسة ، والتفرد بالأمر والنهي عليهم ، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الدين وإيقاع الحروب ،

قال الصادق عليه السلام : وكذلك القائم عليه السلام فإنه تمتد غيبته ليصرح الحق عن محضه ، ويصفو الإيمان من « الكدر » بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام .

قال المفضل : فقلت :

يا بن رسول الله ، فإن النواصب تزعم أن هذه الآية أنزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقال : لا هدى الله قلوب الناصبة متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكناً بانتشار الأمن في الأمة ، وذهاب الخوف من قلوبها ، وارتفاع الشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء أو في عهد علي عليه السلام ، مع ارتداد المسلمين والفتن التي كانت تشور في أيامهم ، والحروب والفتن التي كانت تشب بين الكفار وبينهم ،

قال : ثم تلا الصادق عليه السلام هذه الآية مثلاً لإبطاء القائم عليه السلام ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ .

ثم قال : وأما العبد الصالح - أعني الخضر عليه السلام - فإن الله تعالى ما طوّلَ عمره لنبوّةٍ قرّرها له ، ولا لكتابٍ نزل عليه ، ولا لشريعةٍ ينسخُ بها شريعةَ مَنْ كان قبله من الأنبياء عليهم السلام ، ولا لإمامةٍ يلزم عباده الاقتداء بها ، ولا لطاعةٍ يفرضها ، بلى إنّ الله تعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيّام غيبته ما يقدره ، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول ، طوّلَ عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك إلا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام ليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة ^{١٧٨} .

ثم قال الشيخ الطوسي : « والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى ^{١٧٩} » ^{١٨٠} .

إذاً : النصُّ صريحٌ في طولِ غيبة المهدي عليه السلام ، وفي الحيرة التي تُصاحب تلك الغيبة ، وفي الشكوك التي تُذاع ، فيثبت قومٌ ويترك آخرون ، وسطَ عالمٍ تملأه الفراعنة وأهلُ الجور والفساد .

^{١٧٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦٧ - ١٧٣ [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٢ - ٣٥٧] .

^{١٧٩} ذكرنا طرفاً منها لئلا يطول به الكتاب .

^{١٨٠} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦٧ - ١٧٣ * وقال : « موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشيء قبل كونه ، فكان كما تضمّنه ، فكان ذلك دلالة على صحّة ما ذهبنا إليه من إمامة ابن الحسن لأنّ العلم بما يكون لا يحصل إلا من جهة علام الغيوب » . [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٧٣] . وقال : « إنّ كثرة الاخبار ، واختلاف جهاتها ، وتباين طرقها ، وتباعد رواياتها ، يدلُّ على صحّتها ، لأنه لا يجوز أن يكون كلها باطلة » [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٧٤] . وقال : « أمّا ظهور المعجزات الدالة على صحّة إمامته في زمان الغيبة فهي أكثر من أن تحصى » [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٨١] .

بل يبدو من لسان هذا الخبر وغيره أنّ زمنَ غيبة المهديّ يطولُ
ويطول حتى يخرج من هذا الدّين قومٌ كان يُعرَفون به ، ويدخل فيه أناسٌ
أشبه بعبدة الشمس والقمر .

ثمّ في أفراد المعصوم عليه السلام لهذا النوع من الأنبياء كنماذج وصفية
لما يقع في أمر المهديّ عليه السلام إشارةً إلى عظيم المحنة والبلاء الذي يُطبقُ
في آخر الزمان ، وسط عالمٍ تشكيكيٍّ وثقافةٍ دوليّةٍ تقوم على الأطر
والهياكل الماديّة والرسوم الغريزية والإسقاطيّة ، ما يعني زحف الأباطيل
العالميّة من كلّ جهةٍ ومكان ، وتمركزها في الثقافة والتربية والصيغ
الاجتماعيّة والسياسيّة والأخلاقيّة والماليّة على نحوٍ يؤكّد طابع القطيعة
القاسية جدّاً مع شرع الله وسلطان الهدى في آخر الزمان .

أقول : لهذا النص وأشباهه نوعٌ من رهبة هائلة ، وبيان ثقيل جدّاً لما
يكون في آخر الزمان ، وما يرتبط بعالم البلاء والشكوك والحيرة ونوبات
الجهد الجبار والضغوط التي تتوالى على فكرة المهديّة ولوازمها .

كما أنّه يُركّز على مقولة المبطلة الذين يُشكّكون بطريقةٍ مكرّرة ،
مرّةً عن طريق التشكيك بأصل حياة المهدي ، ومرّةً بنفي أن يكون للإمام
العسكري ولد ، وأخرى عن طريق منطق الماديّة والثقافات المعادية لأصل
الدّين ، وفي التاريخ أمثلةٌ كثيرة عن هذه النواحي وتلك المعاني ، وقد
جرى ذلك زمنَ الغيبة الصغرى وطالت فيه المقالات ، وقد ارتدّ بعضهم

على أثر الغيبة الصغرى ، وثبت أهلُ التقى ، وقام بالدين مَنْ هو أهلٌ له ،
مَنْ لم تخبث طينتهُ ، وقد حَسُنَ إيمانهُ وبذل جُهدهُ في سبيل ربِّه
وأئمَّتهِ عليهم السلام ،

وفي بعض المتون الصادرة عن الناحية المقدَّسة يمكننا فهم رسوم
ومعاني وجه المعصوم عليه السلام على مَنْ يُسقط أمره ، بل فيه تأكيدٌ لطبيعة
الضابطة الضرورية لمعنى الإنتظار وفلسفة الطاعة ، فقد ذكر الشيخ الطوسي
أنَّ ابن أبي غانم القزويني تشاجرَ مع جماعةٍ من الشيعة في الخلف
(المهدي عليه السلام) فذكرَ ابن أبي غانم أنَّ أبا محمَّد عليه السلام (يعني الإمام
العسكري) مضى ولا خلفَ له ، ثم إنَّهُم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى
الناحية ، وأعلموه بما تشاجروا فيه ، فوردَ جواب كتابهم بخطه عليه السلام :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، عافانا الله وإياكم من الضلالة والفتن ، ووهبَ لنا
ولكم روحَ اليقين ، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب أنه أنهي إليَّ ارتيابُ
جماعةٍ منكم في الدين ، وما دخلهم من الشكِّ والحيرة في ولائِ أمورهم ،
فغمَّنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا ، لأنَّ الله معنا ولا فاقة بنا إلى
غيره ، والحقُّ معنا فلن يُوحشنا من قعدنا ، ونحن صنائعُ ربِّنا ، والخلقُ بعد
صنائعنا . يا هؤلاء ، ما لكم في الريب تتردُّون ، وفي الحيرة تنكسون !! أو
ما سمعتم الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٥٩/٤) ؟ أو ما علمتم ما جاءت به الآثار ممَّا
يكون ويحدث في أئمتكم عن الماضين والباقيين منهم عليهم السلام ؟ أو ما رأيتم

كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام : كلما غاب علم بدا علم ، وإذا أفل نجم طلع نجم ؟ فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله تعالى أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه !!! كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ، ويظهر أمر الله سبحانه وهم كارهون ،

وإن الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آباءه عليه السلام حذوا النعل بالنعل ، وفينا وصيته وعلمه ، ومن هو خلفه ومن هو يسد مسده ، لا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم ، ولا يدعيه دوننا إلا جاحد كافر ، ولولا أن أمر الله تعالى لا يغلب ، وسره لا يظهر ولا يعلن ، لظهر لكم من حقنا ما تبين منه عقولكم ، ويزيل شكوكم ، لكنه ما شاء الله كان ، ولكل أجل كتاب ، فاتقوا الله وسلموا لنا ، وردوا الأمر إلينا ، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد ، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ولا تميلوا عن اليمين ، وتعطلوا إلى الشمال ، واجعلوا قصدكم إلينا بالموودة على السنة الواضحة ، فقد نصحت لكم ، والله شاهد عليّ وعليكم ،

ولولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم والإشفاق عليكم ، لكننا عن مخاطبتكم في شغل فيما قد امتحنا به من منازعة الظالم العتل الضال المتتابع في غيّه ، المضاد لربه ، الداعي ما ليس له ، الجاحد حق من افترض الله طاعته ، الظالم الغاصب . وفي ابنة رسول الله ﷺ لي أسوة حسنة وسيردي الجاهل رداءة عمله ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ،

عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلها برحمته فإنه ولي ذلك والقادر على ما يشاء ، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً ، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً^{١٨١} .

إذا الضابطة الرئيسيّة في وصيّة المهدي عليه السلام في هذا الخبر تكمن في التزام خطى اليمن وعدم الزيغ عن أمره عليه السلام ، أي التزام الشرع الحنيف ، وإتمام الأمر وفق ولاية الثقلين في المعرفة والفكر والعمل والغايات ، وهذا المراد بخطّ « الطاعة » المفروض على الخلق واللازم بحقّهم وهو آكد في آخر الزمان ، حيث الحجّة منصوبة ، وشرع الله ظاهر ، وقوانينه معلومة مشهورة .

وقد أشرنا فيما مضى إلى أنّ الحجّة في عصر الغيبة أمران : كتاب الله والعترة النبويّة . وصريح القرآن ولسان العترة النبويّة نصب الفقيه العادل حجّة الله والدليل على شرعه والمبين لأمره . فالزم أمر الوليّ الفقيه واحفظ نفسك عليه ، فإنّه الأمين على الدّين والدنيا بدليل الأخبار والامتون .

بل كرّرت الأخبار معنى الإلتزام وتحليل الحلال وتحريم الحرام ، والتزام الأمر والزجر ، ولزوم الشرع المّبين ، وحجّة الله الصريحة . وقد كثر هذا المعنى في أجوبة الإمام المهدي عليه السلام زمن الغيبة الصغرى عبر النواب

^{١٨١} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٨٥ - ٢٨٧

المنصوبين ، في قضايا وأحداث وظروف كثيرة ، ضمن عرض أعلى معاني البيان الإحتجاجي ، منها ما رواه سعد بن عبد الله الأشعري قال : « حدثنا الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري رحمه الله أنه جاءه بعض أصحابنا يُعلمُهُ أَنَّ جعفر بن علي (المدَّعي) كتب إليه كتاباً يُعرِّفه فيه نفسه ، ويُعلمه أَنَّهُ القَيِّم بعد أخيه ، وأنَّ عنده مِن علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه وغير ذلك من العلوم كلها .

قال أحمد بن إسحاق : « فلما قرأتُ الكتاب ، كتبتُ إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيرتُ كتاب جعفر في درجه .
قال : فخرج الجوابُ إليَّ في ذلك :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أتاني كتابك أبقالك الله ، والكتابُ الذي أنفذته درجةً وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمنه على اختلاف ألفاظه ، وتكرر الخطأ فيه ، ولو تدبرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه ، والحمد لله رب العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا ، وفضله علينا .
ثم قال عليه السلام : أبى الله عز وجل للحقِّ إلا إتماماً ، وللباطل إلا زهوقاً ، وهو شاهدٌ عليَّ بما أذكره ، ولي عليكم بما أقوله ، إذا اجتمعنا ليوم لا ريب فيه ويسألنا عما نحن فيه مختلفون ، إنه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ، ولا طاعة ولا ذمة ، وسأبين لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله تعالى :

يا هذا يرحمك الله ، إِنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم
سدىً ، بل خلقهم بقدرته ، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً ،
ثم بعث إليهم النبيين ﷺ مبشرين ومنذرين ، يأمرهم بطاعته ،
وينهونهم عن معصيته ، ويعرفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم ،
وأنزل عليهم كتاباً ، وبعث إليهم ملائكة يأتين بينهم وبين من بعثهم إليهم
بالفضل الذي جعله لهم عليهم ، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين
الباهرة ، والآيات الغالبة .

فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً واتخذه خليلاً ، ومنهم من
كلمته تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً ، ومنهم من أحيى الموتى بإذن الله ،
وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، ومنهم من علمه منطق الطير وأوتي من
كل شيء ،

ثم بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، وتمم به نعمته ، وختم به
أنبياءه ، وأرسله إلى الناس كافة ، وأظهر من صدقه ما أظهر ، وبين من آياته
وعلاماته ما بين ،

ثم قبضه ﷺ حميداً فقيداً سعيداً ،
وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمه ووصيه ووارثه علي بن
أبي طالب عليه السلام ،

ثم إلى الأوصياء من ولده واحداً واحداً ، أحيى بهم دينه ، وأتم
بهم نوره ،

وجعل بينهم وبين إخوانهم وبني عمّهم والأدنين فالأدنين من ذوي
أرحامهم فرقاناً بيناً يُعرف به الحجّة من المحجوج ، والإمام من المأموم ،
بأن عصمهم من الذنوب ، وبرّأهم من العيوب ، وطهّرهم من الدنس ،
ونزّههم من اللبس ، وجعلهم خزان علمه ، ومُستودع حكمته ، وموضع
سرّو ، وأيدّهم بالدلائل ،

ولولا ذلك لكان الناسُ على سواء ، ولا دّعى أمر الله عز وجل كلُّ
أحدٍ ، ولما عُرف الحقُّ من الباطل ، ولا العالمُ من الجاهل .

ثمّ قال : وقد ادّعى هذا المُبطل المفترى على الله الكذب بما ادّعاه ،
فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه ،

أبفقه في دين الله؟! فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يُفرّق بين
خطأ وصواب ،

أم بعلمٍ!!! فما يعلم حقّاً من باطل ، ولا مُحكماً من مُتشابه ولا يعرف
حدّ الصلاة ووقتها ،

أم بورع!!!! فالله شهيدٌ على تركه الصلاة الفرض أربعين يوماً ،
يزعم ذلك لطلب الشعوذة ، ولعلّ خبره قد تأدّى إليكم ، وهاتيك ظروف
مسكرو منصوبة ، وآثارُ عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة ،

أم بآية؟؟!! فليأت بها ،

أم بحجّة!!! فليقمها ،

أو بدلالة؟؟!! فليذكرها .

ثم قال : قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه : بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ : ﴿ ١/٤٦ ﴾ حم ﴿ ١/٤٦ ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿ ٢/٤٦ ﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿ ٣/٤٦ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٤/٤٦ ﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿ ٥/٤٦ ﴾ وَإِذَا حُسِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ ٦/٤٦ ﴾ ،

ثم قال :

فالتمس - تولَّى الله توفيقك - من هذا الظالم ما ذكرت لك ، وامتحنه وسله عن آية من كتاب الله يفسرها أو صلاة فريضة يُبَيِّن حدودها وما يجب فيها ، لتعلم حاله ومقداره ، ويظهر لك عواره ونقصانه ، والله حسيبه . حفظ الله الحق على أهله ، وأقره في مستقره ، وقد أبى الله عزَّ وجلَّ أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام ، وإذا أذن الله لنا في القول ، ظهر الحق ، واضمحل الباطل ، وانحسر عنكم ، وإلى الله أرغب في الكفاية ، وجميل الصنع والولاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآل محمد « ١٨٢ .

^{١٨٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٨٧ - ٢٩٠

إذاً: المهدي عليه السلام يحتج على مدعي الأمر بضابط الشريعة وأدلتها
وبيناتها الخاصة بمدعي مقام الإمامة ، وهي مقامات خاصة جداً لها عرضها
وأدلتها الكبرى .

ثم يؤكد عليه السلام على ناسه وأُمَّته والخلائق أجمعين طبيعة الصلة بين
الأرض والسماء ، وأنَّ الناس ممتحنون في الأرض ، مأمورون بإتمام الذمَّة
اتجاه الله تعالى ، وأنَّ كلَّ خلقٍ مأمور ، ولا مخرجٍ من أمر الله إلا بطاعته من
الوجه الذي عينه على خلقه ، أي من الباب الذي منه يُوتى . من هنا
عرض عليه السلام لخطِّ النبوة في أمر الله ثمَّ لخاتمها النبيِّ المصطفى صلى الله عليه وآله ، ثمَّ
لخطِّ الولاية المنصوبة من قبل الله تعالى في الأئمَّة الإثني عشر وهم الثقل
الثاني وحجَّة الله ومَن بهم يُطاع الله ، وبتركهم يُعصى الله ، وهم الثقل
المقرون بالقرآن والحجَّة التي لا يخرج المكلف من ذمَّة الشرع إلا
بالتزامها ، بتواتر الأخبار النبويَّة في كُتب الفريقين .

على أنَّ محنة الحجَّة عظيمة ، فقد تطلَّع لها من هو من بيت
الإمام صلى الله عليه وآله وهو جعفر بن علي ، رغم أنَّه معروفٌ بسكرة وأباطيله لكنَّ
ذلك كان معروفاً لمن يعرفه ، ومجهولاً عمَّن لا يصل إليه حالة من سگان
الآفاق ، وقد دعمه سلطانُ بني العباس ، وأوقف الجند في صفِّه لتثبيت أمره
كواعظٍ لبني العباس ومُبطلٍ لأمر الإمامة التي أيقن بنو العباس حَقَّانيتها وأنَّ
الثاني عشر منها يُبطل أمرَ الجبابرة ويفلُّ أيديهم ، ويُسقطُ عروشهم ، فراموا
إبطال أمر الله ، فما استطاعوا ولن يستطيعوا . لكنَّ أمرَ المحنة يصعب على

الباس ، فلا بدَّ من دليلٍ بَيِّنٍ وبرهانٍ ساطع ، وهذا ما أشار له الإمام عليه السلام في
ملوئته السابقة ، فأعلن في جملةٍ من تواقيعه الأدلَّة والبيِّنات والأعلام
المرشدة إلى حقيقة الإمام الحجَّة على الخلق ، فضلاً عن تواتر الأدلَّة عليه
من النبيِّ والآل مضافاً إليها كلُّ البيِّنات التي طارت بها الأسماع والأبصار
ر من الإمام العسكري وما تلاه إِبَّان ولادته والغيبة الصغرى .

كما أشارَ عليه السلام إلى حقيقة ما يقع وما يجب التزمه والرجوع إليه ،
ليبان أمر المحنة والرجوع فيها إلى الأعلام الثيرة والحجج الساطعة ، ففي
رواية إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله أن
يوصل لي كتاباً قد سُئِلت فيه عن مسائل أشكلت عليّ ، فورد التوقيع بخط
مولينا صاحب الدار عليه السلام : « أمّا ما سألتَ عنه أرشدك الله وثبتك ، من أمر
المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمِّنا (يشير إلى عمِّه جعفر بن علي) ،
فاعلم أنه ليس بين الله عزَّ وجلَّ وبين أحدٍ قرابة ، ومن أنكرني فليس مني ،
وسبيله سبيلُ ابن نوح عليه السلام . وأمّا سبيل عمِّي جعفر وولده ، فسبيل إخوة
يوسف عليه السلام .

وأما ظهورُ الفرج ، فإنه إلى الله عزَّ وجلَّ ، كذب الوقاتون^{١٨٣} .
وأما الحوادثُ الواقعة ، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنَّهم
حجَّتِي عليكم وأنا حجَّةُ الله عليكم^{١٨٤} .

^{١٨٣} وأمّا قول من زعم أن الحسين عليه السلام لم يُقتل ، فكفر وتكذيب وضلال .

^{١٨٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٩٠ - ٢٩١

وأما علّة ما وقع من الغيبة؟؟؟ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِئَةٌ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٠١/٥)، إنه لم يكن أحدٌ من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعةً لطاغيةٍ زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحدٍ من الطواغيت في عنقي»^{١٨٥}.

وأما وجه الانتفاع في غيبتي؟؟؟ فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتا عن الأبصار السحاب، وإني لأمانٌ أهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعينكم، ولا تتكلّفوا على ما قد كُفّيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى»^{١٨٦}.

ومعه:

فلا حيرة مطلقّة، بل حيرة امتحانٍ وبلاء، وسط براهين قاطعة وخبج ساطعة، وأعلام ثابتة وأدلة صريحة.

ثمّ بعد ذلك: الفقيه العادل - زمن الغيبة - دليل الله على شرعه وحقته على خلقه وبيانه لهداه، وسلطانه في قيادة الأمة وناسها وثوراتها وبيان حلالها وحرامها وتكريس مشروعها. لسان الأخبار في هذا المعنى

^{١٨٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٩٢

^{١٨٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٩٢ - ٢٩٣

أكثر من أن يحصى ، والأدلة جاءت مرّة بالمطابقة ومرّة بالتضمّن وأخرى
باللوازم ، فافهم .

محاولات السلطة التضييق على أهل البيت عليهم السلام

ومعنى المحنة منذ زمن الغيبة الصغرى

إعلم أنّ السلطات الجائرة المتعاقبة ، عملت كلَّ جهدها لاغتيال الإمامة ، إلا أنّ الإمامة منصبُ الله في الأرض وحقُّه ، فلا تُغلب على أمرها . ومن يُعيد قراءة التاريخ يُدرك الإعجازَ الأعظم الذي أحاطَ اللهُ الإمامةَ به .

واعلم أنّ بعضاً من أشكال البلاء الذي صبَّ على رأس الشيعة أنّ السلطة كانت تبتُّ العيون ، وبعض الأحيان تزجُّ بعضاً من أتباعها على باب الإمام ، وأحياناً أخرى كانت تحتجز الإمام في داره تحت حراستها ، ومرّات كثيرة كانوا يأخذون الإمام إلى السِّجن ثم يدسُّون له السمَّ فيقتل .

وفي طرفٍ آخر نجد أنّ بعضاً ممن تقربَّ من المعصوم عليه السلام تقربَّ على شرطِ الراحة والمنفعة ، فإذا ابتلي بمالٍ أو جاء ترك المعصوم وانقلبَ على عقبه ، فكان هذا مصدر بلاء ومحن صبَّت على قلوب الشيعة ، بل بعض الأحيان كانت السلطة الأمويَّة والعباسيَّة تدسُّ جبراً على باب المعصوم وقرب داره من هو عينٌ لها على الإمام وشيعته حتى روي في

بعض الأخبار أنهم قالوا عليه السلام : « خدامنا وقوامنا شرارُ خلق الله »^{١٨٧} وهم يريدون أصنافاً خاصة لا كلَّ الخدّام والقوّام ، فهناك صنفٌ خاص دفعتهُم السلطة الجائزة أو تسلُّوا عبر هذا الطريق وذاك ، وهمُّهم مراقبة أمر الإمامة والانتفاع الدنيوي عن طريقها لذا قال الشيخ الطوسي : « وهذا ليس على عمومته وإنما قالوا لأنَّ فيهم من غيرٍ وبدلٍ وخان »^{١٨٨} ، وفي رواية محمد بن صالح الهمداني قال : « كتبتُ إلى صاحب الزمان عليه السلام إنَّ أهل بيتي يؤذوني ويقرعوني بالحديث الذي رُوي عن آبائك عليهم السلام أنهم قالوا : خدامنا وقوامنا شرارُ خلق الله . فكتب عليه السلام : « ويحكم - ما تقرؤون ما قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً ﴾ ﴿١٨/٣٤﴾ ، فنحن والله القري التي بارك الله فيها ، وأنتم القري الظاهرة »^{١٨٩} ، وذلك ليبيِّن أنَّ المقصودَ باللعن فئةٌ خاصة تسلُّوا عن طريق السلطة الظالمة وعن طرقٍ أخرى يريدون عبرها إمّا إبطال الإمامة أو النفع الدنيوي فخذلهم الله تعالى .

ثمَّ ساق علينا الشيخ الطوسي جملةً من المحمّودين ، وجملةً من المذمومين ، ممَّن كان قريباً من المعصومين عليهم السلام ، فمن « المحمّودين » : حمران بن أعين ، والمفضل بن عمر ، والمعلّى بن خنيس وكان من قوام

^{١٨٧} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٥

^{١٨٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٥

^{١٨٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٥ - ٣٤٦

أبي عبد الله عليه السلام ، وإنما قتله داود بن علي بسببه ، وكان محموداً عنده ، ومضى علي منهاجه ^{١٩٠} . وفي رواية أبي بصير قال : « لما قتل داود بن علي المعلى بن خنيس فصلبه ، عَظُمَ ذلك علي أبي عبد الله عليه السلام واشتدَّ عليه وقال له : يا داود علي ما قتلتَ مولاي وقِيمِي في مالي وعلى عيالي !!!؟! والله إِنَّهُ لأَوْجَهُ عند الله منك ^{١٩١} ، وقد دعا عليه الإمام عليه السلام طيلة الليل حتى سَمِعَتِ واعيةُ أهله علي موته من داره .

ومن الممدوحين : نصر بن قابوس اللخمي ، روي أنه كان وكيلاً لأبي عبد الله عشرين سنة ، ولم يُعَلَمَ أَنَّهُ وكيل ، وكان خيراً فاضلاً ^{١٩٢} ،

وكان عبد الرحمن بن الحجاج وكيلاً لأبي عبد الله عليه السلام ، ومات في عصر الرضا عليه السلام علي ولايته ^{١٩٣}

وكذا عبد الله بن جندب البجلي كان وكيلاً لأبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا عليه السلام ، وكان عابداً رفيع المنزلة لديهما ^{١٩٤} .

ومنهم : ما رواه أبو طالب القمي قال : دخلت علي أبي جعفر الثاني عليه السلام في آخر عمره فسمعتة يقول : جزى الله صفوان بن يحيى ، وزكريا بن آدم ، وسعد بن سعد عني خيراً ، فقد وفوا لي ، وكان زكريا بن

^{١٩٠} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٧

^{١٩١} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٧

^{١٩٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٧ - ٣٤٨

^{١٩٣} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٨

^{١٩٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٨

آدم ممّن تولاهم . وخرج فيه عن أبي جعفر عليه السلام : « ذكرت ما جرى من قضاء الله في الرّجل المتوفى رحمه الله تعالى يوم وُلد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً ، فقد عاش أيّام حياته عارفاً بالحقّ قائلاً به ، صابراً محتسباً للحقّ ، قائماً بما يجب لله ولرسوله عليه ، ومضى رحمه الله غير ناكثٍ ولا مبدلٍ ، فجزاهُ اللهُ أجرَ نيته وأعطاهُ جزاءَ سعيه » ^{١٩٥} .

ومنهم عبد العزيز بن المهدي القمي الأشعري ، خرج فيه عن أبي جعفر عليه السلام : « قبضت والحمد لله وقد عرفت الوجوه التي صارت إليك منها غفر الله لك ولهم الذنوب ورحمنا وإياكم » . ومنهم علي بن مهزيار الأهوازي وكان محموداً ^{١٩٦} .

ومنهم أيوب بن نوح بن دراج . ذكّر عمرو بن سعيد المدائني - وكان فطحياً - قال : كنتُ عند أبي الحسن العسكري عليه السلام بصرياً إذ دخل أيوب بن نوح ووقف قدامه فأمره بشيء ، ثم انصرف ، والتفت إليّ أبو الحسن عليه السلام وقال : يا عمرو إن أحببت أن تنظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فانظر إليّ هذا ^{١٩٧} .

ومنهم علي بن جعفر الهماني وكان فاضلاً مرضياً من وكلاء أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام ^{١٩٨} .

^{١٩٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٨

^{١٩٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٩ - ٣٥٠

^{١٩٧} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٤٩ - ٣٥٠

^{١٩٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٠

ومنهم أبو علي بن راشد ، وفي رواية محمد بن عيسى قال : كتب أبو الحسن العسكري عليه السلام إلى الموالي ببغداد والمدائن والسواد وما يليها : قد أقمت أبا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه ومن قبله من وكلائي ، وقد أوجبت في طاعته طاعتي ، وفي عصيانه الخروج إلى عصياني^{١٩٩} .

فهذه ثلثة قليلة من الممدوحين الكثر أردت الإشارة إليها لما تعنيه في الوجدان والتراث من قيمة ووسائط ومعاني مكرمة عند الله تعالى ، وكذا لما تعنيه كنماذج ثبتت على القول بالإمامة رغم الظروف القاسية ورغم حدة السيف السليط فوق رقابها .

أمّا المذمومون وهم نماذج تمهيدية عمّن سقطوا حال التمحيص والاختبار فأقبلوا على الدنيا عمياً تاركين وراءهم ما يحييهم ، لاهثين على بضاعة تقتل أهلها وترديهم في نار الجحيم ، منهم صالح بن محمد بن سهل الهمداني ، وعلي بن أبي حمزة البطائني وزباد بن مروان القندي ، وعثمان بن عيسى الرواسي ، كلهم كانوا وكلاء لأبي الحسن موسى عليه السلام ، وكان عندهم « أموال جزيلة ، فلما مضى أبو الحسن موسى عليه السلام وقفوا طمعاً في الأموال ، ودفَعوا إمامة الرضا عليه السلام وجحدوه^{٢٠٠} ، ومنهم فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني على ما رواه عبد الله بن جعفر الحميري قال : كتب أبو

^{١٩٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٠ - ٣٥١

^{٢٠٠} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٢

الحسن العسكري عليه السلام إلى علي بن عمرو القزويني بخطه: إعتقد فيما تُدين الله تعالى به أنّ الباطن عندي حسب ما أظهرت لك فيمن استنبأت عنه ، وهو فارس لعنه الله فإنه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه ، وقصده ومعاداته ، والمبالغة في ذلك بأكثر ما تجد السبيل إليه . ما كنت أمرُّ أن يُدان الله بأمرٍ غير صحيح ، فجد وشدّ في لعنه وهتكه ، وقطع أسبابه ، وصد أصحابنا عنه ، وإبطال أمره وأبلغهم ذلك مني ، واحكِهِ لهم عني ، وإني سائلكم بين يدي الله عن هذا الأمر المؤكّد ، فويل للعاصي وللجاحد . ومنهم أحمد بن هلال العبرتائي ، وأبو طاهر محمد بن علي بن بلال وغيرهم مما لا نطول بذكرهم^{٢٠١} ،

فهؤلاء إمّا غرّهم سلطان الوقت ووكلاءه أو غرّتهم الأموال والمنافع ، ففشلوا في المحنة ، وسقطوا في الشهوة ، فما خرجوا من الدنيا إلا عراة من المال والسلطان ، ولاقوا ما عملوا وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون .

وقد ابتلي الشيعة أحياناً عن طريق هؤلاء وتعاضمت المحنة بسببهم وسط حكومة السلطان الجائر الذي لم يترك وسيلةً لإبطال أمر الله في الإمامة إلا واعتمدها فردّها الله عليه ، وحفظ الإمامة ونصبها حجةً معظمةً للخلق ضمن أطر الاختبار ، وها نحن في زمن وليّ الأمر حجةً الله

^{٢٠١} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٣

المهدي عليه السلام ، والمحنة ظاهرة ، والخطب جليل ، والراية منصوبة ، والبينة ساطعة ، فمن آمن واتقى كان له أكرم معاني الرضوان ، ومن تخلف غرق وهلك .

وقد نصب الله تعالى لنا رايات السفراء في الغيبة الصغرى ، وهم عددٌ محدودٌ ، كان لهم شبكةٌ من عشرات الوكلاء في المناطق المختلفة .

والسفراء أربعة ، كانت توقعياتُ صاحبِ الأمر عليه السلام تخرج عن طريقهم .

وكما في رواية الشيخ الطوسي قال : « أمّا السفراء الممدوحون في زمان الغيبة : فأولُّهم مَنْ نصبه أبو الحسن علي بن محمد العسكري وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابنه عليه السلام ، وهو الشيخ الموثوق به : أبو عمرو « عثمان بن سعيد العمري » رحمه الله ، وكان أسدياً ، وإنما سمِّي العمري^{٢٠٢} لأنه كما قال أبو نصر : كان أسدياً فنُسِبَ إلى جدِّه فقيل العمري^{٢٠٣} ، ويُقال له « العسكري » أيضاً ، لأنه كان من عسكر « سر من رأى » ويقال له : السَّمَّان ، لأنه كان يتجر في السمن تغطيةً على الأمر .

وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حملةً من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو ، فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمّله

^{٢٠٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٣

^{٢٠٣} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٤

إلى أبي محمد عليه السلام تقيّةً وخوفاً^{٢٠٤} ، وفي رواية أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال : « دخلتُ على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت : يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهاى لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت ، فقول من نقبل ؟؟؟؟ وأمر من نمثل ؟؟؟؟ فقال لي صلوات الله عليه : هذا أبو عمرو « الثقة الأمين » ما قاله لكم فعني يقوله ، وما أداهُ إليكم فعني يؤديه .

فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه ، فقال لي : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعني يقوله ، وما أدّى إليكم فعني يؤديه »^{٢٠٥} .

وكانت توقعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد عليه السلام بالأمر والنهي والأجوبة عمّا يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام ، فلم تنزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن سعيد رحمه الله وغسله ابنه « أبو جعفر » وتولّى القيام به وحصل الأمر كله مردوداً إليه ، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته ، لما تقدم من النص عليه بالأمانة والعدالة

^{٢٠٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٤

^{٢٠٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٤ - ٣٥٥

والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان
رحمة الله عليه ^{٢٠٦} .

وفي رواية الطوسي قال : « فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام
ابنه « أبو جعفر » محمد بن عثمان مقامةً بنصر أبي محمد عليه السلام عليه ونصر
أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام » ^{٢٠٧} .

وفي رواية عبد الله بن جعفر الحميري قال : « اجتمعت أنا والشيخ
أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمي ، فغمزني أحمد
بن إسحاق أن أسأله عن « الخلف عليه السلام » ؟؟؟ فقلت له :

« يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك
عنه ، فإن اعتقادي وديني أن « الأرض لا تخلو من حجة » إلا إذا كان قبل
يوم القيامة بأربعين يوماً ، فإذا كان ذلك وقعت الحجة وغلقت باب التوبة
﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾
﴿ ١٥٨/٦ ﴾ فأولئك أشرارٌ من خلق الله عز وجل ، وهم الذين تقوم عليهم
القيامة ، ولكن أحببت أن أزداد يقيناً ، فإن إبراهيم عليه السلام سأل ربه أن يريه
كيف يحيي الموتى فقال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي .
وقد أخبرنا أحمد بن إسحاق أبو علي عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته
فقلت له : لمن أعامل ؟؟؟ وعمن آخذ ؟؟؟ وقول من أقبل ؟؟؟ فقال له :

^{٢٠٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٦ - ٣٥٧

^{٢٠٧} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٩

« العمري ثقني ، فما أدّى إليك فعني يُؤدّي ، وما قال لك فعني يقول ، فاسمع له وأطع ، فإنه الثقة المأمون »^{٢٠٨} .

ثمّ قال : أخبرني أبو علي أنّه سأل أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام عن مثل ذلك فقال له : « العمري وابنه ثقتان ، فما أدّى إليك فعني يُؤدّيان ، وما قال لك فعني يقولان ، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان » ، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك .

قال : فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ، ثم قال : سل ، فقلت له :

أنت رأيت « الخلف عليه السلام » من أبي محمد عليه السلام ؟ فقال : أي والله ، ورقبته مثل ذا ، وأوماً بيديه . فقلت له : فبقيت واحدة ؟؟؟ فقال لي : هات ، قلت : فالاسم ؟؟ قال : محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك (أي أن تشهروه زمن الغيبة الصغرى) ، ولا أقول هذا من عندي وليس لي أن أحلل وأحرم ولكن عنه عليه السلام فإنّ الأمر عند السلطان أنّ أبا محمّد عليه السلام مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه ، وأخذهُ مَنْ لا حقّ له ، وصبر على ذلك ، وهو ذا عياله يجولون وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً ، وإذا وقع الاسم وقع الطلب ، فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك »^{٢٠٩} . أقول : هذا المنع عن ذكر الاسم إنّما كان زمن الغيبة الصغرى لا الغيبة الكبرى كما هو صريح

^{٢٠٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٩ - ٣٦١

^{٢٠٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٩ - ٣٦١

الأخبار ، فإذا تمَّ أمرُ الغيبةِ الكبرى يخرج عليه السلام على أثرها فيملاً الأرض قسطاً وعداً كما ملأت ظلماً وجوراً . والمتون صريحة في أنَّ أحداً لن يناله من الظلمة زمن الغيبة الكبرى ، فهو في صون الله وحفظه وكذا إذا ظهر عليه السلام .

وعلى أثر موت شيخ السفراء (أبو عمرو) قام مقامه أبو جعفر فأحسن القيام .

وفي رواية محمد بن همام قال : قال لي عبد الله بن جعفر الحميري : « لما مضى أبو عمرو رضي الله عنه ، أتتنا الكتب بالخط الذي كُتِبَ به بـ « إقامة أبي جعفر رضي الله عنه مقامه » ^{٢١٠} .

وفي رواية محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي قال : « خَرَجَ إليه بعد وفاة أبي عمرو : « والابنُ وقاهُ اللهُ لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونصر وجهه ، يجري عندنا مجراه ، ويسدُّ مسدَّهُ ، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل ، تولاهُ اللهُ ، فانتبه إلى قوله : « وعرف معاملتنا ذلك » ^{٢١١} .

ثمَّ مع موت السفير الثاني ، خرج التوقيع بالحسين بن روح ، شيخ الشيعة ، فقام بالأمر على أحسن قيام ، إلى أن تمت عدته ، فخرج التوقيع بموته وقيام علي بن محمد السمري وهو السفير الرابع ، وفي رواية أبي

^{٢١٠} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٦٢

^{٢١١} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٦٢

محمد الحسن بن أحمد المكتب قال : « كنت بمدينة السلام في السنة التي توفّي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمرى قُدّسَ سرُّهُ ، فحضرتُه قبل وفاته بأيّام ، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا تُوص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً . وسيأتي شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة ، ألا فمَنْ ادّعى المشاهدة قبل خروج السفينى والصيحة فهو كذّاب مفترٍ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . »

قال : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلما كان اليوم السادس عُذنا إليه وهو يجود بنفسه ، فقيل له : مَنْ وصيكَ من بعدك ؟؟؟ فقال : لله أمرٌ هو بالغُهُ ، وقضى . فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه^{٢١٢} .

فهذه جملة السفراء ذكرناهم على وجه الإختصار ، لأنني ذكرتهم في كتبنا العديدة التي تحدّثنا فيها عن الظرف التاريخي لولادة وغيبة مولانا صاحب الزمان ، فلترأّجع .

^{٢١٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٩٥

وما أريد أن أشير إليه هنا أنّ المحنة التي طالت الشيعة طيلة التاريخ ، تكثفت وتجمّعت منذ زمن ولادة مولانا صاحب الأمر عليه السلام ، وتفاقت مع غيبته الصغرى ، وتعاقبت عليها المحن مع الغيبة الكبرى ، وها نحن في آخر الزمان وسط بحرٍ من حكومات الجور والتوحّش والكفر والجحود والعناد والأباطيل التي لا تُؤمن بمعنويات ولا أفق للوجوديات ، فيما أغلب المسلمين يعيشون مرحلةً مدهشةً من الإنحراف والسقوط في درك حضارة العورات ..

فما أصعبه من زمان وما أثقلها من أوطان ، لكنّ لطفَ الله عظيم وحجته بالغة ونوره يملأ الوجود ، وقدرتنا على التكليف لا يحول دونها شيئ ، فنحن على أمر الله وأمر رسوله والأئمة الميامين عليهم السلام ، نؤمن ونعمل ، ونُكثِر من الدعاء لمولانا المهديّ بالفرج ، فإنّ كُنّا ممّن يتشرّف برؤية نوره فما أسعدنا ، وإلا فإيا الله صلّ على محمّد وآل محمّد ولا تُمتنا إلا على ملّتهم ودينهم وطريقتهم يا ربّ العالمين ، بمحمّد وآله الطاهرين عليهم السلام .

الإمتحان والشدة زمن الغيبة

تؤكد الأخبار دوماً المحنة الموصوفة لأهل الإنتظار ، وتشيرُ إلى حقيقة ذلك العالم الذي تُطبقُ عليه أنياب الجبابة من شياطين الإنس ، فتدعو أهل الدين أن يثبتوا وأن لا يستوحشوا من ظلمة الفساد فإنه ليس مع الله وحشة . ولأهمية الأمر ودقته نجد الأئمة عليهم السلام لفتوا الأنظار إليه منذ الأيام الأولى . ففي رواية يعقوب السراج وعلي بن رثاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن أمير المؤمنين عليه السلام لما بُوع بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها ، يقول فيها :

ألا إن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله ،
والذي بعثه بالحق لتبليبن بلبلة ولتغربن غربة ، حتى يعود أسفلكم
أعلاكم وأعلاكم أسفلكم . وليسيقن سباقون كانوا قصرُوا ، وليقصرن
سباقون كانوا سبقُوا ،

والله ما كتمتُ وسمَةً ولا كذبتُ كذبة ، ولقد بُئتُ بهذا المقام وهذا
اليوم ^{٢١٣} .

^{٢١٣} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٩ - ٣٧٠ [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٩] .

إذاً: هو خطُّ البلاء المأزوم والمتناول الذي يشتدُّ صعوبةً في آخر الزمان ، والذي يضربُ بيدهِ وقدمهِ زمن الإنتظار حتى يتأخر قومٌ كانوا قد سبقوا ، ويسبق قومٌ كانوا قد قصروا ، ويخرج أناسٌ من هذا الدِّين كانوا به يُعرفون ، ويدخل فيه أناس أشبه بعبدة الشمس والقمر .

وقد صبَّت الأخبار كثيراً من عناوينها التي وردت في التمحيص والبلاء على زمن الغيبة لشدة ما فيه وما يطال الناس وقلَّة مَنْ يثبت وكثرة مَنْ يترك أو يخرج أو لا يبالي أو يسخر أو يطعن . ففي رواية ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « ويلٌ لطغاة العرب ، من أمرٍ قد اقترب . قلت : جعلتُ فداك ، كم مع القائم من العرب ؟ قال عليه السلام : نفرٌ يسير . قلت : والله إنَّ مَنْ يصف هذا الأمر منهم لكثير !!! قال عليه السلام : لا بدَّ للناس من أن يُمحصَّوا ويُميَّزوا ويُغربَّلوا . ويستخرج في الغربال خلق كثير ^{٢١٤} » ^{٢١٥} .

في العناصر : الرواي يستعرضُ على المعصوم عليه السلام كثرة الناصر ، فيما الإمام يجيبه بشرطٍ سابقٍ وهو ضرورة التمحيص والبلاء ، وهو في حقيقة الحال شكلٌ من أشكال القانون المركزي في دار الإختبار ، لكنه يستوطنُ ويتكثف في زمنٍ أو موقعٍ أو ظرفٍ دون آخر بنسبةٍ أكبر . وهو في موقع الإنتظار وزمن الغيبة أكثر صعوبةً وأشدَّ وقعاً ، لأنَّ مقاليد الحكم

^{٢١٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٢

^{٢١٥} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٠

والسياسة وقيادة الثقافة والتربية ومفاتيح الأخلاقيات ، وهيكل المجتمع العام ، ووزن الفكر الذي يقود دنيا الإنسان الخاصة بصورة إجمالية في آخر الزمن يكون منحرفاً وصدامياً مع قيم الإسلام ، وهناك طوائف كثيرة تحدثنا عن غربة الإسلام وعزله وعن سطوة الجبابرة والمفسدين ، وعن جزير يد المؤمنين عن إدارة المجتمع العام إلا في مواطن قليلة ، بحيث يسود الفساد السياسي والثقافي والفكري والحربي والمالي بأشكال تملأ الأرض ظلماً وجوراً وفساداً .

فيما وظيفة المنتظرين الثبات على أمر الله ، والعمل لتأمين الأسس الإرتكازية لشرع الله وعمل الأفراد والجماعات ، فضلاً عن تأمين وظيفة المجتمع السياسي على شرط الثقلين : كتاب الله والعترة النبوية عليهم السلام .

لهذا يعاني أهل الإنتظار بشدة آنذاك ، فهم خصوم العالم المنحل ، وهم طريدته ، وهم أهداف سياساته الثقافية والتربوية والاجتماعية والسياسية والأمنية وغيرها .

ولهذا نقرأ جملة من المتون عن محاولات عزلهم ، عن جهودهم وعناءهم ، عن فرادتهم في دنيا آخر الزمان ، عن خصوصيتهم الظاهرة بالجهد والثبات وبذل الأنفس والأموال والطاقات لتأمين مشروع الله كما يريد الله وحماية خيار الفقهاء الذين يُشكّلون مركز الولاية الفقهية والقضائية والسياسية آنذاك .

إذاً: معنى التمحيص والبلاء يرتكز على الأرضية الخطرة جداً في آخر الزمان التي تصنف أهل الإيمان خصوماً وفرائس لا بدّ من النيل منهم ، وتدفع بكلّ طاقتها الثقافية والتربوية وسياساتها الإجرائية لاستئصال ثقلهم وإلغاء وجودهم . وليس معنى ذلك تسليط الله للبلاء على أهل الإيمان ، أبداً لا وجود لأيّ لسانٍ روائي بها المعنى . نعم هناك بحرٌ هائل من المحفّزات الجنسيّة والماليّة والغرائزيّة والسياسيّة وغيرها في آخر الزمان تعمل على اغتيال قدرة المؤمن وتحاول بكل إمكانياتها شطبه من دائرة الوجود حتى الفردي .

بتعبير آخر :

ثقل المشروع الذي يقود دنيا الإنسان المنحرف في آخر الزمان يصرُّ على شطب الإسلام واستئصاله من دنيا الوجود . من هنا تنشأ المواجهة الخصوميّة بين أتباع الإسلام المحمّدي وبين أتباع أبالسة الإنس الذين يُشكّلون وجه العالم في آخر الزمن .

وعلى أثر الثقافة العابرة والطاقات الدعائيّة الكبرى التي تطال الإسلام ، نجد وزناً جبّاراً منها يطال أمر المهديّ عليه السلام فيركّز على ضرورة إلغاء من صدور ودواخل الذات الاعتقاديّة . بهذا يمكننا وضع الأصبع على جزء من معنى الأخبار التي وردت في معنى اليأس والتمحيص . ففي رواية منصور قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « يا منصور ، إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس ، ولا والله حتى تُميّزوا ، ولا والله حتى تُمحصوا ، ولا والله

حتى يشقى مَنْ يشقى ويسعد من يسعد»^{٢١٦}. إشارةً إلى عظيم الإختبار الذي يتحقّق في آخر الزمن ، في ظلّ حكومات الجور والأباطيل الجنسيّة ، والمسوخات الثقافيّة ، ومعازل الفساد العالمي التي تضرب في قلب الأرض وأطرافها وتحكم بقوة ظاهرة ، وتتدفّق ألسنتها وقيمها نحو كل بيت ، وسط مُحفّزات ومُنشّطات وقدرات هائلة .

وتحدّثنا الأخبار عن لسان الزمان ، وشرط التكليف ، فتخبرنا عن قوانين الإستخلاف التي خلّطت بالبلاء لأن شرط التكليف الإختبار ، وأعظم الإختبار حين تسيطر وجوه أهل الجور على مقاليد الحكم والسلطان ، وتقود الحياة الثقافيّة والتربوية والاجتماعيّة وغيرها ، وهذا ما يحصل في آخر الزمان ، وعلى قدر الصبر والثبات على أمر الله ، وتمكين الذات من شرعه الحنيف ، يمكننا الحديث عن منازل أهل التقى ، وهذا ما روته الأخبار وهو ثابت بالأولويّة في أهل آخر الزمان . ففي رواية معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : (ألم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢/٢٩﴾) ثمّ قال لي : ما الفتنة ؟ قلت : جعلت فداك الذي عندنا الفتنة في الدّين ، فقال : يفتنون كما يفتن الذهب ، ثم قال : يخلصون كما يخلص الذهب »^{٢١٧} .

^{٢١٦} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٠ وفي رواية إكمال الدين روى عن منصور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا منصور إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس ، لا والله لا يأتيكم حتى تميزوا ، لا والله لا يأتيكم حتى تمحصوا ، ولا والله لا يأتيكم حتى يشقى من شقى ويسعد من سعد » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٦] .

^{٢١٧} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٠ [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٩ - ٢١٠]

إذاً هناك بلاءٌ عظيمٌ تتصدّره فتنُ المالِ والغرائزِ والحرامِ وأسواقِ
الربا والعملِ بالحرامِ وسطِ ضيقٍ حقيقيٍّ على الحلالِ وقطاعاته ، فمن اختار
الباطلِ على الحقِّ ، هو كمن قتل نفسه ، ومن اختار الحلالِ على الحرامِ ، هو
كمن اشترى الخلدَ بالدنيا الفانية .

وهذا ما ينضغطُ به عالمُ آخرِ الزمانِ ، حيثُ المالُ والجاهُ والقدراتُ
والإمكاناتُ وسعة الخياراتُ تكونُ بي صالحِ أهلِ الباطلِ ، فيما الضيقُ
والتعبُ والعناءُ وقلةُ الخياراتُ تكونُ من صالحِ المنتظرينِ على أمرِ الله تعالى
وشرعه .

لذا تحدّثنا الرواياتُ عن هجمةٍ عنيفةٍ على المنتظرينِ تطالُ
عقيدتهم بالمهديِّ ، فيثبوتون ويُخلصون . وفي رواية سليمان بن صالح رفعه
عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : إنّ حديثكم هذا لتشمئزُّ منه قلوبُ الرجالِ .
فمن أقرَّ به فزيدوه ، ومن أنكره فذرّوه ، إنه لا بدَّ من أن يكون فتنة يسقط
فيها كلُّ بطانةٍ ووليعةٍ حتى يسقط فيها من يشقُّ الشعرَ بشعرتينِ ، حتى لا
يبقى إلا نحن وشيعتنا»^{٢١٨} .

وهذا يشيرُ إلى البلاءِ والشدةِ حتى تسقط السواترُ وتظهر الأسرارُ
وتتهاوى وجوهُ كثيرين وتتجسّدُ الأباطيلُ في عالمِ تتصدّره أباطرة الظلمِ
والجورِ والفسادِ .

^{٢١٨} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٠

كما تحدّثنا طائفة عن اختبارٍ وبلاءٍ متوالٍ ومتعاضمٍ قبل ظهور المهدي وقيام دولة آل محمد عليه السلام ، ففي رواية محمد بن منصور الصيقل عن أبيه قال : « كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا ، فقال لنا : في أيّ شيء أنتم ؟ هيهات ، هيهات !! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تُغربلوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تُمحصّوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تُميّزوا لا والله ما يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد إياسٍ ، ولا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد »^{٢١٩} .

وهذه كغيرها تشير إلى البلاء والفظاعات التي تطال عالم آخر الزمان قبل قيام دولة آل محمد عليه السلام ، وقد تعرضنا إلى تفاصيل جبارة تُطبق على ذلك العالم في كتابنا « أشراط الساعة » وهي تُؤكّد طابع الفتنة الكبرى التي تُسيطر على عصر الغيبة وما يتلوها بسبب تحكّم الأباطيل ومقاليد الطواغيت وقيادتهم للحياة السياسيّة والثقافية والتربوية والأمنيّة وإطباقهم على الدعاية العالميّة ، وسط قوم يُصرّون على أمر الله والثبات على دينه واتباع شريعته والنزول على أمر نبيه وأئمته عليهم السلام . أولئك هم الأعظمون في علم الله تعالى وهم المنتظرون كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام .

^{٢١٩} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٠ - ٣٧١

صفة المنتظرين ووظيفتهم

بعد أن تعرّضت الأخبار لهذا المعنى أشارت إلى « وجوب » الإطمئنان لأمر الله تعالى ، وثباتنا على شرعه ، وتمكُّننا من دينه ، وإصرارنا على خيارات الشريعة وقانونها ، فلا يصل إلينا وهنٌ أو ذعر ، فما أمر الله إلا الطاعة ، وما وظيفتنا إلا النزول على رضاه ، وما أمر المهديّ حال غيبته إلا كالشمس من وراء السحاب .

وفي هذا المعنى قال الفضيل بن يسار : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ (٧١/١٧) ؟؟ فقال : يا فضيل اعرف إمامك ، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرّك ، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر ، ومن عرف إمامه ثمّ مات قبل أن يقوم صاحبُ هذا الأمر ، كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره ، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه . قال : وقال بعض أصحابه : بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله .^{٢٢٠}

إذاً : تمني أن تكون مع صاحب الأمر عليه السلام له قيمة عالية جداً في ضابطة الله تعالى ، لكن على قاعدة الطاعة والنزول على أمر الله تعالى ،

^{٢٢٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧١

والثبات على نهجه ، والتزام الحلال وامتناع الحرام ، والعمل الدؤوب لقيام
شرع الله في حياة الجماعة والأمة وقطاعات الاجتماع . ثم تؤكد الأخبار
حرمة اليأس من أمر المهدي بل وجوب الإطمئنان للطاعة ، فمن اطمأن
وبقي على أمر الله وأحلّ الحلال وحرّم الحرام ، كان كمن قعد تحت لواء
المهدي عليه السلام .

وتصرّ الأخبار على طرد اليأس ومنع الوهن من الصدر ، والإكتفاء
بالطاعة الإلهية ، واعتناق أمر الله في رسوله وأئمّته عليهم السلام سواء في عصر
الغيبة أم في عصر الظهور ، والتزام شرع الله في الفكر والفعل الفردي
والجماعي . فمن قام على هذا الشرط كان من المنتظرين الذين صفت لهم
الأخبار أعلى معاني المقادير الإلهية . وفي رواية أبي بصير قال : قلت لأبي
عبد الله عليه السلام : جعلت فداك متى الفرج ؟ فقال : يا أبا بصير وأنت ممن يريد
الدنيا؟؟!! من عرفَ هذا الأمر فقد فرج عنه لانتظاره ^{٢٢١} « ^{٢٢٢} .

وكذا في معناها ما ورد بالبقاء على الأمر الأوّل ، ففي رواية الحارث
بن المغيرة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام :

« هل يكونُ الناس في حالٍ لا يعرفون الامامَ (أي يغيب عنهم
إمامهم) ؟ فقال عليه السلام : قد كان يُقال ذلك ، قلت : فكيف يصنعون ؟
قال عليه السلام : يتعلّقون بالأمر الأوّل حتى يستبينَ لهم الآخر (أي يظهر) » ^{٢٢٣} .

^{٢٢١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٥١

^{٢٢٢} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧١

^{٢٢٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥١

وهو صريحٌ بوجوب النزول على شرط الثقلين : القرآن والعترة النبوية المعصومة عليهم السلام .

فيما لسانُ الأخبار يؤكدُ أنَّ ضابطةَ الفَرَجِ تكمنُ في طاعةِ اللهِ ولزومِ حُجَجِهِ وبَيِّنَاتِهِ المعهودة ، وفي الرواية يؤكدُ عليه السلام على أبي بصير أن لا تعجل لأمر الله ، فَمَنْ مات على الطاعة أو قُتِلَ كان كَمَنْ قُتِلَ في معسكر المهدي عليه السلام كما هو صريح طائفة واسعةٍ من الأخبار .

ومعنى هذا وجوب الإخلاص لله تعالى في النزول على شريعته والتزام دينه ، فَمَنْ نكل عن هذا لم يكن من المنتظرين ، بل من الخارجين على أمر الله والمجاهرين بمعصيته .

وبهذا نفهم جملة من الخطابات التي أوردها أهل البيت عليهم السلام في شرط المنتظرين ، وحاصلها وجوب معرفة الأئمة والتزم ولايتهم في القيم والسلوك والعمل . ففي رواية إسماعيل بن محمد الخزاعي قال : سألتُ أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا أسمع ، فقال : تُراني أدركُ القائمَ عليه السلام ؟ فقال عليه السلام : يا أبا بصير أَلستَ تعرفُ إمامك ؟؟ فقال : إي والله وأنت هو - وتناول يده - فقال : والله ما تُبالي يا أبا بصير ألا تكون محتبياً بسيفك في ظل رواق القائم صلوات الله عليه ^{٢٢٤} « ^{٢٢٥} . ومفادُ الرواية أنَّ أبا بصير كان

^{٢٢٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٥١

^{٢٢٥} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧١

يتحرَّق لحكومة آل محمد عليه السلام ، ويعلم عبر أهل البيت عليهم السلام أن للمهدي منهم دولة يُقيم بها الحقَّ ويُبطل الباطلَ حتى يُعبدَ اللهُ حقَّ العبادة ، فالتفت إليه الإمامُ مشيراً إلى « فريضة المنتظرين ووظيفتهم » مؤكداً أن مَنْ انتظر وقام على أمر إمامه في غيبته أو حضوره ، هو كَمَنْ يكون في ظلِّ رواق المهدي عليه السلام .

وهذا أيضاً معنى ما رواه فضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « مَنْ مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية . وَمَنْ مات وهو عارفٌ لإمامه لم يضره ، تقدّم هذا الأمر أو تأخر . وَمَنْ مات وهو عارفٌ لإمامه ، كان كَمَنْ هو مع القائم في فسطاطه »^{٢٢٦} .

إذاً : شرطُ الانتظار وحقانيتها تكمن في معرفة الحقِّ والتزامه ، والنزول على شرط الثقلين : كتاب الله والعترة النبوية المعصومة اللذين لا يفرقان وهما داخلان في الحجّة على العباد إلى قيام يوم الدين . وخطابهما لازمٌ في أعناق العباد حتى لا يكون للناس على الله حجّة . والحاصل أن منتظرَ أمر آل محمد عليهم السلام إن أتمه على شرط الطاعة الإلهية هو كَمَنْ يُقتل بين يدي المهدي عليه السلام ، هذه نتيجة الأخبار ، منها ما رواه علي بن هاشم عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : « ما ضرَّ مَنْ مات منتظراً لأمرنا ألا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره »^{٢٢٧} . وفي رواية العلاء بن سيابة عن أبي

^{٢٢٦} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧١ - ٣٧٢

^{٢٢٧} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٢

عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال : « مَنْ مات منكم على هذا الأمر منتظراً كان كمن هو في الفسطاط الذي للقائم عليه السلام »^{٢٢٨} ، وفي رواية المفضل بن عمر قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول : « مَنْ مات منتظراً لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه ، لا بل كان كالضارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف »^{٢٢٩} .

وكلُّها صريحةٌ في واجبِ الإنتظار وإتمامه ، والقيام على شرطه مع ما تعنيه من ثوابٍ وإكرامٍ رباني . ومعلوم أنَّ قطب الطاعة الإلهية أن تنزل على أمر إمامك المعصوم ، وتردُّ إليه كلُّ ما ورد عليك ، على شرط القرن بين الثقلين : كتاب الله والعترة المعصومة . لذا كرَّر الأئمة عليهم السلام في مواقف كثيرة ضرورة أن تعرف إمامك حال قيامه أو استتاره أو حال سلطانه أو منعه ، فمن عرف هذا وقام عليه والتزم موثيقه كان من المنتظرين الذين أعدَّ الله لهم أعظم الثواب وأعلى المكرمات . ففي رواية عمر بن أبان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « اعرف العلامة ، فإذا عرفته لم يضرك ، تقدِّم هذا الأمر أو تأخَّر ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْتِئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٧١/١٧) فَمَنْ عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام »^{٢٣٠} .

^{٢٢٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٦ - ٢٠٧

^{٢٢٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٨

^{٢٣٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٢

لذا: القضية لها صلة مركزية بحشد الموقف يوم القيامة ومحطته
ومكان الحشر وأين وعلى أية حال وصفة .

وهذا يعني أن الطاعة إنما تكون لمن نصبه الله تعالى لا لمن تواطأ
الناس عليه ، وإلا كان كمن لم يعرف إمام زمانه ، أو أطاع من أمر أن
يُكفَّ اليد عنه . ففي رواية ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته
يقول : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : من
ادّعى إمامة من الله ليست له ، ومن جحد إماماً من الله ، ومن زعم أن لهما
في الإسلام نصيباً »^{٢٣١} .

وحاصله : من ادّعى إمامة ليست فيه أو جحد الإمام الحق ، أو أنزل
أهل الحق مكان أهل الباطل والعكس ، كان من شر أهل الزمان وأسوأهم ،
وهو بلا طاعة ولا حجة ، ويُحشر يوم القيامة وإمامه في زمرة إبليس .

وشرط الله المتواتر على الناس في الأئمة عليهم السلام أن ينزلوا على ولاية
آخرهم كما نزلوا على أولهم ، فمن بعض بينهم كان كمن لم يؤمن ، ولم
يعرف ، ولم يُطع الله ، وفي رواية محمد بن مسلم قال : قلت لأبي عبد
الله عليه السلام : « رجل قال لي : اعرف الآخر من الأئمة ولا يضرّك أن لا تعرف
الأول ؟؟ فقال عليه السلام : لعن الله هذا ، فإنّي أبغضه ولا أعرفه . وهل عُرف

^{٢٣١} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٣ * وفي هذا المعنى ما رواه ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام
يقول : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : من ادّعى إمامة من الله ليست له ، ومن جحد
إماماً من الله ، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً . [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٤] .

الآخرُ إلا بالأوّل !!!»^{٢٣٢} . وفي هذا المعنى ما رواه صفوان عن ابن مسكان قال : « سألتُ الشيخ (يعني الإمام الكاظم عليه السلام) عن الأئمة عليهم السلام ؟؟؟ قال : مَنْ أَنْكَرَ وَاحِدًا مِنَ الْأَحْيَاءِ فَقَدْ أَنْكَرَ الْأَمْوَاتِ »^{٢٣٣} ، وفي رواية غياث بن إبراهيم عن الصادق عن أبيه عن آباءه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ أَنْكَرَ الْقَائِمَ مِنْ وَلَدِي فَقَدْ أَنْكَرَنِي »^{٢٣٤} .

ومعناه أنّ الإيمان يكون بالكتاب كلّهِ وبالْحِجَّةِ كُلِّهَا ، فَمَنْ بَعْضَ بَيْنَهَا بَطَلَتْ طَاعَتُهُ ، وَمَنْ خَرَجَ عَنِ إِمَامِ الْحَقِّ فَقَدْ وَالَى إِمَامَ الْبَاطِلِ ، وَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ أَثِمَ وَنَكَلَ وَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الظَّالِمَةِ الَّذِينَ يُؤَمَّرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ . وقد ورد في رواية عمرو بن ثابت عن جابر قال : « سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (١٦٥/٢) ؟؟ قال عليه السلام : هُمُ وَاللَّهُ أَوْلِيَاءُ فَلَانَ وَفَلَانَ ، اتَّخَذُوهُمْ أَئِمَّةً دُونَ الْإِمَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا . فَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿ وَكَوُ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١٦٥/٢) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (١٦٦/٢) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ

^{٢٣٢} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٣

^{٢٣٣} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٣

^{٢٣٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٢ * وفي رواية مروان بن مسلم قال : قال الصادق عليه السلام : « الامام علّم فيما بين الله عز وجل وبين خلقه ، فمن عرفه كان مؤمناً » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٢] .

بَخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧/٢﴾ . ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : هُمْ وَاللَّهُ يَا جَابِرُ أئِمَّةُ
الظَّلْمَةِ وَأَشْيَاعُهُمْ ^{٢٣٥} .

والأخبار صريحة في أنّ طاعة الله تعالى موقوفة على النبي صلى الله عليه وآله
والقرآن والإثني عشر إماماً عليهم السلام المنصوبين تعييناً من الله تعالى ، وهم
بالدليل المتواتر مقروئون بالقرآن فلا يفترقان حتى يردا الحوض ، فمن نكل
عن بعضهم أو نكل عنهم لم يذُق طعم الطاعة من قريب أو بعيد . وهذا
شرطاً أيضاً نازل في المنتظرين .

وعليه : فمن اتّبع غير الإمام المنصوب من قبل الله تعالى ، أو نزل
على رأيه خاصةً مقابل المسموع عن المعصوم والقرآن الكريم ، لم يُطع الله
في أمره ، ولم يلتزم حجّته ليوم لقاءه ، وهذا معنى ولاية الثقلين النازلة في
الخلق إلى قيام الساعة . ففي رواية ابن أبي نصر عن أبي الحسن عليه السلام في
قوله الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِّنَ
اللَّهِ ﴾ ﴿٥٠/٢٨﴾ قال عليه السلام : يعني من اتخذ دينه رأيه ، بغير إمام من أئمة
الهدى ^{٢٣٦} .

وفي هذا المعنى من بطلان عمل من لم يلتزم الثقلين ولم ينزل على
أمرهما بعد قيام الحجّة ، ما رواه محمد بن مسلم قال : سمعت أبا

^{٢٣٥} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٤

^{٢٣٦} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٤

جعفر عليه السلام يقول: « كلُّ مَنْ دانَ اللهَ بعبادةٍ يُجهدُ فيها نفسهُ ولا إمامَ له من الله فسعيه غيرُ مقبولٍ ، وهو ضالٌّ متحيرٌ ، واللهُ شانىٌّ لأعماله ^{٢٣٧} ، ومثلهُ كمثلِ شاةٍ ضلَّتْ عن راعيها وقطيعها ، فهجمت ذاهبةً وجائئةً يومها ، فلمَّا جَنَّها الليلُ بصرت بقطيعٍ مع غيرِ راعيها ، فحنَّتْ إليها واغترَّتْ بها ، فباتت معها في ربضتها ، فلما أن ساقَ الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها ، فهجمت متحيرةً تطلب راعيها وقطيعها ، فبصرت بغنمٍ مع راعيها ، فحنَّتْ إليها واغترَّتْ بها ، فصاحَ بها الراعي : الحقي براعيك وقطيعك ، فإنك تائهةٌ متحيرةٌ عن راعيك وقطيعك ، فهجمت ذعرةً متحيرةً نادمةً ، لا راعي لها يُرشدُها إلى مرعاها أو يردها ، فبينا هي كذلك إذا اغتنم الذئبُ ضيعتها فأكلها . وكذلك والله يا محمَّد ، مَنْ أصبحَ من هذه الأمة لا إمامَ له من الله عزَّ وجلَّ ظاهراً عادلاً أصبحَ ضالًّا تائهًا ، وإن مات على هذه الحال مات ميتةَ كفرٍ ونفاقٍ ، واعلم يا محمَّد أنَّ أئمةَ الجور وأتباعهم لمعزُّون عن دين الله ، قد ضلُّوا وأضلُّوا ، فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ لا يقدرُّون ممَّا كسبوا على شيءٍ ، ذلك هو الضلالُ البعيدُ » ^{٢٣٨} .

إذاً : شرطُ الطاعةِ موقوفٌ على ولايةِ الثقلينِ المعظَّمين ، وهو أهمُّ شرطِ المنتظرين زمنَ الغيبةِ ، فمن تاهى فقد تاهى عن حجَّتهِ وعمَّا يُصلحهُ

^{٢٣٧} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٥

^{٢٣٨} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٥

ووقع على مذبحه . ولسان الأخبار شديد الإصرار على الطاعة بمعنى الإعتقاد والفكر والسلوك في فعل الفرد والجماعة والاجتماع . لأن معنى أن تدين للإمام المفترض الطاعة يعني التزام المواثيق وتحليل الحلال وتحريم الحرام ، فيما الإدانة للظلمة تعني تحريم الحلال والجهر بالمعصية والخوض بالأباطيل ، وفي رواية حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى :

« لأَعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ دَانَتْ بِوَلَايَةِ كُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَتْ الرَعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً ، ولَأَعْفُونَ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ دَانَتْ بِوَلَايَةِ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ »^{٢٣٩} .

ومعناه : لا بدَّ من الإمامة المنصوبة من قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ عَصْرِ ، كما لا بدَّ من النزول على أمرها وامتنال خطابها والسير على هديها ، وإلا فَمَنْ مَاتَ دُونَ إِمَامٍ حَقٍّ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً . وقد وردَ في رواية الفضيل بن يسار قال :

ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال : قال رسول الله عليه السلام : « مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ فَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ . فقلت : قال ذلك رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ؟ فقال : إي والله قد قال . قلت : فكلُّ مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ

^{٢٣٩} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٦ * وفي رواية عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْبِي أَنْ يُعَذِّبَ أُمَّةً دَانَتْ بِإِمَامٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَسْتَحْبِي أَنْ يُعَذِّبَ أُمَّةً دَانَتْ بِإِمَامٍ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ فِي أَعْمَالِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً » [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٦] أي يعفو لمحل الإمكان والأرجحية وهذا يتوقف على طبيعة العمل المراد العفو عنه .

جاهلية؟؟!! قال عليه السلام: نعم»^{٢٤٠} ، وفي طريق آخر عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية ، ولا يُعذرُ النَّاسُ حتى يعرفوا إمامهم »^{٢٤١} .

أقول : هذا الحديث النبوي متواتر في مجامع الفريقين وعليه أقوالُ مشايخهم وعلماءهم وهو نازلٌ في الخلق إلى قيام الساعة باتفاق شهاداتهم . وهو أكد في عصر الغيبة وآخر الزمان ، لذا فإنَّ من أولى شرط الانتظار معرفة وليِّ الأمر وحقِّ الله وإمام الحقِّ ومعرفة كيفية النزول على طاعته وامتثال أمره وتحقيق ولايته .

لذا : أهلُ الغيبة مأمورون بمعرفة الإمام الحق ومعرفة أمره ، وأولُّها التزامُ الثقلين المُعظَّمين اللذين لا طاعةَ لله إلا بالنزولِ على أمرهما معاً ، فمن التزم واحداً دون الآخر لم يلتزم أمرَ الله ولم يُطع . فافهم رحمك الله ، فإنَّما طاعةُ الله تكون بالنزول على الحجَّتين أو الخليفتين كما في كثيرٍ من أخبار النبي صلى الله عليه وآله في الثقلين ، وفي رواية المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد

^{٢٤٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٦ * وفي رواية ابن أبي يعفور قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله : من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية ، قال : قلت : ميتة كفر؟ قال : ميتة ضلال ، قلت : فمَن مات اليوم وليس له إمام ، فميتته ميتة جاهلية؟ فقال : نعم» [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٦] . وفي رواية الحارث بن المغيرة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال : نعم ، قلت : جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال جاهلية كفر ونفاق وضلال» [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٧] .

^{٢٤١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٢ * وفي رواية عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : « من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية كفر وشرك وضلالة» [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٢] .

الله ﷺ : « مَنْ دَانَ اللَّهَ بِغَيْرِ سَمَاعٍ عَنْ صَادِقٍ أَلْزَمَهُ اللَّهُ الْبَتَّةَ إِلَى الْعَنَاءِ . وَمَنْ
ادَّعَى سَمَاعاً مِنْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ اللَّهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَذَلِكَ الْبَابُ الْمَأْمُونُ
عَلَى سِرِّ اللَّهِ الْمَكْنُونِ »^{٢٤٢} .

وعليه :

الأمرُ موكولٌ إلى السماعِ عن الله تعالى في قومٍ مشهورين منصوبين
من قِبَلِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ ، وَهُمْ قَوْمٌ قَرَنَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ وَاحْتَجَّ عَلَى
الْخَلَائِقِ بِهِمْ ، فَمَنْ تَرَكَهُمْ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ، وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ فَإِنَّ كَانَ فِي
عَصْرِ الْغَيْبَةِ ، كَانَ مَمَّنْ رَفَعَهُ اللَّهُ صِفَةً وَثَوَاباً وَإِكْرَاماً وَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى
أَعْظَمِ مَرْتَبَةٍ وَأَحْسَنِ مَقَامٍ كَمَا هُوَ صَرِيحُ الْأَخْبَارِ .

على أَنَّ الْمَتُونَ صرَّحتْ بِقُوَّةِ أَنَّ الطَّاعَةَ رَهْنٌ مَعْرِفَةِ الْمَسَارِ الَّذِي
يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، أَيِ الْبَابِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَى اللَّهُ . حَتَّى رَوَى الْوَشَاءُ
قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو الْحَلَالِ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ ﷺ : أَخْبِرْنِي
عَمَّنْ عَانَدَكَ وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّكَ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ ؟ هُوَ وَسَائِرُ النَّاسِ سِوَاءٍ فِي
الْعِقَابِ ؟؟؟

فَقَالَ ﷺ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ يَقُولُ : عَلَيْهِمْ ضَعْفَا
الْعِقَابِ »^{٢٤٣} ،

^{٢٤٢} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٧

^{٢٤٣} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٧ * وفي رواية ربيع بن عبد الله قال : قال لي عبد الرحمن ابن أبي عبد الله
قلت لأبي عبد الله ﷺ : المُنْكَرُ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ سِوَاءٍ ؟ فَقَالَ لِي : الْمُنْكَرُ . وَلَكِنْ قُلْ : الْجَاهِدُ مِنْ بَنِي

واعلم أنّ طلب معرفة الإمام أمرٌ لازمٌ في أعناق الخلق ، وهو آكدُ جداً في زمن الغيبة . فمن سعى وانتظر وحقّق الأمر حتى ظهر له كان من المنتظرين أيضاً ، وفي رواية يعقوب بن شعيب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « إذا حَدَّثَ على الإمام حدثٌ (أي مات) كيف يصنع الناسُ ؟ » قال : أين قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [١٢٢/٩] قال : هم في عذرٍ ما داموا في الطلبِ وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر ، حتى يرجع إليهم أصحابهم ^{٢٤٤} .

وفي هذا المعنى ما وردَ عن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « أصلحك الله بلغنا شكواك وأشفقنا ، فلو أعلمتنا أو علمتنا من ؟ » قال : إنّ عليّاً عليه السلام كان عالماً والعلمُ يتوارث ، فلا يهلك عالمٌ إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله ، قلت : أفيَسع الناس إذا مات العالمُ ألا يعرفوا الذي بعده ؟ فقال عليه السلام : أما أهل هذه البلدة فلا - يعني المدينة - وأمّا غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم ، إنّ الله يقول : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [١٢٢/٩] قال : قلت : رأيت من

هاشم وغيرهم ، قال أبو الحسن : فتفكرت فيه فذكرت قول الله عز وجل في إخوة يوسف : (فعرفهم وهم له منكرون) [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٧ - ٣٧٨] .
^{٢٤٤} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٨

مات في ذلك ؟ فقال : هو بمنزلة مَنْ خرجَ مِنْ بيته مهاجراً إلى الله ورسوله
ثم يُدرّكه الموت فقد وقع أجره على الله «^{٢٤٥} .

والمُحَصَّلُ مِنَ الخَبَرِينَ أَنَّ الإمامَ عليه السلام يُؤَكِّدُ بِشِدَّةٍ أَنَّ الأَرْضَ لَا
تَخْلُو مِنْ حِجَّةِ اللهِ تَعَالَى مَنْصُوبٍ تَعْيِيناً وَهُوَ إِمَّا ظَاهِرٌ مَشْهُورٌ ، أَوْ مُسْتَرٌ
مَغْمُورٌ . وَعَلَى العِبَادِ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى أَمْرِهِ فَيَطِيعُوهُ وَيَهْتَدُوا بِهَدْيِهِ وَيَسِيرُوا
بَسِيرَتِهِ . فَافْهَمُوا وَعَقِلُوا وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْرَ اللهِ لَا يُكْتَمُ ، وَحِجَّتُهُ لَا تَبْطُلُ ، وَأَنَّ
العِبَادَ مُلَاقُوهُ ، فَمَنْ أَحْسَنَ الطَّاعَةَ وَعَمَلَ زَمَانَ الإِنْتِظَارِ عَلَى هَدْيِ الثَّقَلَيْنِ
فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً .

^{٢٤٥} [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٩ - ٣٨٠] * وإليك واحدة من الأمثلة عن طلب الأصحاب معرفة الإمام
في زمن كان بنو العباس يضربون الأطواق على أهل البيت عليهم السلام ، ففي الرواية عن صفوان بن يحيى ، عن أبي جرير
القمي قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : جعلت فداك قد عرفت انقطاعي إلى أبيك ثم إليك . قال : ثم حلفت له : وحق
رسول الله صلى الله عليه وآله وحق فلان وفلان حتى انتهيت إليه بأنه لا يخرج مني ما تخبرني به إلى أحد من الناس ، وسألته عن أبيه
أحي هو أو ميت ؟ فقال قد والله مات ، فقلت : جعلت فداك إن شيعتك يروون : أن فيه سنة أربعة أنبياء . قال عليه السلام : قد
والله الذي لا إله إلا هو هلك . قلت : هلاك غيبة أو هلاك موت ؟ قال عليه السلام : هلاك موت . فقلت : لعنك مني في تقية ؟
فقال : سبحان الله !!! قلت : فأوصني إليك ؟ قال : نعم ، قلت : فأشرك معك فيها أحداً ؟ قال عليه السلام : لا . قلت : فعليك من
إخوتك إمام ؟ قال : لا . قلت : فأنت الامام ؟ قال : نعم [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٨٠] . وفي هذا المعنى
ما رواه علي بن أسباط قال : قلت للرضا عليه السلام : إن رجلاً عنى أخاك إبراهيم ، فذكر له أن أباك في الحياة ، وأنت تعلم من
ذلك ما يعلم ، فقال سبحان الله يموت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يموت موسى عليه السلام !!! قد والله مضى كما مضى رسول الله
صلى الله عليه وآله ، ولكن الله تبارك وتعالى لم يزل منذ قبض نبيه صلى الله عليه وآله هلم جراً يمن بهذا الدين على أولاد الأعاجم ويصرفه عن
قراية نبيه صلى الله عليه وآله هلم جراً فيعطي هؤلاء ويمنع هؤلاء ، لقد قضيت عنه في هلال ذي الحجة ألف دينار .. ولكن قد سمعت
ما لقي يوسف من إخوته [الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٨٠ - ٣٨١] وفي رواية صفوان قال : قلت للرضا
عليه السلام : أخبرني عن الإمام متى يعلم أنه إمام ؟ حين يبلغه أن صاحبه قد مضى أو حين يمضي ؟ مثل أبي الحسن قبض
بيغداد وأنت ههنا ، قال : يعلم ذلك حين يمضي صاحبه ، قلت : بأي شيء ؟ قال : بلهمة الله [الكافي - الشيخ الكليني -
ج ١ - ص ٣٨١] .

شروط الإنتظار:

مَنْ يَتَّبِعِ الْمَسْمُوعَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجِدُ أَنَّهَا تَرَكَّزَتْ بِقُوَّةٍ عَلَى شَرْطِ الْعِبَادَةِ فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣/٣٣﴾ ، وَقَدْ فَسَّرَتْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ وَجُوهِهَا بِالْمُنْتَظِرِينَ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الْمَهْدِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَمَنَ غَيْبَتِهِ ، فَيَحْلُونَ حَلَالَ اللَّهِ وَيَحْرَمُونَ حَرَامَهُ ، وَيُحَقِّقُونَ مَا أَحَقُّ وَيُبْطِلُونَ مَا أَبْطَلَ ^{٢٤٦} .

وَفِي جُمْلَةٍ مِنَ الْمَتُونِ أَعْلَنَ الْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرْطَ اللَّهِ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ أَكَّدَ عَلَى شَرْطِ اللَّهِ فِي الْمُنْتَظِرِينَ الَّذِينَ يَكُونُونَ زَمَنَ الْغَيْبَةِ ، وَذَلِكَ فِي طَوَائِفٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ يَوْمٍ : « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِهِ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : بَلَى . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ ، وَالْوَلَايَةُ لَنَا ، وَالْبِرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِنَا - يَعْنِي الْأُمَّةَ خَاصَّةً - وَالتَّسْلِيمُ لَهُمْ ، وَالْوَرَعُ وَالْاجْتِهَادُ وَالطَّمَأِينَةُ ، وَالْإِنْتَظَارُ لِلْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ لَنَا دَوْلَةً يَجِيءُ اللَّهُ بِهَا إِذَا شَاءَ .

^{٢٤٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٦٤

ثمَّ قال : مَنْ سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر (ثمَّ تحدَّث عن بعض شروط الإنتظار فقال :) وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ، فإن مات وقام القائم عليه السلام بعده كان له من الأجر مثل أجر مَنْ أدركه . فجدُّوا وانتظروا ، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة ^{٢٤٧} »

ومعناه : شرطُ الله تعالى على المنتظرين يكمن في اتِّباع أمر الله والنزول على الولايتين : القرآن والعترة النبويَّة ، وإحقاق الحق وإماتة الباطل ، وموالاتة أولياء الله ومعاداة أعداءه ، والتزام شتى النماذج التي تُؤكِّد أمر الدِّين وقيام أعلامه ، وتنفيذ شتى الطُّرق التي تميت الباطل وتدحضه .

وفي الأخبار الكثيرة أمرٌ كامل بانتظار المهدي عليه السلام على هذا النحو ، بل من صفات المهدي عليه السلام أنه الذي يجب أن يُنتظر ، وفي رواية عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الحسيني قال : « دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأنا أريد أن أسأله عليه السلام عن القائم : أهو المهديُّ أو غيره ؟؟؟ قال : فابتدائي عليه السلام فقال لي :

يا أبا القاسم ، إنَّ القائم منا هو المهديُّ الذي يجب أن يُنتظر في غيبته ، ويُطاع في ظهوره ، وهو الثالث من وُلدي .

^{٢٤٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٧

ثمَّ قال عليه السلام : والذي بعثَ محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوة وخصّنا بالإمامة إننا لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتى يخرجَ فيه ، فيملاً الأرضَ قسطاً وعدلاً كما ملأتُ جوراً وظلماً ، وإنَّ اللهَ تبارك وتعالى ليُصلِحَ له أمرُهُ في ليلةٍ ، كما أصلحَ أمرَ كليمة موسى عليه السلام إذ ذهبَ ليقتبسَ لأهله ناراً فرجعَ وهو رسولٌ نبيٌّ . قال : ثمَّ قال عليه السلام : « أفضلُ أعمالِ شيعتنا انتظارُ الفرجِ »^{٢٤٨} .

وهذا يعني أنَّ الانتظارَ عبادةٌ لها شروطُها وإجراءاتُها وأفعالُها ، وهي بصورةٍ عامّةٍ تُلزمُ العبادَ بالنزولِ على طاعةِ الله وامتثالِ أحكامِهِ في شتّى تقلباتِهِم الفرديّةِ والجماعيّةِ والاجتماعيّةِ والسياسيّةِ والأخلاقيّةِ والثقافيّةِ ، وكلُّ ما له صلةٌ بإقامةِ أمرِ الله تعالى في صغيرةٍ أو كبيرةٍ .

وهذا ما نطلقُ عليه إسمَ الانتظارِ الإيجابيِّ ، أي القيامَ بشتّى الوظائفِ الفرديّةِ والجماعيّةِ والتزامِ كلِّ العناوين التي تؤدّي لإقامةِ أمرِ الله تعالى في الأرضِ ، كلٌّ حسبَ مقدرتهِ ووظيفتهِ وطاقاتهِ وإمكاناتهِ .

وفي روايةِ الصقرِ ابنِ أبي دلفٍ معَ أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليِّ الرضا عليه السلام يشيرُ إلى فريضةِ الانتظارِ وصفةً مَنْ يقومُ بها كما يشيرُ إلى الفئاتِ التي تهلكُ ، فيقولُ : قلتُ له عليه السلام : ولمَ سُمِّيَ المنتظرُ ؟ قال عليه السلام : لأنَّ له غيبةً يكثرُ أيامُها ، ويطوّلُ أمدُها ، فينتظرُ خروجَ المخلصونِ ،

^{٢٤٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٧

وَيُنْكِرُهُ الْمُرْتَابُونَ ، وَيَسْتَهْزِئُ بِذِكْرِهِ الْجَاهِدُونَ ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الْوَقَّاتُونَ ، وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ ، وَيَنْجُو فِيهَا الْمُسْلِمُونَ «^{٢٤٩} . وفيها يُؤَكِّدُ صِفَةَ الْمُنتَظِرِينَ وَأَنَّهِمُ الْمَخْلُصُونَ لِأَنَّهِمْ يَقِيمُونَ أَمْرَ اللَّهِ فَيَحَقُّونَ الْحَقَّ وَيُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُمْتَلُونَ الشَّرْعَ وَيُعْظَمُونَ الدِّينَ .

وفي واحدةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي يَذْكَرُ وَجُوبَ الْإِئْتِمَامِ بِالْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَمَنِ الْغَيْبَةِ ، وَفِي رِوَايَةِ الشَّيْخِ الصَّدُوقِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : « دَخَلْتُ عَلَى حَكِيمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا أُخْتِ أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ بِالْمَدِينَةِ ، فَكَلَّمْتَهَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ وَسَأَلْتُهَا عَنْ دِينِهَا ، فَسَمَّتْ لِي مَنْ تَأْتُمُّ بِهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : فَلَانَ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَمَّيْتُهُ (أَيِ الْمَهْدِيِّ) ،

فَقُلْتُ لَهَا : فَأَيْنَ الْمَوْلُودُ ؟ فَقَالَتْ : مُسْتَوْرٍ . فَقُلْتُ : فَأِلَى مَنْ تَفْزَعُ الشَّيْعَةُ ؟ فَقَالَتْ : إِلَى الْجَدَّةِ أُمِّ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهَا : أَقْتَدِي بِمَنْ وَصِيَّتُهُ إِلَى الْمَرْأَةِ ؟ فَقَالَتْ : اقْتَدَاءً بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْحَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْصَى إِلَى أُخْتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الظَّاهِرِ وَكَانَ مَا يَخْرُجُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ مِنْ عِلْمٍ يُنْسَبُ إِلَى زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ تَسْتُرًا عَلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ ، ثُمَّ قَالَتْ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ أَصْحَابُ أَخْبَارٍ ، أَمَا رُوِيَ أَنَّ التَّاسِعَ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَسِّمُ مِيرَاثَهُ وَهُوَ فِي

^{٢٤٩} كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٨

حياة^{٢٥٠}!!! (أي يُدعى أن أباه عليه السلام لم يترك نسلاً من بعده فيما ولدته الخلف عليه السلام مستوراً عن عيون السلطان !!!) . ثم الإلتزام بالمهدي عليه السلام يعني الإلتزام بآباءه الأئمة عليهم السلام والنزول على ولاية الثقلين واتباع أمر الله تعالى في كل ما يُوجبونه أو يقطعونه .

وفي هذا السياق روى عبد الحميد بن أبي الديلم الطائي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا عبد الحميد بن أبي الديلم إنَّ الله تبارك وتعالى رُسلًا مستعلنين ورسلاً مستخفين ، فإذا سألته بحقَّ المستعلنين فسلهُ بحقَّ المستخفين^{٢٥١} ، وهو يعني المهديَّ عليه السلام ، وقد سقنا عليك فيما مضى الكثير من هذه المعاني الصريحة والمتواترة .

وهي تؤكد عينا ضرورة التزام أمر الله في حُججه الظاهر منهم والمستور ، وأنَّ فريضة الله تامَّة أبداً وكذا آخر الزمن وأثناء آخر الزمان حتى يُتمَّ الله أمره في استخلاف البشر .

وفي هذا المعنى تردُّ المرويَّات التي تحكي قصة مَنْ كتبَ اللهُ الإيمانَ في قلوبهم ، أي هم قومٌ آمنوا واتقوا ولزموا الشرع في آخر الزمن فزادهم اللهُ هدىً ، وفي رواية الحسن بن محمد بن صالح البزاز قال : سمعتُ الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول : « إنَّ ابني هو القائم من بعدي

^{٢٥٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤٩٦ - ٥٠٢

^{٢٥١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٤

وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام بالتعمير والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد ، فلا يثبت على القول به إلا من كتب الله عز وجل في قلبه الإيمان وأيده بروح منه ^{٢٥٢} . فهذه دالة على أن الناس قسمان : فمنهم متقي مُنيب وهو قلة قليلة منتظرة لأمر ربها في وليه المهدي عليه السلام ، ومنهم فاجر منحرف شاذ عن أمر الله مُعلن بالآثام والعدوان وهم فرقة كثيرة ، فمنهم الجاحد والملحد ، ومنهم المرتد ومنهم المنافق ، ومنهم غير ذلك .

ومن يتصفح الأخبار يجد أنها تؤكد على أهل الإيمان ضرورة التزام أمر الله تعالى والنزول على شرعه واتباع مشروطته في أهل بيته الذين نصبهم حجة على الخلق إلى قيام الساعة ، وعلى واحدة من هذه المعاني نقرأ ما ورد في دعاء الغيبة الذي حشد لنا الكثير من معاني الصلة بمولانا المهدي عليه السلام وما يجب أن نكون عليه ، وكيف نفهم هذا الوعد العبادي ، ففي رواية أبي محمد الحسين بن أحمد المكتب قال : حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء فذكر أن الشيخ العمري قدس الله روحه أملاه عليه وأمره أن يدعو به ، وهو الدعاء الوارد في غيبة القائم عليه السلام ، وفيه كثير من معاني فهمنا للغيبة وموقعنا منها ووظفتنا ، فاقره بتمهل وتمعن ، وفيه يقول عليه السلام :

« اللهم عرّفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرّفني نبيك ، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجّتك ، اللهم

^{٢٥٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٥٢٤ - ٥٢٩

عرفني حجَّتكَ فَإِنَّكَ إِنَّمَا لم تعرفني حجَّتكَ ضللتُ عن ديني ، اللهم لا تمتني
ميتةً جاهلية ، ولا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللهم فكما هديتني بولاية مَنْ
فرضت طاعته عليّ من ولاية أمرك بعد رسولك صلوات الله عليه وآله حتى
والتي ولاية أمرك أمير المؤمنين والحسن والحسين وعليّاً ومحمّداً وجعفرأ
وموسى وعليّاً ومحمّداً وعليّاً والحسن والحجة القائم المهدي صلوات الله
عليهم أجمعين ، اللهم فثبّتي على دينك ، واستعملني بطاعتك ، وليّن قلبي
لوليِّ أمرك ، وعافني ممّا امتحنت به خلقك ، وثبّتي على طاعة وليِّ أمرك
الذي سترته عن خلقك ، فبإذنك غابَ عن برّيتك ، وأمرك ينتظر ، وأنت
العالم غير معلم بالوقت الذي فيه صلاحُ أمر وليِّك في الإذن له بإظهار أمره
وكشف ستره ، فصبرني على ذلك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا
تأخير ما عجّلت ، ولا أكشف عمّا سترته ، ولا أبحث عمّا كتمته ، ولا
أنازعك في تدبيرك ، ولا أقول : لِمَ وكيف ؟ وما بالُ وليِّ الأمر لا يظهر ؟
وقد امتلأت الأرض من الجور ؟ وأفوضُ أموري كلّها إليك . اللهم إني
أسألك أن تريني وليّ أمرك ظاهراً نافذاً لأمرك مع علمي بأنّ لك السلطان
والقدرة والبرهان والحجة والمشیئة والإرادة والحوول والقوة ، فافعل ذلك
بي وبجميع المؤمنين حتى ننظر إلى وليِّك صلواتك عليه وآله ظاهر المقالة ،
واضح الدلالة ، هادياً من الضلالة ، شافياً من الجهالة ، أبرز يا ربّ مشاهدته ،
وثبّت قواعده ، واجعلنا ممّن تقرُّ عينه برؤيته ، وأقمنا بخدمته ، وتوفّنا على
ملّته ، واحشرنا في زمرة . اللهم أعدّه من شرّ جميع ما خلقت وبرأت

وذرات وأنشأت وصورّت ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وعن شماله ومن فوقه ومن تحته بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به ،
واحفظ فيه رسولك ووصي رسولك . اللهم ومدّ في عمره ، وزد في أجله ،
وأعنه على ما أوليته واسترعيته ، وزد في كرامتك له فإنه الهادي والمهتدي
والقائم المهدي ، الطاهر التقى النقي الزكي والرضي المرضي ، الصابر
المجتهد الشكور . اللهم ولا تسلبنا اليقين لطول الأمد في غيبته وانقطاع
خبره عنا ، ولا تنسنا ذكره وانتظاره والايمان وقوة اليقين في ظهوره والدعاء
له والصلاة عليه حتى لا يقنطنا طول غيبته من ظهوره وقيامه ، ويكون يقيننا
في ذلك كيقيننا في قيام رسولك صلواتك عليه وآله ، وما جاء به من وحيك
وتنزيلك ، وقوّ قلوبنا على الإيمان به حتى تسلك بنا على يده منهاج الهدى
والحجة العظمى ، والطريقة الوسطى ، وقوّنا على طاعته ، وثبّتنا على
متابعته ، واجعلنا في حزبه وأعوانه وأنصاره ، والراضين بفعله ، ولا تسلبنا
ذلك في حياتنا ولا عند وفاتنا حتى تتوفانا ونحن على ذلك غير شاكين ولا
ناكثين ولا مرتابين ولا مكذّبين . اللهم عجّل فرجه وأيّده بالنصر ، وانصر
ناصريه ، واخذل خاذليه ، ودمر على من نصب له وكذب به ، وأظهر به
الحق ، وأمت به الباطل ، واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذل ، وانعش به
البلاد ، واقتل به جبابرة الكفر ، واقصم به رؤوس الضلالة ، وذلل به
الجبارين والكافرين ، وأبر به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين
والملاحدين في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وسهلها وجبلها

حتى لا تدع منهم دياراً ولا تبقي لهم آثاراً ، وتطهر منهم بلادك ، واشفر
منهم صدورَ عبادك ، و جدّد به ما امتحى من دينك ، وأصلح به ما بُدّل من
حكّمك ، وغيّر من سنّتك حتى يعودَ دينك به وعلى يديه غضاً جديداً
صحيحاً لا عوجَ فيه ولا بدعة معه حتى تطفئ بعدله نيران الكافرين ، فإنّه
عبدك الذي استخلصته لنفسك وارتضيته لنصرة نبيك ، واصطفيته بعلمك ،
وعصمته من الذنوب وبرّاته من العيوب ، وأطلعته على الغيوب ، وأنعمتَ
عليه وطهرته من الرجس ونقيته من الدنس . اللهمّ فصلّ عليه وعلى آبائه
الأئمة الطاهرين ، وعلى شيعتهم المنتجبين ، وبلغهم من آمالهم أفضل ما
يأملون ، واجعل ذلك منا خالصاً من كلّ شك وشبهة ورياء وسمعة حتى لا
نريد به غيرك ولا نطلب به إلا وجهك ، اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا ،
وغيبة وليّنا ، وشدة الزمان علينا ، ووقوع الفتن بنا ، وتظاهر الأعداء علينا ،
وكثرة عدوّنا ، وقلة عددنا . اللهمّ فافرج ذلك بفتح منك تعجّله ، ونصر منك
تُعزّه ، وإمام عدل تظهره إله الحقّ رب العالمين . اللهم إنا نسألك أن تأذن
لوليّك في إظهار عدلك في عبادك ، وقتل أعدائك في بلادك حتى لا تدع
للجور يا ربّ دعامةً إلا قصمتها ولا بنية إلا أفنيتها ، ولا قوّة إلا أوهنتها ،
ولا ركناً إلا هددته ، ولا حداً إلا فللته ، ولا سلاحاً إلا أكلته ، ولا رايةً إلا
نكّستها ، ولا شجاعاً إلا قتلته ، ولا جيشاً إلا خذلته ، وارمهم يا ربّ بحجر
الدامغ ، واضربهم بسيفك القاطع ، وبأسك الذي لا تردّه عن القوم
المجرمين ، وعذب أعداءك وأعداء دينك وأعداء رسولك بيد وليّك وأيدي

عبادك المؤمنين . اللهم اكف وليك وحجتك في أرضك هولَ عدوّه وكيدَ
مَن كاده ، وامكر مَن مكرَ به ، واجعل دائرة السوء على مَن أراد به سوءاً ،
واقطع عنه مادّتهم ، وارعب له قلوبهم ، وزلزل له أقدامهم ، وخذهم جهرةً
وبغته ، وشدّد عليهم عقابك ، واخزهم في عبادك ، والعنهم في بلادك ،
وأسكنهم أسفل نارك ، وأحط بهم أشدّ عذابك ، وأصلهم ناراً واحش قبور
موتاهم ناراً ، وأصلهم حرّ نارك ، فإنهم أضاعوا الصلاة واتَّبَعُوا الشهوات
وأذلُّوا عبادك ، اللهم وأحي بوليِّك القرآن ، وأرنا نورةً سرمداً لا ظلمة فيه ،
وأحي به القلوب الميتة ، واشف به الصدور الوغرة ، واجمع به الأهواء
المختلفة على الحقّ ، وأقم به الحدود المعطّلة والأحكام المهملة حتى لا
يبقى حقٌّ إلا ظهر ، ولا عدلٌ إلا زهر ، واجعلنا يا ربّ مِّن أعوانه ومقويّ
سلطانه والمؤتمرين لأمره ، والراضين بفعله ، والمسلمين لأحكامه ، وممّن
لا حاجة له به إلى التقيّة مِّن خلقك ، أنت يا ربّ الذي تكشف السوء
وتجيب المضطر إذا دعاك ، وتُنجِي مَن الكرب العظيم ، فاكشف يا ربّ
الضرّ عن وليِّك ، واجعله خليفةً في أرضك كما ضمنت له . اللهم ولا
تجعلني مِّن خصماء آل محمّد ، ولا تجعلني مِّن أعداء آل محمد ، ولا
تجعلني مِّن أهل الحنق والغیظ على آل محمد ، فإنني أعوذ بك مِّن ذلك
فأعدني ، وأستجير بك فأجرني . اللهم صلِّ على محمّد وآل محمد ،
واجعلني بهم فائزاً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقربين ^{٢٥٣}»

^{٢٥٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٥٠٨ - ٥٢٤

ويكفيها في ختام هذا المعنى أن تُورد ما رواه المفضل بن عمر قال :
ذكرنا القائم عليه السلام ومَن مات مِن أصحابنا ينتظره ، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام :
« إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له : يا هذا ، إنه قد ظهر صاحبك ، فإن
تشأ أن تلحق به فالحق ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم »^{٢٥٤} .

وشرطُ هذا المعنى الجليل كما بيَّنا في الأخبار أن يُطيع العبدُ ربَّه
وينزل على ضابطة الدين في كلِّ صغيرةٍ أو كبيرةٍ ، فمَن أتمَّ اعتقاده واتَّبَعَ
الثقلين فأحلَّ حلال الله وحرَّم حرامه ، والتزام فرائضه فقد انتظر وأحسنَ
العبادة ، وهذه لها سعة تتصلُّ بشتى مناطق الفكر والعمل ، فافهم وخذ
لنفسك نصيبها مِن أمر الله تعالى .

^{٢٥٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٩

المحن والفتن في آخر الزمن

ترسم لنا الأخبار وجه « المحنة الشديدة » التي تتنوع في آخر الزمن عبر جملة من العركات العنيفة التي تطال أهل الأرض بأشكالٍ مختلفة ، ويتأثر بها أهل الإيمان بقوةٍ جرأء السلطات العالمية التي يتحكم بها الأباطرة الظلمة والمشاريع الشاذة التي تأخذ البشرية في الثقافة والسياسة والمال والاجتماع وغيرها إلى نواح تهتز منها السماء .

من يتصفح ألقاظ الأخبار يجد أنها تخزن هذا المعنى العميق من وجع المحنة التي تُبسط على الأرض في آخر الزمان حتى تقوم قيامة حجة الله وتشرق الأرض بظهوره الشريف ، ففي رواية الحسن بن محبوب ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام - في حديث طويل - قال : « لا بد من فتنة صماء صيلم^{٢٥٥} ، يسقط فيها كل بطانة ووليعة ، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي ، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض ، وكم من مؤمن متأسف

^{٢٥٥} قال ابن الأثير في النهاية : ٥٤ / ٣ ومنه الحديث " الفتنة الصماء العمياء " هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتأهبا في دهانها ، لآراء الأصم لا يسمع الاستغاثة ، فلا يفلح عمًا يفعله . وقيل : هي كالحية الصماء التي لا تقبل الرقي . والصيلم : الداهية . وقال الطريحي في مجمع البحرين : ٢١٤ / ٦ : وفي حديث غيبة القائم عليه السلام " لا بد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليعة " . البطانة : السريرة والصاحب . والوليعة : الدخيلة وخاصتك من الناس . { الغيبة - الشيخ الطوسي - هامش ص ٤٣٩ } .

حرَّان حزين عند فقد الماء المعين ، كأني بهم أسرَّ ما يكونون وقد نُودُوا
نداءً يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ ، يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً
للكافرين . فقلت : وأيُّ نداء هو ؟ قال : ينادون في رجب ثلاثة أصوات من
السماء : صوتا منها : « ألا لعنة الله على الظالمين » ، والصوت الثاني :
« أذفت الآزفة يا معشر المؤمنين » ، والصوت الثالث - يرون بدنأً بارزاً نحو
عين الشمس - : هذا أمير المؤمنين قد كَرَّفَ في هلاك الظالمين^{٢٥٦} . وفي
رواية الحميري قال : والصوت الثالث بدنأً يُرى في قرن الشمس يقول :
« إنَّ الله بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا » . وقال عليه السلام : « فعند ذلك يأتي
الناس الفرج ، وتودُّ الناس لو كانوا أحياء . ويشفي الله صدور قوم
مؤمنين^{٢٥٧} »^{٢٥٨} .

وفي رواية المفيد عن الصادق عليه السلام أنه قال : « كيف بكم إذا التفتُّم
يمينا فلم تروا أحداً ، والتفتُّم شمالاً فلم تروا أحداً ، واستولت أقوام بني عبد

^{٢٥٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٣٩ - ٤٤٠

^{٢٥٧} وفي رواية الغيبة عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : « سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى : (فاختلف
الأحزاب من بينهم) فقال : انظروا الفرج من ثلاث . فقيل : يا أمير المؤمنين ، وما هن ؟ فقال : اختلاف أهل الشام بينهم ،
والرايات السود من خراسان ، والفرزة في شهر رمضان . فقيل : وما الفرزة في شهر رمضان ؟ فقال : أو ما سمعتم قول الله
عز وجل في القرآن : (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) هي آية تُخرج الفتاة من خدرها ،
وتوقظ النائم ، وتفزع البقطان » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٦٠ - ٢٦١]

^{٢٥٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٣٩ - ٤٤٠ . وفي رواية سليمان بن صالح ، رفعه إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر
عليه السلام قال : قال : إنَّ حديثكم هذا لشمتر منه قلوب الرجال ، فانبذوه إليهم نبذاً ، فمن أقر به فزيدوه ، ومن أنكر فذروه ،
إنه لا بد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليعة حتى يسقط فيها من يشق الشعرة بشعرتين حتى لا يبقى إلا نحن
وشيعتنا . [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٠] .

المطلب ، ورجع عن هذا الأمر كثير ممن يعتقدونه ، يمسي أحدكم مؤمناً
ويصبح كافراً ، فالله الله في أديانكم هنالك فانتظروا الفرج »^{٢٥٩} .

والمتون صريحة في ثقل المحنة وشدّة البليّة ووقوع الحيرة وكُبر
البلاء . والنصُّ يعبر عن تلك اللحظات الطويلة المستديمة بالفتنة الصمّاء
الصيلم التي يُفقد فيها الماء المعين ، إشارة إلى غيبة المهدي عليه السلام وما يقع
بعده من حيرة ومحن وصعاب تتراكم وتضرب بأجنحتها ناس الزمان
بأشكالٍ كثيفة من البلايا ، وأنّ ذلك يظلُّ مستديماً حتى النداء من السماء
الذي يعقبه ظهور مولانا المهدي عليه السلام وتقع على أثره معارك طاحنة
تطال الأرض وأطرافها حتى تقوم راية الله في الدنيا كلّها وما تصله يد
الإنسان . معنى ذلك أنّ محنة الزمان ستكون شديدة على أهل الغيبة ، خاصّة
أنّ الأخبار تؤكّد قيام حكومات الجور وسيطرة « سرطان » الأخلاقيات

^{٢٥٩} رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ١٣

^{٢٦٠} وفي رواية عبد الله بن سنان ، قال : قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعت رجلاً من همدان يقول له : « إن هؤلاء
العامّة يُعَيِّرُونَا ويقولون لنا : إنكم تزعمون أنّ منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر ، وكان متكئاً فغضب
وجلس ثم قال : لا ترووه عني وأرووه عن أبي ، ولا حرج عليكم في ذلك ، أشهد أنني قد سمعتُ أبي عليه السلام يقول : « والله
إنّ ذلك في كتاب الله عز وجل ليئن حيث يقول : (إنّ نشأ نزل عليهم من السماء آيةً فظلت أعناقهم لها خاضعين) فلا
يبقى في الأرض يومئذ أحدٌ إلا خضع وذلت رقبته لها فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء : ألا إنّ الحق في
علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته ، قال : فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض ثم ينادي :
ألا إنّ الحق في (فلان) وشيعته فإنه قُتلَ مظلوماً فاطلبوا بدمه ، قال : فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو
النداء الأول ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض ، والمرض - والله - عداوتنا ، فعند ذلك يتبرأون منا ويتناولونا
فيقولون : إنّ المنادي الأول سحر من سحر أهل هذا البيت ، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل : (وإن يروا آيةً
يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر) « [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٦٧ - ٢٦٨] .

الذي يُدخل العالم بشذوذٍ ولهيبٍ لا نهاية له ، ويدفع العالم نحو حضارة « العورات المسرطنة » والأسواق العمياء ، فلا تبقى جهةٌ من الأرض إلا وتعاني ، وأكثر الناس عناءاً أهلُ الإيمان ، لأنهم يرون غربَةَ الدِّين وعزلته ومنعه وكفَّ سلطانه ، لصالح الطغيان المادِّي والتوحُّش الغريزي .

هذا يعني أنّ عالم آخر الزمان يقع تحت « ضغط » غريزي انحرافي وحربي وثقافي عنيف يطال الدِّين والأخلاقيّات وأصل الرؤية الوجوديّة والأمم الضعيفة والشعوب الفقيرة التي تشكّل وجه العالم آنذاك .

مَنْ يتتبع الروايات يجدها تشيرُ إلى فتن الضلال والسيف وفتن الجوع والوجع والعورات وسط نظامٍ دولي تقوُّدُ أمم تصرُّ على فرض برامجها العسكريّة والأمنيّة والثقافيّة والماليّة على قاعدة الغلبة والقدرة على التنفيذ ، دون أن يكون الظلمُ أو النهبُ أو القتلُ أو الإستبداد في موقع إدانة ، وهذا عينُ البلاء الذي يُصيب ناس آخر الزمان ، فضلاً عن فتن الجحود والإلحاد وعزل الدِّين بل محاولات استئصاله ومنعه من الحركة في الكيانات السياسيّة والمقولات الوجوديّة والإلتزامات الشخصيّة وما إلى ذلك .

وعن منطق الحروب الطاحنة تقول رواية عمار بن ياسر عن المعصوم عليه السلام : « دعوة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ، فالزُموا الأرض وكفُّوا حتى ترَوا قاداتها ، فإذا خالف الترك الروم وكثرت الحروب في

الأرض ، يُنادي منادٍ على سور دمشق : ويلٌ لازمٌ من شرٍّ قد اقترب ،
ويخرب حائط مسجدها»^{٢٦١} ، ما يعني أنّ منطق الحرب التي تقودها
كبريات الأمم الجائرة آنذاك يُشكّل وجه العالم في لحظة حاسمة ، في
حين المتون تأخذ أبصارنا إلى حقيقة أنّ معترك الصراع وميدان النزاع
يتجدّر في الشرق ،

مؤكّدة أنّ الأزمات تتوالى على الشرق الأوسط بشكلٍ هائل ، وأنّ
كبريات النظام العالمي آنذاك تدفع بجيوشها لخوض معارك رئيسية ، فيما
طائفة أخرى من الروايات تشير أنّ محور قوَى رئيسية ينصبُّ على الدولة
الخراسانية التي تُوطئ للمهديّ سلطانه ، وأيضاً على باقي الرايات الفرعية
التي تتحالف مع خراسان ، وهذا يعني أنّ أهل الغيبة سيُعانون من مشاكل
عسكرية وحربية ونماذج أخرى قريبة من هذا المعنى مثل الحصار
الإقتصادي والقطائع السياسية والعداوات والخصومات التي تبدأ من المناخ
الإقليمي وتتوسّع نحو العالم .

ويؤيّد المعنى الوارد أعلاه ما رواه جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام
قال : « إلزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها
لك ، وما أراك تدركها : اختلاف بني فلان ، ومنادٍ ينادي من السماء ،
ويجيئكم الصوتُ من ناحية دمشق بالفتح (فتح بيت المقدس على يد
الخراسانيين) ، وخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية . وستقبل إخوان

^{٢٦١} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤١

الترك حتى ينزلوا الجزيرة ، وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة ، فتلك السنة فيها اختلافٌ كثيرٌ في كل أرضٍ من ناحية المغرب . فأوّل أرض تخرب الشام ، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات : راية الأصبه ، وراية الأبقع ، وراية السفياي « ٢٦٢ » .

هذه الطائفة تأخذ بنا إلى الانفجار الهائل الذي يقع قبل الظهور ، فيما الطوائف الأخرى تؤكّد طابع الأزات الأمنيّة والعسكريّة والماليّة وما يتبعها من جوع ووجع وغير ذلك ، وأنّ ذلك يُشكّل مركز أزمات مستوطنة في بلاد الإسلام ، وأكثر ما يكون ضغطه باتجاه أهل الإيمان وسط عداواتٍ وخصوماتٍ تدفعها الروم وكبرى نادي ذلك الزمان .

لتخلص الأخبار إلى أنّ ظهور المهدي عليه السلام إنّما يكون بعد أن يعصّ الزمان ويقلّ الأخوان ، إشارةً إلى كثرة من يخاصم وقلة من يناصر ،

^{٢٦٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤١ - ٤٤٢ ، وفي رواية عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « للقائم خمس علامات : ظهور السفياي ، واليماني ، والصيحة من السماء ، وقتل النفس الزكية ، والخسف بالبيداء » ، وفي رواية داود بن سرحان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب . قلت : وما هي ؟ قال : وجعة يطلع في القمر ، ويدّ بارزة » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٦١] . وفي رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « النداء من المحتوم ، والسفياي من المحتوم ، واليماني من المحتوم ، وقتل النفس الزكية من المحتوم ، وكفّ يطلع من السماء من المحتوم ، قال : وفزعة في شهر رمضان توقيظ النائم وتفرغ اليقظان وتخرج الفتاة من خدرها » وفي رواية أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « قبل هذا الأمر السفياي واليماني والمرواني وشعيب بن صالح » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٦٢] وفي رواية ابن أبي يعفور قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « أمسك بيدك هلاك الفلاني - اسم رجل من بني العباس - وخروج السفياي ، وقتل النفس ، وجيش الخسف والصوت ، قلت : وما الصوت ، هو المنادي ؟ فقال : نعم ، وبه يعرف صاحب هذا الأمر ، ثم قال : الفرج كله هلاك الفلاني من بني العباس » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٦٦] .

في عالمٍ تملأه الذئاب ، وفي رواية محمد بن بشر ، عن محمد بن الحنفية قال : قلت له : قد طالَ هذا الأمر حتى متى ؟؟؟ قال : فحرَّك رأسه ثمَّ قال : « أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان ؟ أنى يكون ذلك ولم يجفوا الاخوان ؟ أنى يكون ذلك ولم يظلم السلطان ؟ أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين فيهتك ستورها ويكفر صدورها ويغيِّر سورها ويذهب بهجتها ، مَنْ فرَّ منه أدركه ، ومن حاربهُ قتله ، ومن اعتزله افتقر ، ومن تابعه كفر حتى يقوم باكيان : بالكِ يبكي على دينه وبالكِ يبكي على دنياه »^{٢٦٣} .

ومعلوم أنَّ قسماً من لسان المتون حصَّل أو انطبقت صورتهُ الجزئية وهي في طور الإنطباق الكلي ، وهذا يعني أننا في بحر الغيبة ومحتتها ، ولا يدري أحدٌ إلا الله إلى أين تُتابع انطباقها وإلى أيِّ حدٍّ ، لكن نعلم أنَّ الذي يقطع هذا المدى قيام أشرط الظهور القريبة ، فإذا تمَّت فقد أذن اللهُ للمهديِّ عليه السلام بالظهور .

أمَّا المقصود من هذه المتون ، فهو بيان القسمة التي تكون آنذاك ، فهناك قلةٌ من أهل الإيمان فيما الكثرة الكاثرة تكون على أشدِّ انحرافٍ وسط هيكل عالمي يقود الأمم نحو الانتحار الثقافي والفكري والأخلاقي والسياسي والأمني وما إليه . وهذا بنفسه يعني المزيد من المحن التي تقع على كاهل المنتظرين ، فالإنتظار مشروطٌ بالتزام الشريعة ، والنزول على

^{٢٦٣} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤١

شرط القرآن والعترة النبوية المعصومة ، وتطبيق مشروع الإسلام في الحياة ما أمكن ، وهو يُواجهُ بأشرس الهجمات ويُراد له الموت والإبادة ، ليس من الأمم الجاحدة للإسلام فحسب بل أيضاً على يد كثير من المسلمين وكثير من الحكام الذين يضعون عزلة الدين والتنكيل بالمؤمنين في رأس السياسات الداخلية !!!!

بل في عرض طوائف من المسموعات تشير إلى مفتاح البلاء وسيف الفناء ، تحكي لنا قصة الانحرافات التي تطال الشرق وسياسات القتل والتجويع وما إلى ذلك ، وهذا بدوره يطال المنتظرين بأشكالٍ متفاوتة ، رغم أنّ الأخبار تحدثنا عن صلابتهم وقوة إيمانهم وما إلى ذلك .
ثمّ تأخذنا إلى زمن الظهور فتشير إلى أشد الانفجارات الحربية ، والسياسات الداخلية ، حتى تقوم برامج بعينها على الذبح والقتل واعتماد شتى أساليب الانحراف الأمني والسياسي .

لكن لسان المتون صريح في أنّ كيد الفجرة يقع فيما بينهم ، وبذلك نفهم معنى الفرغ الذي تحدثت عنه المتون بلسان الكيد للكافرين والمنافقين والعزة للمؤمنين ، ففي رواية كعب قال : « إذا ملك رجلٌ من بني العباس يُقال له : عبد الله وهو ذو العين ، بها افتتحوا وبها يختمون ، وهو مفتاح البلاء وسيف الفناء ، فإذا قرئ له كتاب بالشام من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين لم تلبثوا أن يبلغكم أن كتاباً قرئ على منبر مصر : من عبد الله

عبد الرحمان أمير المؤمنين^{٢٦٤} ، وهذا يشير إلى الانفجار الإقليمي الذي يقع بين الطواغيت أنفسهم في خلافٍ على الحكم والسلطان والتبعيات وما إليها ، بدءاً من المغرب العربي وصولاً إلى الشام فالعراق وقصة بني العباس في آخر الزمن ، وبهذا يتم جزءٌ من علامات الفرج أي الظهور^{٢٦٥} ،

الصورة العامة تنقل لنا المحن زمن الغيبة ، وهي فجائع حقيقية وأهوال متفاقمة ، تؤكد طابع الخطورة البالغة التي تُسيطر على معازل وكيانات وأطر وبرامج دول الشرق والغرب في آخر الزمان .

ولمن تتبّع الأخبار يجد أنّ أحداثاً جساماً تقع في منطقة الشرق الأوسط ، وتكون برامجها العداء لآل بيت محمد ﷺ ، وإشهار العداوة لأهل الإيمان ، وأنّ أعظم هذه العناوين تقع قبيل ظهور المهدي ﷺ ، فقد روى حدلم بن بشير قال : قلتُ لعلّي بن الحسين ﷺ : « صف لي خروج

^{٢٦٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٣ * وفي حديث آخر قال : الملك لبني العباس حتى يبلغكم كتاب قرئ بمصر من عبد الله عبد الرحمان أمير المؤمنين ، وإذا كان ذلك فهو زوال ملكهم وانقطاع مدتهم ، فإذا قرئ عليكم أوّل النهار لبني العباس من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين فانتظروا كتاباً يقرأ عليكم من آخر النهار من عبد الله عبد الرحمان أمير المؤمنين . وويل لعبد الله من عبد الرحمن . [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٣] .

^{٢٦٥} وفي الرواية عن معاوية بن سعيد ، عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ قال : قال علي بن أبي طالب ﷺ : « إذا اختلف رمحان بالشام فهو آية من آيات الله تعالى . قيل : ثم مه ؟ قال : ثم رجفة تكون بالشام يهلك فيها مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين . فإذا كان ذلك فانتظروا إلى أصحاب البراذين الشهب ، والرايات الصفر تُقيل من المغرب حتى تحل الشام . فإذا كان ذلك فانتظروا خسفاً بقرية من قرى الشام يقال لها " حرستا " فإذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الأكباد بوادي الياض] . وفي نسخ الأصل : خرشنا ، وهو بلد قرب ملطية من بلاد الروم ، وحرستا : قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص ، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ (مرصد الاطلاع) [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦١] .

المهدي وعرفني دلائله وعلاماته ؟؟؟ فقال : يكون قبل خروجه خروجُ رجلٍ يُقال له « عوف السلمي » بأرض الجزيرة ، ويكون مأواه « تكريت » ، وقتلُه بمسجد دمشق ، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند . ثم يخرجُ السفيناني الملعون من الوادي اليابس وهو من ولدِ عتبة بن أبي سفیان ، فإذا ظهر السفيناني اختفى المهديُّ ثم يخرجُ بعد ذلك »^{٢٦٦} .

فهذا الخبرُ يشيرُ إلى قيام شخصياتٍ لها برامج سطو وقتل واعتداء على أتباع آل محمد ﷺ ، فيما شخصيّة السفيناني تبلغ الذروة في العدوان على أتباع أهل البيت ، وهذا يكون واحداً من نماذج المحن التي تقع على المنتظرين في آخر الزمن ، على أنّ ذيل النص يشيرُ إلى أنّ المهدي يكون قد ظهر ، وهو الظهور الخاص والذي على أثر قيام الراية السفينانية يتكتم على ظهوره ويدوم هذا الظهور الخاص لأشهر ، ويكون مبدأه المدينة المنورة ، ثم على أثره يكون الظهور العام الذي يقع في مكة المكرمة وذلك بعد حادثة الخسف الشهيرة التي تقع في جيش السفيناني المتوجّه نحو مكة .

وفي رواية أبي الطفيل قال : قال لي عامر بن وائلة :

« إنّ الذي تطلبون وترجون إنما يخرج من مكة ، وما يخرج من مكة حتى يرى الذي يحب »^{٢٦٧}

^{٢٦٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٣ - ٤٤٤

^{٢٦٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٥

وفي الحاصل العام : فإنَّ المنتظرين يشهدون عالماً من المَحَن والفتن التي كلَّما أُخمدت فتنة منها ظهرت أخرى ، ومَن ثبت على شرط الإنتظار كان عند الله عظيماً . الأخبار صريحة وهي تحكي لنا قصة المنتظرين وثباتهم وقوَّة اعتقادهم وكفاحهم من أجل حماية هذا المعنى التنفيذي من الإنتظار .

وقد تواتر لسان المتون في قوَّة أهل الإيمان ونفوذهم الموقعي وقيام دولتهم قبل الظهور الشريف ، لتخبرنا بأنَّ المنتظرين - رغم جُهدهم - يُشكِّلون ثقلًا بارزاً في وجه المشاريع الكبرى التي تُريد النيل من المنطقة مرَّةً ، ومنهم مرَّةً أخرى ، فخراسان تُشكِّل مركز القطب في راية الموطئين للمهديِّ سلطانه ، وفي رواية الشيخ الطوسي عن النبي ﷺ قال : « يخرج بقزوين رجلٌ اسمه اسمُ نبي ، يُسرِعُ النَّاسُ إلى طاعته ، المشرك والمؤمن . يملأ الجبال خوفاً »^{٢٦٨} والثابت أنَّ المهديَّ ﷺ بعد ظهوره يخرج بالراية الخراسانيَّة (أي يقودها) عبر قوَّاده وكذا براية اليماني وجملة من الرايات التي تنزلُ على أمره مثل راية الأبدال والعصائب والنجباء .

ومَن يتتبع الأخبار يجد أنَّ أغلب أنظمة المنطقة تكون على خلاف دعوة المنتظرين وبرامجهم ، بل يكون للروم وغيرها من القوى الكبرى المعادية للإسلام يدٌ بارزة في السيطرة على نُظم المنطقة على قاعدة

^{٢٦٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٤

التبعيات وغيرها ، رغم أنّ الأخبار تُؤكّد لنا عجز نفوذ الروم النسبي أمام القوة التصاعديّة لخراسان التي يتجذّر نفوذها في منطقة الأوسط ، كما يستفاد ذلك صريحاً من المتون .

نعم ، يدفع المنتظرون كلفاً هائلة في تلك الفترة الحرجة جداً بعد أن تتكثّر قوى مركزية عالمية وإقليمية عليهم ، ومع ذلك تتصاعد قوتهم وثباتهم . لكن مع ذبح النفس الزكية لا تمضي إلا عدّة ليالي فيظهر على أثرها المهدي عليه السلام ، وفي رواية شعيب الحداد عن صالح قال : « سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « ليس بين قيام القائم وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة »^{٢٦٩} ،

وفي رواية عباية بن ربعي الأسدي قال : « دخلت على أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنا خامس خمسة ، وأصغر القوم سنّاً ، فسمعتة يقول : حدثني أخي رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إني خاتم ألف نبي ، وإنك خاتم ألف وصي ، وكلفت ما لم يُكلفوا . فقلت : ما أنصفك القوم ، يا أمير المؤمنين . فقال : ليس حيث تذهب بك المذاهب ، يا بن أخي ، والله إني لأعلم ألف كلمة لا يعلمها غيري وغير محمد صلى الله عليه وآله وإنهم ليقرأون منها آية في كتاب

^{٢٦٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٥ « وفي رواية سفيان بن إبراهيم الجريدي أنه سمع أباه يقول : « النفس الزكية غلام من آل محمد اسمه : محمد بن الحسن يقتل بلا جرم ولا ذنب ، فإذا قتلوه لم يبق لهم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر . فعند ذلك يبعث الله قائم آل محمد في عصبة لهم أدق في أعين الناس من الكحل ، إذا خرجوا بكى لهم الناس ، لا يرون إلا أنهم يختطفون ، يفتح الله لهم مشارق الأرض ومغاربها ، ألا وهم المؤمنون حقاً ، ألا إن خير الجهاد في آخر الزمان » [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٤ - ٤٦٥] .

الله عز وجل وهي : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٨٢/٢٧) ، وما يتدبرونها حقاً تدبرها ، ألا أخبركم بآخر ملك بني فلان ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين . قال : قتل نفس حرام ، في يوم حرام ، في بلد حرام ، عن قوم من قريش ، والذي فلق الحبة وبرئ النسمة ما لهم ملكٌ بعده غير خمس عشرة ليلة . قلنا : هل قبل هذا أو بعده من شيء ؟ فقال : صيحةٌ في شهر رمضان تُفزعُ اليقظان ، وتُوقظُ النائم ، وتُخرجُ الفتاةَ من خدرها ^{٢٧٠} ،

ويكون ذلك إثرَ علاماتٍ منها : خسوفٌ وكسوفٌ يطالان الشمس والقمر في شهرٍ واحد ، ففي رواية بدر بن الخليل الأزدي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « آيتان تكونان قبل القائم عليه السلام ، لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض : تنكسفُ الشمسُ في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره . فقال رجل : يا بن رسول الله ، تنكسفُ الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف ؟!!! فقال أبو جعفر عليه السلام : إني لأعلمُ بما تقول ، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ^{٢٧١} ، إذا هي علامتان خاصتان لم تقعا في الأرض منذ وُجدت ، وهذه تكون آيةً على الفرج الذي يشمل المنتظرين ويدفع الرايات نحو خوض ملاحم الانتصار للعدل الإلهي .

^{٢٧٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٦٦ - ٢٦٧

^{٢٧١} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٤ - ٤٤٥ وبعض الروايات تؤكد أنه لا بد أن يظهر مع الشمس آية ، منها ما رواه علي بن عبد الله بن عباس قال : لا يخرج المهدي حتى يطلع مع الشمس آية ^{٢٧١} [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٦] .

لكنّ الأخبار بنفس الوقت تحذّر أنّ أمر الإنتظار يحتاجُ إلى تثبّت وتمكّن وترويض ، لأنّ فتن الضلالة والسيف ، ورايات الباطل ، وطاقات الضغط على أهل الإنتظار تكبر وتغدّر ، وفي واحدةٍ من هذه المعاني روى جابر قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام متى يكون هذا الأمر ؟ فقال عليه السلام : « أنى يكون ذلك يا جابر ولما تكثر القتلى بين الحيرة والكوفة »^{٢٧٢} ، ومعلوم أنّ مركز التشيع قبل الظهور يكون مركزاً في خراسان ، فيما العراق تشكّل ثقل العصائب الممدوحين بالأخبار لتؤكد أنّ مسارات الحرب والنار والفتن الدموية تتواصل باتجاه العراق وجملة من الأطر الموجودة في الأوساط لتشكّل ظاهرةً واسعة ذات وقع هائل ، ومعها تتجسّد واحدة من معاني المحن التي تطال أهل هذه البلاد ، ومنهم « المنتظرين » الذين يُعانون بشدّة من خيارات برامج وسياسات النظام الدولي والإقليمي .

وحينما تحدّثنا الأخبار عن عموم البلاء والمحن تشير طوائف أخرى إلى مراكز البلاء ونواحيها وجملة من البلاد والأطر التي تتعرّض في أوقاتٍ مختلفةٍ لمحنة الجوع أو المرض أو الحصار أو نماذج أخرى من ممارسات الضغط الإقليمي والعالمي .

فخراسان التي تشكّل مركز التشيع الأكبر قبل الظهور ومرجعية السلسلة الموطّئة للمهديّ سلطانه تتعرّض لأحلافٍ مختلفة ذات وجوه دولية

^{٢٧٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٥ - ٤٤٦

وإقليمية ، ومكائد وكمائن وخصومات كثيرة ، مع أنّ الروايات تصفها بالدولة القويّة القادرة ذات الوزن الإقليمي الثقيل وذات الحضور العالمي ، لكنّها مع ذلك تتعرّض لجُهدٍ بالغٍ من أنظمةٍ عالميّةٍ وإقليميّةٍ تحاول إضعافها ، بل تعتمد في جملةٍ من مشاريعها إلى محاولات استئصالها ، لكنّ قوّة خراسان تشكّل ضماناً مركزيّةً لحماية خيار الإسلام الذي تنزل عليه قيادة الخراساني . وكذلك الحال مع الأبدال (في منطقة لبنان) الذين يتعرّضون لمكائد مستمرّة ، وخصومات إقليميّة ودوليّة بصريح المتون . فيما عصائب العراق يشكّلون هدفاً لجملةٍ من القوى والسلطين الإقليميّة وبعض المحليّة ، فضلاً عن المشاريع الدوليّة . وهناك طائفة من الروايات لها لسان يشير إلى ضغط حاكم ما في العراق ضدّ الشيع ، ويعمل مع ولاءات مختلفة لاستئصاله ، وأنّ دولة أو فيدراليّة ، أو مركز قوّة في العراق ، يكون تابعاً لدولة بني العباس الثانية يظلّ قائماً إلى ما قبل الظهور ، بل زوال ملك بني العباس الثاني علامة على قرب الظهور^{٢٧٣} ، ففي رواية الحسين بن المختار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا هُدِمَ حائط مسجد الكوفة مؤخره ممّا يلي

^{٢٧٣} وفي رواية أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم . ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ولم يثنه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله ، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام . فقلت : يطول ذلك ؟ قال : كلا » [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٧] وفي رواية محمد بن الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما من علامة بين يدي هذا الأمر ؟ فقال : بلى . قلت : وما هي ؟ قال : هلاك العباسي ، وخروج السفياي ، وقتل النفس الزكية ، والخسف بالبيداء ، والصوت من السماء . فقلت : جعلت فداك ، أخاف أن يطول هذا الأمر ؟ فقال : لا ، إنما هو كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٦٩ - ٢٧٠] .

دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك بني فلان ، أما إن هادِمة لا يبنيه ^{٢٧٤} تأكيداً منه على زوال هذه الدولة المناوئة لآل محمد وأتباعهم ، والتي يُشكّل زوالها علامةً على قرب الظهور ، فيما لسان الأخبار يؤكّد وجود قوتين في العراق : الأولى تُعبّر عنها دولة بني العباس الثانية في العراق أو قسمٍ منه ، والثانية تبدو صريحة جداً من لسان الأخبار التي تؤكّد وجود تكتّل أو قوّة واضحة للعصائب العراقيين أتباع أهل البيت عليهم السلام ، ولكن هل هي ضمن دولة فيدرالية يتشكّل منها العراق ، أو كيان منفصل ، أو قوّة أمر واقع ؟؟؟؟ النص مفتوح على كل هذه العناوين ، لكن الأكيد أنّ العصائب « المنتظرين » يُشكّلون قوّة وازنة ضمن إطارٍ محدّد ، ويُعانون جرّاء جملة من السياسات الإقليمية والدولية والمحلية . إذاً هذا واحدٌ من معاني المحن التي تطال أهل الإنتظار في العراق مثلاً ، على أنّ نماذج المحن كثيرة ومختلفة ومتنوّعة .

بالمقابل : ترسم المتون ثقلاً صريحاً لرايات الإنتظار ، فالأبدال قوّة فرعية ولائية ، يبدو من لسان الأخبار الصريح أنّ لبنان ، وبالأخص جبل عامل يمثّل مركز نفوذها وتناميها ، فيما راية العصائب تتجذّر في العراق ، أمّا المركز الخراساني فيُشكّل أكبر ثقل إقليمي ، ما يعني أنّ أهل الإنتظار يستطيعون بناء شريط رئيسي له أهمية استراتيجية في طول المنطقة ، إلى درجة أنّ راية النجباء الإمامية تكاد تستلم الحكم في مصر لولا الحملة

^{٢٧٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٦

العسكريّة الهائلة التي تقودها الروم لمنعهم من ذلك ، هذا فضلاً عن راية اليماني التي تُساهم في قلب الموازين في الأوساط ، وفي رواية محمد بن مسلم قال : « يخرج قبل السفيناني مصري ويماني »^{٢٧٥} . ومع تشكّل قوّة السفيناني التي تُصبح أكبر قوّة إقليمية مناهضة لخراسان ، فإنّ راية اليماني تُشكّل الثقل الذي يُؤكّد نفوذ أهل الإنتظار في طول المنطقة ، وفي رواية بكر بن محمد الأزدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خروج الثلاثة : الخراساني والسفيناني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد »^{٢٧٦} ،

لكنّ هذا المعنى من الإنشطار الحربي يكون في الفترة القريبة جداً من ظهور المهدي عليه السلام ، بل قيام راية اليماني وخروجها إنّما يكون في زمن الظهور الخاص للمهدي عليه السلام .

وعليه : وزنُ أهل الإنتظار يشكّلُ ثقلًا مركزيًا في طول الشريط الإقليمي الأوسطي ، ويستفيد جداً من القوّة الخراسانيّة التي تستطيع أن تثبت بقوةٍ مثيرة بوجه السياسات الدوليّة والإقليمية .

وهذا يعني أنّ الخصومة بين أهل الإنتظار وغيرهم من قوى الطغيان العالمي ، تتصاعد بوتيرة عالية جداً ، لكنّ تضارب المصالح العالميّة يُفيد

^{٢٧٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٧ * وفي رواية بشر بن غالب قال : « يقبل السفيناني من بلاد الروم متنصراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم . [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٢ - ٤٦٣] .

^{٢٧٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٦ - ٤٤٧

أهل الإنتظار بسبب خلافاتٍ بين تيارات النظام الدولي على مصالح لها صلة
بثروة إقليمية ودولية فضلاً عن أمورٍ أخرى .

وبالتشكيل الكياني : فسقوط قوة بني العباس الثانية ، وقيام راية
اليمني ، وخروج خراسان من أزمته الداخلية التي تطرأ بسبب هجمة دولية
إقليمية عنيفة ، كلها تُشكّل عامل قوة لأهل الإنتظار ، خاصة أن قوة بني
العباس المجاورة لخراسان تنشط قوتين تتقاتلان على السلطان ما يُؤدّي إلى
ضعفها الشديد^{٢٧٧} ، فيما الدولة الحجازية تتعرّض لأزمة عنيفة يسقط على
أثرها الهيكل الأمني الذي يحكم البلاد . فيما طبيعة الأحداث تشير إلى
بداية أزمة أمنية تكبر وتشدّ حتى تطل قوة الحجاز فتنهكها بشكلٍ مثير ،
وفي رواية أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال :

« إنَّ من علامات الفرغ حدثاً يكون بين الحرمين ، قلت : وأي شيء
يكون الحدث ؟ فقال : عصبيةٌ تكون بين الحرمين ، ويقتلُ فلانٌ من ولدِ
فلان خمسة عشر كبشاً »^{٢٧٨} ،

وكأنه خلافٌ بين بيتٍ حاكم أو بين ثقلين وازنين هناك ، وعلى
الأثر ، تتفاعل الأحداث ، فتسقط دولة الحجاز على عتبة خلافات عنيفة بين
فريقين يتصارعان هناك .

^{٢٧٧} وفي رواية بكر بن حرب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لا يكون فساد ملك بني فلان حتى يختلف سيفاً بني فلان ،
فإذا اختلفا كان عند ذلك فساد ملكهم » [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٧ - ٤٤٨]

^{٢٧٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٨

وهذا يعني أنّ « ميزان القوّة » الذي يُشكّل معادلة المنطقة يتعرّض للكسر أمام شكلٍ جديدٍ من الخصومة الشديدة بين المركز الخراساني وكل حلفاءه من جهة وجملة من الكيانات العربيّة المرتبطة بقوى عالميّة مركزيّة مثل الروم وغيرها من جهة أخرى .

وبين هذه وتلك يتعرّض المنتظرون في الأطراف لجُهدٍ شديد ، منه محنة الدم ، كما يحصل مع أتباع أهل البيت في العراق ، ففي رواية رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لا يذهب ملك هؤلاء حتى يستعرضوا النَّاسَ بالكوفة يوم الجمعة ، لكأنِّي أنظر إلى رؤوس تندر فيما بين المسجد وأصحاب الصابون »^{٢٧٩} ، يريد بذلك الإشارة إلى طغيان البرامج الأمنيّة الهائلة التي تتبّعها الدولة العباسيّة الثانية اتّجاه الشيعة المنتظرين في العراق^{٢٨٠} .

وتؤكّد الأخبار أنّ الفرج يكون على أثر مسارات حربيّة زاحفة وعنيدة ، وأنّ الخصومة العميقة بين مركزي : خراسان والطرف العربي والإقليمي النازل على علاقات تبعية هائلة مع الروم تصل إلى حدّ الانفجار

^{٢٧٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٨

^{٢٨٠} وفي رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : « يقوم القائم عليه السلام في وتر من السنين تسع ، واحدة ، ثلاث ، خمس ، وقال : إذا اختلف بنو أمية وذهب ملكهم ، ثم يملك بنو العباس ، فلا يزالون في عنفوان من الملك وخصارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم ، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم واختلف أهل المشرق وأهل المغرب . نعم ، وأهل القبلة ويلقى الناس جهداً شديداً مما يمر بهم من الخوف ، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء ، فإذا نادى فالنفيّر النفيّر ، فوالله لكأنِّي أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد ، وكتاب جديد ، وسلطان جديد من السماء ، أما إنه لا يرد له راية أبداً حتى يموت » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٧٠] .

في لحظةٍ مضغوطةٍ جداً ، وهذا يعني أنّ المنتظرين يتعرّضون في تلك اللحظات لمشاريعٍ دوليّةٍ وإقليميّةٍ كبيرةٍ ، منها خصوماتٌ مذهبيّةٌ عنيفةٌ ، وفي لحظةٍ متشابكةٍ يعانون ويبدلون أثماناً كبيرةً للدفاع والذود عن خياراتهم الولائيّة الدينيّة وسط نوعٍ من بلاءٍ هائلٍ^{٢٨١} .

^{٢٨١} وفي رواية جابر بن يزيد الجعفي قال : قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : يا جابر .. علامات : أولها اختلاف بني العباس ، وما أراك تُدرك ذلك ، ولكن حدثت به من بعدي عني ، ومناد ينادي من السماء ، ويجيئك صوت من ناحية دمشق بالفتح ، وتُخسف قريةً من قرى الشام تسمّى الجابية ، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن ، ومارقة تمرق من ناحية الترك ، ويعقبها هرج الروم ، وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة ، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة ، فتلك السنة - يا جابر - فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب ، فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات : راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفيناني ، فيلتقي السفيناني بالأبقع فيقتلون فيقتله السفيناني ومن تبعه ، ثم يقتل الأصهب ، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق ، ويمر جيشه بقرقيسياء ، فيقتلون بها فيقتل بها من الجبارين مائة ألف ، ويبعث السفيناني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً ، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً ، فيبناهم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طياً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم ، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفيناني بين الحيرة والكوفة ، ويبعث السفيناني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكّة ، فيبلغ أمير جيش السفيناني أن المهدي قد خرج إلى مكّة ، فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام وقال : فينزل أمير جيش السفيناني البيداء فينادي مناد من السماء : يا بيداء ، بيدي القوم ، فيخسف بهم ، فلا يغلت منهم إلا ثلاثة نفر ، يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب وفيهم نزلت هذه الآية : (يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نظمس وجوهاً فردها على أديارها) . قال : والقائم يومئذ بمكة ، قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به ، فينادي : يا أيها الناس ، إنا نتصر الله فمن أجابنا من الناس فإننا أهل بيت نبيكم محمد عليه السلام ، ونحن أولى الناس بالله وبمحمد عليه السلام فمن حاجني في آدم عليه السلام فإننا أولى الناس بآدم ، ومن حاجني في نوح عليه السلام فإننا أولى الناس بنوح ، ومن حاجني في إبراهيم عليه السلام فإننا أولى الناس بإبراهيم ، ومن حاجني في محمد عليه السلام فإننا أولى الناس بمحمد عليه السلام ، ومن حاجني في النبيين عليهم السلام فإننا أولى الناس بالنبيين ، أليس الله يقول في محكم كتابه : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وإبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) ؟ فإننا بقيّة من آدم ، وذخيرة من نوح ، ومصطفى من إبراهيم ، وصفوة من محمد عليه السلام . ألا فمن حاجني في كتاب الله فإننا أولى الناس بكتاب الله ، ألا ومن حاجني في سنة رسول الله فإننا أولى الناس بسنة رسول الله عليه السلام ، فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لما أبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأسألكم بحق الله وبحق رسوله وبحقي ، فإن لي عليكم حق القربى من رسول الله إلا أعتمونا ومنعتمونا ممن

على أن لسان المتون صريحٌ في انفجارات وفوضى حربيّة زاحفة
تطال هذه المنطقة . ففي رواية الحسن بن الجهم قال : سألت الرجل أبا
الحسن عليه السلام عن الفرج ، فقال : ما تريد ، الاكثر أو أجمل لك ؟ فقال :
أريد تجمله لي . فقال عليه السلام : إذا تحركت رايات قيس بمصر ورايات كندة
بخراسان ^{٢٨٢} ،

ما يعني أن زحف القوى يشكّل مركز الظاهرة الجديدة ، بداءً من
المغرب العربي مروراً باليمن ، وصولاً إل خراسان ، وسط خصومةٍ ملتهبة
بين المعسكرين . وضمن هذا الشريط الأمني القائم على فوهة مخاطر عنيفة
يعاني أهل هذه المنطقة من أزماتٍ معيشيّة ، على أن الحالة المتعاضمة منها
تكون قبيل ظهور المهدي عليه السلام بقليل ، ويبدو من لسان الأخبار أن
المنتظرين يعانون منها كما غيرهم وإن بتفاوت ، وذلك لأسبابٍ تتعلّق
بالأزمة الأمنية مرّةً والأزمة الطبيعيّة مرّةً أخرى ، وفي رواية أبي بصير عن
أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنَّ قَدَامَ القَائِمِ لِسُنَّةٌ غِيْدَاقَةٌ ، يَفْسِدُ التَّمْرُ فِي النَّخْلِ

يظلمنا فقد أخفنا وظلمنا وطردنا من ديارنا وأبائنا ونبيّنا علينا ودفعنا عن حقنا واقتري أهل الباطل علينا ، فالله الله فينا لا
تخذلونا وانصرونا بنصركم الله تعالى . قال : فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، ويجمعهم الله له على
غير ميعاد قرعاً كقرع الخريف ، وهي - يا جابر - الآية التي ذكرها الله في كتابه : (أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن
الله على كل شيء قدير) فيبايعونه بين الركن والمقام ، ومعه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله قد توارثته الأبناء عن الآباء ، والقائم
- يا جابر - رجلٌ من ولد الحسين يُصلح الله له أمره في ليلة ، فما أشكل على الناس من ذلك - يا جابر - فلا يشكلن
عليهم ولادته من رسول الله صلى الله عليه وآله ووراثته العلماء عالماً بعد عالم ، فإن أشكل هذا كله عليهم فإن الصوت من السماء لا
يشكل عليهم إذا نُوديَ باسمه واسم أبيه وأمه ^{٢٨٢} [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٨٩ - ٢٩١] .

^{٢٨٢} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٨ - ٤٤٩

فلا تشكُّوا في ذلك»^{٢٨٣}، وعلى الأثر: تشير أخبارُ المحنِّ إلى أنَّ السفِياني الذي يَضْحُ كُلُّ قُوَّتِهِ بِاتِّجَاهِ أَتْبَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ لِاسْتِثْصَالِهِمْ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيطِرَ عَلَى الْكُورِ الْخَمْسِ (أَيِ مَنْطِقَةِ الشَّامِ التَّارِيخِيَّةِ إِلَّا أَرْضَ الْأُبْدَالِ: لِبْنَانِ) وَذَلِكَ طِيلَةَ ٩ أَشْهُرٍ يَمْضِيهَا بِالْقَتْلِ وَالتَّنْكِيلِ وَالبَرَامِجِ الْأَمْنِيَّةِ وَمَلَا حَقَّةِ الشَّيْعَةِ. وَيَكُونُ هَذَا وَاحِدًا مِنْ مَعَانِي الْبَلَاءِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَطَالُ الْمُنْتَظَرِينَ.

كَمَا أَنَّ صَرِيحَ الْمَتُونِ يُؤَكِّدُ عِنَاءً شَدِيدًا يُصِيبُ الْعَصَائِبَ الْعِرَاقِيَّينَ وَالنَّجْبَاءَ الْمَصْرِيِّينَ مِنَ السَّفِيَانِيِّينَ، وَكَذَا أَتْبَاعَ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَكُلِّ مَكَانٍ تَصِلُهُ جِيُوشُ السَّفِيَانِيِّينَ وَحَلْفَاؤُهُ، وَعَنْ عِنَاءِ الْعَصَائِبِ يَرْوِي عُمَرُ بْنُ أَبَانَ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كَأَنِّي بِالسَّفِيَانِيِّ أَوْ لِصَاحِبِ السَّفِيَانِيِّ قَدْ طَرَحَ رِحْلَهُ فِي رِحْبَتِكُمْ بِالْكُوفَةِ، فَنَادَى مَنَادِيَهُ: مَنْ جَاءَ بِرَأْسِ رَجُلٍ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيِّ بْنِ فُلَّةٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَيُثْبِتُ الْجَارُ عَلَى جَارِهِ يَقُولُ: هَذَا مِنْهُمْ، فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ وَيَأْخُذُ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّ إِمَارَتَكُمْ يَوْمئِذٍ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَوْلَادِ الْبَغَايَا، وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى صَاحِبِ «الْبَرْقِعِ»، قُلْتُ: وَمَنْ صَاحِبُ الْبَرْقِعِ؟ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُ بِقَوْلِكُمْ يَلْبَسُ الْبَرْقِعَ فَيَحُوشِكُمْ فَيَعْرِفُكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَهُ، فَيَغْمِزُ بِكُمْ رَجُلًا رَجُلًا، أَمَا

^{٢٨٣} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٩ * وربما يؤيد هذا المعنى من أزمة الطبيعة ما رواه جعفر بن سعيد الأسدي عن أبيه عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: عام أو سنة الفتح ينشقُّ الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة « [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥١].

إنَّه لا يكون إلا ابن بغي»^{٢٨٤}. وهذا يحكي لنا قصة السعة الكبيرة التي
تصلها يدُ السفيناني .

فيما الأبدال يستطيعون الصبر والثبات ، لكن يبذلون جهداً هائلاً
للصمود بوجهِ قوَّة السفيناني الكبيرة التي تسيطر على الكور الخمس إلا
بلدهم (لبنان) ، وفي رواية محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله
عليه السلام يقول : « إنَّ السفيناني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل
امرأة »^{٢٨٥} ، ثمَّ تدلُّنا الأخبار على ثبات الأبدال وعجز السفيناني عن سحقهم
أو احتلال بلادهم وقد شرحت هذا الموضوع بالتفصيل الروائي في كتابنا :
رايات أهل الولاية في عصر الغيبة .

كلُّ ذلك يشير إلى لسان البلاء الوارد في المتون ، وهو ظاهر جداً
في العناء الذي يطال المنتظرين زمن الغيبة في فترات مختلفة .

ويبدو أنَّ مراحل البلاء التي تطال المنتظرين في أوقاتٍ مختلفة
تصل بعض الأحيان إلى مرحلةٍ وصفتها النصوص بخارط القتاد ، ففي راية
هانئ التمار قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة ،
التمسكُ فيها بدينه كالخارط للقتاد بيديه . فأأيُّكم يمسك شوك القتاد
بيده ؟؟؟!!! ثمَّ قال عليه السلام : إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبةً فليتنق الله عبداً

^{٢٨٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٠

^{٢٨٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٤٩ - ٤٥٠

وليتمسك بدينه»^{٢٨٦}، إشارة منه ﷺ إلى عظيم البلاء وضرورة الصبر على أمر الله تعالى، فمن صبر كان من المنتظرين التي تكاثرت الأخبار في وصفهم بالمنازل الرفيعة في الصحيفة الإلهية.

ومعنى ذلك - كما في صريح المتون - أن المطلوب من المنتظرين زمن الغيبة أن يثبتوا على أمر الله تعالى وأن يؤاؤوا أولياء الله ويُعادوا أعداء الله، وأن ينزلوا على أمر الإسلام في كل صغيرة وكبيرة، وفي رواية رفاة بن موسى ومعاوية بن وهب، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

« طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يتولّى وليه ويتبرأ من عدوه، ويتولّى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوور ودّي ومودّتي، وأكرم أمّتي عليّ، وأكرم خلق الله عليّ»^{٢٨٧}.

هذه صفة المنتظرين في آخر الزمان،

صفة شرطها النبيُّ بالتزام الإسلام والنزول على ولاية الثقلين وموالاته أولياء الله ومعاداة أعداء الله، واتخاذ الإسلام شريعتهم في شتى شؤونهم الفردية والجماعية، بكل ما يستطيعونه. فمن نزل على هذا الشرط كان أخاً لرسول الله، وكان من أهل كرامة الله، وكان أكرم أمّة النبي عليّ النبي ﷺ بل أكرم خلق الله عليّ النبي ﷺ. وفي رواية عبد الله بن سنان

^{٢٨٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٥ [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٤٦ - ٣٤٧].

^{٢٨٧} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٦

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « سيأتي قومٌ من بعدكم ، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم . قالوا : يا رسول الله نحن كُنَّا معك بيدٍ وأحدٍ وحنين ، ونزل فينا القرآن ؟؟؟!! فقال صلى الله عليه وآله : إنكم لو تحملون لِمَا حَمَلُوا لَمْ تصبروا صبرهم »^{٢٨٨} ، إشارةً منه صلى الله عليه وآله إلى محنة الإنتظار وجليل ما يقع فيها ومجموع البلاء الذي يطال أهل الإنتظار فيصبرون ويثبتون فينزلون على هذا الوصف الأعظم ..

ثمَّ توكَّد الروايات أنَّ المنتظرين يعيشون في زمنٍ يسيطر عليه أشرار الناس وسط أكبر الدعايات التضليلية وأكبر المحفزات الغريزية وأكبر المشاريع التي تعمل على استئصال الإسلام المحمَّدي وتشويهه ومنعه وتعجيزه ، وفي رواية المفضل بن عمر الجعفي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :

« أقرب ما يكون العباد من الله وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجَّة الله فلم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه ، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجَّة الله ولا ميثاقه ، فعندها توقعوا الفرج صباحاً ومساءً ، فإنَّ أشدَّ ما يكون غضبُ الله على أعدائه إذا افتقدوا حجَّتهُ ، فلم يظهر لهم . وقد علم أنَّ أولياءه لا يرتابون ، ولو علم أنَّهم يرتابون ما غيَّب عنهم حجَّته طرفة عينٍ ، ولا يكون ذلك إلا على رأس أشرار النَّاس »^{٢٨٩} .

^{٢٨٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٦ - ٤٥٧

^{٢٨٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٧

إذاً: النص يؤكد أنّ أهل الغيبة ثابتون على الدين ، قابضون على الحجّة ، متملّكون من البرهان ، نازلون على أمر الله تعالى ، متبعون لشريعته ، موالون للثقلين : القرآن وأهل البيت ، كل ذلك وسط حكومات عالميّة ومؤسسات أهليّة تعتمد الزندقة والجحود والأباطيل والغرائز عنواناً لمشاريعها وثقافتها ومعاييرها وتقاليدها وتقاليدها شعوبها ، النص يقول هؤلاء المنتظرون على هذا الشرط في الاعتقاد والسلوك هم أرضى ما يكون عنهم الله تعالى ، ولهذا المعنى تشهد أخبار كثيرة ، منها ما رواه أبو بصير قال : قال الصادق عليه السلام :

« يا أبا بصير ، طوبى لشيعه قائمنا ، المنتظرين لظهوره في غيبته ، والمطيعين له في ظهوره ، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »^{٢٩٠} .

وقد بيّنا أنّ هذا النحو من الثناء المعظم مأخوذ فيه قيام هؤلاء المنتظرين على أمر الله تعالى وسط محن وبلايا واختبارات حادّة ومتفاقمة . أي شرط هذا المدح أن تقوم تلك الأمة من الناس على الإستقامة الموسومة بلزوم الثقلين اللذين أعلنهما رسول الله صلى الله عليه وآله بالخبر المتواتر حجّة الله تعالى إلى قيام الساعة . وفي رواية أبي بصير قال : قال الصادق عليه السلام : « طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية »^{٢٩١} ،^{٢٩٢}

^{٢٩٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٧

^{٢٩١} قال : فقلت له جعلت فداك وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة أصلها في دار علي بن أبي طالب عليه السلام وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها ، وذلك قول الله عز وجل ، طوبى لهم وحسن مآب .

ثمّ في بعض الأخبار حين يسأله أحدهم عن الفرج وقيام دولة آل محمد^{٢٩٣} ، أي سلطان المهدي عليه السلام ، يجيبهم بألفاظٍ تختزن شدّة المحنة التي تطال المنتظرين زمن الغيبة ، ففي رواية خالد العاقولي عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« فما تمدون أعينكم ؟!!؟ فما تستعجلون ؟!!؟ أستم آمنين ؟!!؟
 ليس الرجل منكم يخرج من بيته فيقضي حوائجه ثم يرجع لم يختطف ؟
 إن كان من قبلكم من هو على ما أنتم عليه ليؤخذ الرجل منهم فتقطع يداؤه ورجلاه ويصلب على جذوع النخل وينشر بالمنشار ، ثم لا يعدو ذنب نفسه . ثم تلا هذه الآية ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ

^{٢٩٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٨

^{٢٩٣} وفي رواية عمار بن ياسر قال : « إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ، ولها إمارات ، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيئ إماراتها . فإذا استنارت عليكم الروم والترك ، وجهزت الجيوش ، ومات خليفتم الذي يجمع الأموال ، واستخلف بعده رجل صحيح ، فيخلع بعد سنين من بيعته ، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ ويتخالف الترك والروم ، وتكثر الحروب في الأرض ، وينادي مناد من سور دمشق : ويل لأهل الأرض من شر قد اقترب ، ويخسف بغربي مسجدها حتى يخر حائطها ، ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك ، رجل أبقع ، ورجل أصهب ، ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج في كلب ، ويحضر الناس بدمشق ، ويخرج أهل الغرب إلى مصر . فإذا دخلوا فتلك إمارة السفيناني ، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليه السلام ، وتترن الترك الحيرة ، وتنزل الروم فلسطين ، ويسبق عبد الله عبد الله حتى يلتقي جنودهما بفرقيسياء على النهر ، ويكون قتال عظيم ، ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة السفيناني ، فيسبق اليماني فيقتل ، ويحوز السفيناني ما جمعوا . ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد عليه السلام ويقتل رجلا من مسميهم . ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح ، وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فألحقوا بمكة ، فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة ، فينادي مناد من السماء : أيها الناس إن أميركم فلان ، وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا » [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٣ - ٤٦٤] .

آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤/٢﴾^{٢٩٤} ، وقد ختم ذيل الخبر بعباراتٍ تؤكد طابع الصعوبة والبلاء المتفاقم الذي يقع في آخر الزمن ويطال أهل الانتظار بأشكالٍ من البأساء والضراء وما إلى ذلك من عناوين المحن التي يعجُّ بها عالم أشرار خلق الله كما في تسمية الروايات لطواغيت ومشاريع والأمم المنحرفة في زمن الغيبة .

ولأنَّ زمن الغيبة صعبٌ مستصعب ، ولأنَّ الصابِرَ على شرطِ الله تعالى في آخر الزمان هو المنتظر ، ولأنَّ النازل على شرط الثقلين في اعتقاده وسلوكه هو من أولئك الذين قال النبيُّ عنهم أنَّهم أكرمُ أمته عليه ، فقد تكثفت الأخبار التي تدعوهم إلى انتظار الفرج ، فمن مات منهم على هذا الانتظار فقد نال ثواب الفرج ومعناه ، ففي رواية الحسن بن الجهم قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيءٍ من الفرج ، فقال عليه السلام : أو لست تعلم أنَّ انتظار الفرج من الفرج ؟؟! قلت : لا أدري إلا أن تعلمني . فقال عليه السلام : نعم ، انتظر الفرج من الفرج »^{٢٩٥} ،

وعلى الأثر ، دعت الروايات المنتظرين إلى الثبات على دين أئمتهم ، فمن نزل على هذا المعنى وفق الثقلين : الكتاب والعترة ، فقد أطاع الله أعظم الطاعة في آخر الزمان .

^{٢٩٤} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٨

^{٢٩٥} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٩

بتعبير آخر : يريد المعصوم أن يُقرَّر على أهل الإنتظار تمسُّكهم بالمهدي ومعرفته ومعرفة ما يُرضيه ، وهو أنَّ كلَّ ما يُرضي الله يُرضيه ، وأنَّ النزول على ولاية الثقلين هو شرطه ، فمن فعل ذلك وانتظرَ على هذا المعنى في اعتقاده وسلوكه ، فمات عليه ، كان كالمجاهد القائم في فسطاط المهدي عليه السلام ، وفي رواية ثعلبة بن ميمون قال : « أعرف إمامك ، فإنك إذا عرفته لم يضرَّك تقدّم هذا الأمر أو تأخّر ، ومن عرف إمامه ثمَّ مات قبل أن يرى هذا الأمر ثمَّ خرج القائم عليه السلام كان له من الأجر كمن كان مع القائم في فسطاطه » ^{٢٩٦} ،

وفي هذا المعنى روى عبد الله بن عجلان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « مَنْ عرف هذا الأمر ثمَّ مات قبل أن يقوم القائم عليه السلام كان له مثل أجر مَنْ قُتِل معه » ^{٢٩٧} ،

وفي هذا المعنى كثيرٌ من المتون التي تؤكد ضرورة النزول المعرفي على أمر الله وأمر أوليائه ، فضلاً عن الإلتزام المسلكي ، فإذا تمَّ هذا الإعتقادُ وذلك السلوك فقد تمَّ شرطُ المنتظرين .

ثمَّ تأخذنا الأخبار إلى عنوانٍ آخر من البلاء ، وهو الصبر على طاعة المهدي عليه السلام ، فالروايات تؤكد أنَّ فترة ظهور المهدي عليه السلام تخالطها

^{٢٩٦} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٥٩

^{٢٩٧} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٠ وفي رواية جميل بن دراج عن زرارة عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : حقيقٌ على الله أن يدخل الضلال الجنة . فقال زرارة : كيف ذلك جعلت فداك ؟ . قال : يموت الناطق ولا ينطق الصامت ، فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة « [الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٠ - ٤٦١] .

حروبٌ وملاحمٌ ومحنٌ هائلة ، تحتاجُ إلى صبرٍ وأناةٍ وغلظةٍ في الموقف والالتزام ، ففي رواية أبي بصير قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : « ما تستعجلون بخروج القائم ؟؟ فوالله ما لباسُهُ إلا الغليظ ، وما طعامُهُ إلا الشعير الجشب ، وما هو إلا السيف ، والموت تحت ظلِّ السيف »^{٢٩٨} إشارة منه عليه السلام إلى ما يقع منذ لحظة الظهور من حروبٍ وملاحمٍ وبلاءٍ عظيم ، وصولاً إلى بسط يدِ العدل على طول الأرض وعرضها .

مع الإشارة إلى أنَّ بعض المتون يُقصدُ منها زمنٌ خاصٌ يكون فيه أهلُ الإنتظار قلةً ، أو دون شوكة ، أو مقموعين من سلطةٍ أمّنيةٍ عنيفة ، فهؤلاء يُعانون من شدّةٍ ممّا يقع عليهم ، وفي رواية أبي الطفيل قال : سمعتُ علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : « .. أظلتكم فتنة مظلمة عمياء منكشفة لا ينجو منها إلا النومة . قيل : يا أبا الحسن وما النومة ؟ قال : الذي لا يعرف الناس ما في نفسه »^{٢٩٩} .

فهذا يشيرُ إلى سطوةٍ طواغيت يُرادُ منها استئصال من يُعرفُ بولاءِهِ واتباعِهِ لآلِ محمّد .

ويقابل هذه المتون الأخبار التي تؤكدُ قوّةً وشوكةً أتباعِ آلِ محمّد في أوقاتٍ مختلفة ، منها الأوقات التي تستمرُّ حتى يقومَ المهديُّ عليه السلام ، ويكون آنذاك مركزُ التشيع ومركز القوّة العابرة نحو الشرق الأوسط في

^{٢٩٨} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٠

^{٢٩٩} الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٦٥

خراسان ، ومع ذلك تقع معاناة بأوجهٍ مختلفة على أهل الإنتظار بسبب الأحلاف الدوليَّة والإقليمِيَّة التي تعمل بكلِّ طاقتها لاستئصال دولة خراسان وباقي الفروع في الشرق الأوسط التي تنادي بالولاء لآل محمَّد ﷺ ، فتثبت هذه الرايات ويتعاضم أمرها ، بل تخبرنا المتون أنَّ دولة خراسان تُوطئ للمهديِّ سلطانه ، ما يعني أنَّها تكون على نحوٍ من قوَّة وتماسك وثبات ونفوذٍ كبير رغم ما يعاني منه أهلُ الإنتظار في ذلك الزمن الرديئ .

بل نقرأ في المنقولات دعوةً مكرَّرة من الأئمَّة ﷺ للشيعَة في آخر الزمان أن اثبتوا ، أن حَقَّقوا شرطَ الله ، أن أتمُّوا العهدَ وفق ولاية الثقلين ، ثمَّ تشير إلى نوعين : نوع يثبت ويُقيم أمرَ الله ، ويستمرُّ حتى يشكِّل مركز قوَّة عابر في الشرق الأوسط ، إلى درجة أنَّ خراسان توطئ للمهديِّ سلطانه ، فيما آخرون يخسرون الإمتحان ويفشلون في البلاء فتدفعهم الفتن نحو الفشل ، فلا يبقى إلا مَنْ امتحنَ اللهُ نفسه وثبتَ بقلبه وقالبه على حقيقة الدِّين وأمره .

وفي هذه المتون يشيرُ المعصوم ﷺ إلى موتِ الأرض بالضلالِ والفساد ، وأنَّ موعدَ الله لإحياءها يكونُ بالعدل الأكبر مقرونًا بقيام قائم آل محمَّد ﷺ ، فإذا غطَّ الضلالُ الأرض ، وعمَّ الفساد ، وحكم الأباطرة ، ونال الظلمةُ مرداهم في الإفساد ، شمل البلاءُ الأرضَ ، وكثرت المحن ، وتنوعت الهموم التي تطال أهل الغيبة جرَّاءَ هذا الإنحراف الخطير ، فمنهم مَنْ يثبت ويتعاضم بثوته ، وهؤلاء الذين يُوطئون للمهديِّ سلطانه ، ومن

يفشل يسقط في شرك الفساد والأباطيل والغرائز . ففي رواية أحمد بن الحسن الميثمي ، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : « نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦/٥٧) في أهل زمان الغيبة ، ثم قال عز وجل : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧/٥٧) وقال عليه السلام : إنما الأمد أمد الغيبة ، فإنه أراد عز وجل : يا أمة محمد ، أو يا معشر الشيعة ، لا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد . فتأويل هذه الآية جاء في أهل زمان الغيبة وأيامها دون غيرهم من أهل الأزمنة ، وإن الله تعالى نهى الشيعة عن الشك في حجة الله تعالى ، أو أن يظنوا أن الله تعالى يخلي أرضه منها طرفة عين ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه لكميل بن زياد : بلى اللهم لا تخلو الأرض من حجة الله إماماً ظاهر معلوم ، أو خائف مغمور ، لئلا تبطل حُجج الله وبيئاته ، وخذرهم من أن يشكوا أو يرتابوا فيطول عليهم الأمد فتفسوا قلوبهم . ثم قال عليه السلام : ألا تسمع قوله تعالى في الآية التالية لهذه الآية : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧/٥٧) أي يحييها الله بعدد القائم عليه السلام عند ظهوره بعد موتها بجور أئمة الضلال^{٣٠٠} .

^{٣٠٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣١ - ٣٢ * وفي رواية جابر قال حدثني من رأى المسيب بن نجبة قال : وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومعه رجل يقال له ابن السوداء فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يكذب على الله وعلى رسوله ويستشهدك . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لقد أعرض وأطول يقول ماذا ؟ فقال : يذكر جيش

فهذا المعنى الثقيل يرسم لنا حقيقة المحنة التي تطال أهل الأرض مرةً عبر الطواغيت ومشاريعهم ، ومرةً عبر طول الغيبة وصعابها . النصُّ يصف لنا موت الأرض بضلالة أهل الضلال ومشاريعهم وبرامجهم وغرائزهم وعوراتهم وإنهاكهم العقول والإستعدادات البشرية بكلِّ ما يساعدها على الغرق في عالم الفساد والضياع والشذوذ ، وسط هذا المعنى يحذّر المعصوم عليه السلام الشيعة من ذلك العالم ويدعوهم للثبات على شرط الثقلين : اعتقاداً وسلوكاً ، فإذا تمَّ أمرُ الله ، أخرج المهديَّ عليه السلام فأحيا الأرض بعدل الله بعد طول جورٍ وفساد يقوده أهل الجور والباطل .

أمّا أخبار « الأندر فالأندر » مثل رواية صفوان بن يحيى قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : « والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تُمَحَّصُوا وتُمَيَّزُوا ، وحتى لا يبقى منكم إلا الأندر فالأندر »^{٣٠١} ، يبدو أنها ناظرةً إلى فترات محدّدة ، على اعتبار أنّ الأخبار تتفق قبيل الظهور أنّه يكون للمنتظرين قوّة وشوكة ونفوذ ظاهر ، وأنّ خراسان تُشكّل مركزَ المنتظرين الذين يتصدّرون المنطقة بنفوذهم القوي ، ويكون منهم الأبدال والعصائب والنجباء وما إلى ذلك من مراكز انتشار إيطارية أو تكتلية ، وفي تقييم النعماني لروايات « الأندر فالأندر » قال : « وهذه العصابة التي تبقى

الغضب . فقال : خلّ سبيل الرجل ، أولئك قومٌ يأتون في آخر الزمان قزع كقزع الخريف ، والرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة حتى يبلغ تسعة ، أما والله ، إني لأعرف أميرهم واسمه ومناخ ركابهم ، ثم نهض وهو يقول : باقراً باقراً باقراً ، ثم قال : ذلك رجل من ذريتي يقرّ الحديث بقرأً [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٢٥ - ٣٢٦] .

^{٣٠١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٦

على هذا الأمر وتثبت وتُقيم على الحق هي التي أمرت بالصبر في حال الغيبة»^{٣٠٢}. وعلى أكثر الأحوال والظروف فإنَّ أهل الانتظار يُشكّلون قوَّةً نوعيَّةً تُعطيهم القدرة على اكتساب هذا النوع من العبور النفوذ في طول المنطقة كما تشير إلى ذلك الأخبار وتؤكد عليه .

وخلاصة الكلام في هذا الفصل أنَّ عالم الانتظار يعني إثبات المنتظرين لشرط الله في الثقلين ، والنزول على ولايتهما معرفة وعملاً والتزامات ، واعتماد كلِّ الطاقات والإمكانات وتنفيذ شتَّى المشاريع التي تفيد قيام أمر الإسلام في سعة وثباتٍ وأدوار وظيفيَّة ترعى الأمة وأهل الغيبة .

وبتعبير صريح : شرط الانتظار يعني القيام بفرائض الله تعالى ، والتزام ثقل القرآن والنبوة والإمامة شعاراً عقائدياً وسلوكياً ، وفي رواية بريد بن معاوية العجلي ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في معنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠/٣) قال : اصبروا على أداء الفرائض ، وصابروا عدوكم ، وربطوا إمامكم المنتظر»^{٣٠٣} ، ثم قال الشيخ النعماني : « وهذه العصابة

^{٣٠٢} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٤

^{٣٠٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٤ * وفي رواية فرات بن أحنف ، عن الأصمغ بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يقول : أيها الناس ، أنا أنف الإيمان ، أنا أنف الهدى وعيناه . أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلَّة من يسلكه ، إنَّ الناس اجتمعوا على مائدة قليلٍ شبعها ، كثيرٌ جوعها ، والله المستعان ، وإنما يجمع الناس الرضا والغضب . أيها الناس إنما عقر ناقة صالح واحد فأصابهم الله بعذابه بالرضا لفعله ، وآية ذلك قوله

القليلة هي التي قال أمير المؤمنين عليه السلام لها : « لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه »^{٣٠٤} وهذا بيان لأطر وبرامج وشروط الطاعة في زمن الغيبة .

إذاً : زمن الغيبة هو زمن الوحشة في كثير من عناوينه ووجوهه ، وهو زمن المحنة والبلاء وزمن حكومات الجور والضلالة والفساد والشذوذ ، لكنه بالمقابل هو زمن الحجّة الساطعة والبراهين الظاهرة ، هو زمن قوم منتظرين يعبدون الله أعظم العبادة ويكون لهم قبل الظهور نفوذ وقوة وثقل وثبات ، هو زمن أكرم أمّة النبي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله كما صرّحت بذلك الأخبار ، فافهم ، واحفظ أمرك على زمن الغيبة وشرطها ، ولا يخذلنك طول الغيبة ولا سطوة الفراعنة والجبابرة فيها ، فإنّ عمر الخضر آية الإعجاز ، وغيبة المسيح عليه السلام ما زالت حتى هذه اللحظة ولن تنتهي إلا في لحظة متأخرة من آخر الزمن ، فيما غيبة إبراهيم ويونس وموسى وإدريس وغيرها شكّلت واحدة من عناوين ما سيجري في آخر الزمن مع خليفة الله وحجّته المهدي المنتظر عليه السلام ...

عز وجل : (فنادوا أصحابهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عدائي ونذر) وقال : (فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسواها * ولا يخاف عقباها) ألا ومن سئل عن قاتلي فزعم أنه مؤمن فقد قتلتني . أيها الناس من سلك الطريق ورد الماء ، ومن حاد عنه وقع في التيه ، ثم نزل عليه السلام [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٤ - ٣٥] .

^{٣٠٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٤ *

الصبر على البلاء والإصرار على شرع الله والصبر على أمره

مَنْ يتعَبَّ الأخبار التي تشيرُ إلى آخر الزمن وما يكون عليه عصر الغيبة يجد أنها مُرَكَّزة على ضرورة احترام الشريعة وتعبئة النفوس عليها ، والصبر على البلاء في جنب الله تعالى ، وبذل الطاقات والإمكانات لتحقيق شرع الله في الذات والجماعة والثروة والمسارات .

المتون في هذا المعنى كثيرة ولها دلالة عميقة في بيان هذه المعاني وغيرها . وفي هذا المعنى يمكننا استعراض ما جاء في اللوح الذي أنزله الله تعالى على نبيه هديَّةً لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ، فهو يشيرُ إلى بعض ما يقع من بلاء وفتن وأراجيف في زمن الإنتظار ، ويؤكد طابع أولئك المتقين الذين يُطيعون الله وينزلون على أمره ويبذلون المهج في سبيله ، فينالوا بذلك أعظم معاني الإنتظار ، ولأهدية ما ورد في هذا اللوح أعرض بين يديك ، بعض البلايا التي أشار إليها الله تعالى في ذلك اللوح والتي تقع على الأئمة عليهم السلام وصولاً إلى ولي الأمر المهدي عليه السلام ، وما يقع على أتباعه زمن الغيبة ، ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « قال

أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري : إنَّ لي إليك حاجة ، فمتى يخفُّ عليك أن
أخلو بك فيها فأسألك عنها ؟ قال جابر : في أيِّ الأوقات أحببت . قال :
فخلا به أبي يوماً فقال له : يا جابر ، أخبرني عن اللوح الذي رأيته بيد فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليها ، وعمًّا أخبرتك أمِّي فاطمة عليها السلام به ممَّا في
ذلك اللوح مكتوب . فقال جابر : أشهد بأنَّ الله لا شريك له ، أني دخلتُ
على أمِّك فاطمة صلى الله عليها في حياة رسول الله صلى الله عليه فهنأتها بولادة
الحسين عليه السلام ، ورأيت في يدها لوحاً أخضر ، ظننتُ أنه من زمرد ، ورأيت
فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس ، فقلت لها : بأبي أنت وأمي ، ما هذا
اللوحة ؟ فقالت عليها السلام : هذا لوحٌ أهداهُ الله عزَّ وجلَّ إلى رسوله صلى الله عليه فيه اسمُ
أبي واسمُ بعلي واسمُ ولدي واسمُ الأوصياء من ولدي ، أعطانيه أبي صلى الله عليه
ليبشِّرني بذلك . قال جابر : فدفعتهُ إليَّ أمِّك فاطمة عليها السلام فقرأته ونسخته .
فقال له أبي عليه السلام : يا جابر ، فهل لك أن تعرضه عليَّ ؟ قال : نعم . فمشى
معه أبي عليه السلام إلى منزله فأخرج أبي صحيفة من رِقِّ ، فقال عليه السلام : يا جابر ،
انظر في كتابك حتى أقرأ أنا عليك ، فقرأه أبي ، فما خالفَ حرفه حرفاً .

ثمَّ قال جابر : فأشهدُ الله أني هكذا رأيتُ ذلك في اللوح مكتوباً :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم ، لمحمدٍ نبيِّه
ونوره وحجابه وسفيره ودليله ، نزل به الروحُ الأمين من عند ربِّ العالمين :
يا محمد ، عَظُمَ أسمائي ، واشكر نعمائي ، ولا تجحد آلائي ، إني
أنا الله لا إله إلا أنا ، قاصمُ الجبارين ، ومُديل المظلومين ، وديان يوم

الدِّينَ ، وإني أنا الله لا إله إلا أنا ، فَمَنْ رجا غير فضلي ، أو خافَ غير عدلي ، عَذْبُهُ عذاباً لا أعذبه أحداً مِنَ العالمين ، فَإِيَّايَ فاعبد ، وعليَّ فتوكَّل ، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه ، وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً ، وإني فضَّلْتُك على الأنبياء ، وفضلتُ وصيَّكَ (الإمام علي) على الأوصياء ، وأكرمتك بشبليكَ وسبطيك الحسن والحسين ، فجعلتُ الحسنَ معدنَ علمي بعد انقضاء مدَّة أبيه ، ووليتُ حسيناً معدنَ وحيي فأكرمته بالشهادة وختمتُ له بالسعادة ، فهو أفضلُ مَنْ استشهدَ فيَّ ، وأرفعُ الشهداءِ درجةً عندي ، جعلت كلمتي التامة معه ، وحقَّتي البالغة عنده ، بعترته أثيب وأعاقب . أولهم :

عليُّ سيِّدُ العابدين وزينُ أوليائي الماضين ، وابنه سميُّ جدُّه المحمود ، محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي . سيهلك المرتابون في جعفر ، الرادُّ عليه كالراد عليَّ ، حقُّ القهولُ منِّي : لأكرمَنّ مثوى جعفر ولأسرَّنهُ في أشياعِهِ وأنصاره وأوليائه ، أتاحت بعده فتنة عمياء حندس ، ألا إنَّ خيطَ فرضي لا ينقطع ، وحقَّتي لا تخفى ، وأنَّ أوليائي بالكأس الأوفى يُسقون ، أبدالُ الأرض ، ألا ومَن جَحَدَ واحداً منهم فقد جحدني نعمتي ، ومَن غيَّرَ آيةً من كتابي فقد افترى عليَّ ، ويلٌ للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدَّة عبدي موسى وحيبي وخيرتي ، إنَّ المكذِبَ به كالمكذِبِ بكلِّ أوليائي وهو وليُّي وناصري ، ومَن أضع عليه أعباءَ النبوة ، وأمتحنه بالاضطلاع بها ،

وبعدَهُ خليفتي علي بن موسى الرضا يقتله عفریت مستكبر ، يدفن
في المدينة التي بناها العبدُ الصالح ذو القرنين ، خير خلقي يُدفن إلى جنبِ
شرِّ خلقي ،

حقَّ القولُ مني لأقرنَّ عينه بابنه محمَّد ، وخليفته من بعده ، ووارثُ
علمه ، وهو معدنٌ علمي ، وموضع سرِّي ، وحجَّتِي على خلقي ..
وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري ، والشاهد في خلقي ،
وأمني على وحيي ،

أخرجَ منه الداعي إلى سبيلي ، والخازن لعلمي الحسن ،
ثمَّ أكمل ذلك بابنه (المهدي) رحمةً للعالمين ، عليه كمالُ
موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيوب ،

يُستذلُّ أوليائي في زمانه ، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس
الديلم والترك ، فيقتلون ويحرقون ، ويكونون خائفين وجلين مرعوبين ،
تصبغ الأرض من دمائهم ، ويفشو الويل والرنة في نساءهم ، أولئك أوليائي
حقاً ، وحقُّ عليٍّ أن أرفع عنهم كلَّ عمياء حنّس ، وبهم أكشف الزلازل ،
وأرفع عنهم الآصار والأغلال : (أولئك عليهم صلوات من ربِّهم ورحمة
وأولئك هم المهتدون) .

ثمَّ قال أبو بصير لأصحابه : لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث
الواحد لكفاك ، فصنّه إلا عن أهله «^{٣٠٥} .

^{٣٠٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٦٩ - ٧٢

والحاصل من هذا المتن الشريف أنّ أهل البيت عليهم السلام الذين رفعهم الله تعالى فوق أعناق الخلائق ، سيلاقون من أمة النبي صلى الله عليه وآله عذاباً وتنكيلاً وتشريداً وعزلةً هائلةً ، فإذا وصل الأمر إلى المهدي عليه السلام وغاب الغيبة الثانية ، وقع على أتباعه عظيمُ البلاءِ وعاصفاتُ الفتن .

ثمّ في هذا السفر الجليل يُؤكّد الله تعالى أنّ حُججه لا تنقطع ، وشرعه واجبُ الإحترام ، وأنّ خطاب الطاعة يظلُّ قائماً حتى قيام الساعة . وأنّه رغم الشدّة والمحنة والبلاء الذي يقع على أتباعه فإنّهم يظلّون على أمر الله تعالى ، يلتزمون الشرع ، ويضحّون في هذا السبيل تضحيةً تشرُّ إلى عظيمِ اعتقادهم وكبيرِ إيمانهم .

فمّن صبرَ على أمر الله ، ونزل على ولاية الثقلين ، ولم يستبدل شرعَ الله بغيره ، وأتمّ الإعتقاد والعمل وفق ضابطة الإسلام في الذات والأسرة والثروة والجماعة والإجماع ، بالشأنين الخاص والعام ، فقد أحسنَ الإنتظار ، وشمله قولُ الله عزَّ وجل في لوح فاطمة : « أولئك أوليائي حقاً ، وحقُّ عليّ أن أرفع عنهم كلَّ عمياء حندس ، وبهم أكشف الزلازل ، وأرفع عنهم الآصار والأغلال : ﴿ أولئك عليهم صلواتٌ من ربّهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون ﴾ (١٥٧/٢) » . وهذه صفةٌ جليسةٌ مذهلةٌ بحقّ المنتظرين ، ودليلٌ ألمعيٌّ على رفعتهم ، وتأكيدٌ صريحٌ على موقفهم واعتقادهم وثباتهم وانقيادهم للشرعة والنزول على شرطها في المعارف والمواقف والسلوك .

كما أننا نجد في طرف الأخبار كشفاً لما يقع على المنتظرين من شدة وبليّة وقسوة وفضائع تطالهم بأوقاتٍ مختلفةٍ وأشكالٍ متنوّعة في كلّ زمان . ثمّ تؤكّد علينا أنّ أهل الإنتظار يحملون ثقل الإمامة ويحسّنون الإنتماء إليها ، رغم المعاناة الشديدة التي يلاقونها جرّاء انتسابهم إلى أهل البيت عليهم السلام ، فأهل هذا البيت مُعذّبون مُشرّدون ، معزّولون ، منذ اللحظة التي تُوفّي فيها جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله .

وبين يدي رواية شديدة الأهميّة تربط ثقل العناء الذي يقع في زمن الإنتظار بما ينال هذا البيت الرباني من معاداة وبغيضةٍ وجحود تقوذه الأمة التي تنقلب على عقبها ، ففي رواية عمرو بن سعد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال يوماً لحذيفة بن اليمان :

« يا حذيفة ، إنّ من العلم صعباً شديداً محمّله ، لو حمّلتَهُ الجبالُ عجزت عن حمّله ، إنّ علمنا أهل البيت سينكر ويُبطل وتُقتل رواؤه ويُسَاء إلى من يتلوه بغياً وحسداً لما فضّل الله به عترة الوصيِّ وصيِّ النبيّ صلّى الله عليه وآله ،

يا بن اليمان : إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله تفلّ في فمي ، وأمرّ يده على صدري وقال : اللهمّ أعط خليفتي ووصيّي ، وقاضي ديني ، ومُنجز وعدي وأمانتي ، ووليّي وناصري على عدوك وعدوي ، ومفرّج الكرب عن وجهي ما أعطيت آدم من العلم ، وما أعطيت نوحاً من الحلم ، وإبراهيم من العترة الطيبة والسماحة ، وما أعطيت أيّوب من الصبر عند البلاء ، وما أعطيت داود من الشدة عند منازل الأقران ، وما أعطيت سليمان من الفهم ، اللهمّ لا

تخف عن عليّ شيئاً من الدنيا حتى تجعلها كلّها بين عينيه مثل المائدة الصغيرة بين يديه ، اللهم أعطه جلادة موسى ، واجعل في نسله شبيهة عيسى عليه السلام (أي المهدي عليه السلام) ، اللهم إنك خليفتي عليه وعلى عترته وذريته الطيبة المطهرة التي أذهبت عنها الرجس والنّجس ، وصرفت عنها ملامسة الشياطين ، اللهم إن بغت قريش عليه وقدمت غيره عليه فاجعله بمنزلة هارون من موسى إذ غاب عنه موسى عليه السلام .

ثمّ قال لي : يا علي ، كم في ولدك من ولد فاضل يُقتل والناس قيام ينظرون لا يُغيّرون !!!! فقُبِحَت أمة ترى أولاد نبيّها يُقتلون ظلماً وهم لا يُغيّرون !!!! إنّ القاتل والأمر والشاهد الذي لا يُغيّر كلّهم في الإثم واللّعان سواء مشتركون ،

ثمّ قال عليه السلام : يا بن اليمان : إنّ قريشاً لا تشرح صدورها ، ولا ترضى قلوبها ، ولا تجري ألسنتها ، ببيعة عليّ ومواليته إلا على الكره والعمى والصغار ،

يا بن اليمان : ستبايع قريشاً عليّاً ، ثم تنكث عليه وتحاربهُ وتناضله وترميه بالعظام ، وبعد عليّ يلي الحسنُ وسينكثُ عليه ، ثم يلي الحسينُ فتقتله أمةُ جدّه ، فلعنّت أمةً تقتلُ ابن بنت نبيّها ، ولا تُعزُّ من أمة ، ولعنّ القائدُ لها والمرتب لفاسقها .

فوالذي نفسُ عليّ بيده : لا تزالُ هذه الأمةُ بعد قتل الحسين ابني في ضلالٍ وظلمةٍ وعسفٍ وجورٍ واختلافٍ في الدّين ، وتغيير وتبديل لما أنزل

الله في كتابه ، وإظهار البدع ، وإبطال السنن ، واختلال وقياس مشتبهات وترك محكمات حتى تنسلخ من الإسلام وتدخل في العمى والتلدد والتسكع .

ثم قال عليه السلام : ما لك يا بني أمية !!! لا هديت يا بني أمية ، وما لك يا بني العباس !!! لك الأتعاس ، فما في بني أمية إلا ظالم ، ولا في بني العباس إلا معتد متمرّد على الله بالمعاصي ، قتال لولدي ، هتاك لستري وحرمتي ^{٣٠٦} ،

ثم على الفور أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى المهدي عليه السلام وما يقع على أهل الإنتظار في زمنه فقال :

فلا تزال هذه الأمة جبارين يتكالبون على حرام الدنيا ، منغمسين في بحار الهلكات وفي أودية الدماء ، حتى إذا غاب « المتغيّب من ولدي » (يعني المهدي عليه السلام) عن عيون الناس ، وماج الناس بفقدوه أو بقتله أو بموته (يروّجون ذلك) ، أطلعت الفتنة ، ونزلت البلية ، والتحمت العصبية ، وغلا الناس في دينهم ، وأجمعوا على أنّ الحجّة ذاهبة ، والإمامة باطلة ، ويحجّ حجيج الناس في تلك السنة من شيعة عليّ ونواصبه للتحسّس والتجسّس عن خلق الخلف عليه السلام ، فلا يرى له أثر ، ولا يُعرف له خبر ، ولا خلف ، فعند ذلك سبّت شيعة عليّ ، سبّها أعداؤها ، وظهرت عليها الأشرارُ والفساقُ باحتجاجها ،

^{٣٠٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٤٤ - ١٤٧

حتى إذا بقيت الأمة « حيارى » ، وتدلّهت وأكثرت في قولها إنّ
 الحجة هالكة والإمامة باطلة ، فوربّ عليّ إنّ حجّتها عليها قائمة ماشية في
 طُرُقها ، داخله في دُورها وقصورها ، جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها ،
 تسمع الكلام ، وتسلم عن الجماعة ، ترى ولا تُرى ، إلى الوقت والوعد ،
 ونداء المنادي من السماء : ألا ذلك يومٌ فيه سرورٌ وولدٌ عليّ وشيعته »^{٣٠٧} .

والحاصل أنّ الخبر يُؤكّد طابع العناء الفظيع الذي يطال أهل
 البيت عليهم السلام منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما يقع في هذه الأمة من قتل
 وإهلاك لأهل البيت عليهم السلام ومحاولات هائلة لعزل الرواية عنهم وطمس
 أخبارهم ومنع فضائلهم وقطع ألسن وأعناق من يفاخر بهم أو ينتمي إليهم ،

^{٣٠٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٤٤ - ١٤٧ * وفي رواية الخشاب عن أبي عبد الله عن آياته عليه السلام
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مثل أهل بيتي مثل نجوم السماء ، كلما غاب نجم طلع نجم حتى إذا نجم منها طلع فرمقتموه
 بالأعين ، وأشرتُم إليه بالأصابع ، أتاه ملك الموت فذهب به ، ثم لبثتم في ذلك سبباً من دهركم ، واستوت بنو عبد
 المطلب ولم يدر أيا من أي ، فعند ذلك يبدو نجمكم ، فاحمدوا الله واقلبوه » وفي رواية معروف بن خربوذ عن أبي
 جعفر عليه السلام قال : « سمعته يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنما مثل أهل بيتي في هذه الأمة كمثل نجوم السماء ، كلما غاب
 نجم طلع نجم حتى إذا مددتم إليه حواجبكم ، وأشرتُم إليه بالأصابع ، أتاه ملك الموت فذهب به ، ثم بقيتم سبباً من
 دهركم لا تدرون أيا من أي فاستوى في ذلك بنو عبد المطلب ، فبينما أنتم كذلك إذ أطلع الله عليكم نجمكم فاحمدوه
 واقلبوه » وفي لفظ ثالث عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : « إنما نحن كنجوم السماء كلما غاب نجم
 طلع نجم ، حتى إذا أشرتُم بأصابعكم ، وملتم بحواجبكم ، غيب الله عنكم نجمكم ، فاستوت بنو عبد المطلب فلم يعرف
 أيا من أي ، فإذا طلع نجمكم فاحمدوا ربكم » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٧] وفي رواية
 معروف بن خربوذ قال : قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام : أخبرني عنكم ؟ قال : نحن بمنزلة النجوم إذا خفي نجم بدا نجم
 (منا) أمن وأمان وسلم وإسلام ، وفاتح ومفتاح ، حتى إذا استوى بنو عبد المطلب فلم يدر أي من أي ، أظهر الله عز
 وجل لكم صاحبكم فاحمدوا الله عز وجل وهو يُخبرُ الصعب والذلّول ، فقلت : جعلت فداك فأيهما يختار ؟ قال : يختار
 الصعب على الذلّول [كمال الدين وتعام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٩ - ٣٣٠] .

وفي التاريخ عن هذا المعنى ما تهتزُّ له القلوب وتتشعرُّ له الأبدان ، إلى أن يصل إلى زمن المهديّ رُوحِي وأرواح العالمين له الفداء ، فيخصُّه ﷺ بشيءٍ مثيرٍ من البيان ، فهو شبيهُ عيسى ﷺ في غيبته وآيته ، ثمَّ يُوكِّد ﷺ أنَّ طابع هذه الغيبة خاص جداً ، فهو ﷺ يمشي في سككهم وطرقهم ، فيراهم ولا يرونه ، جوالاً في شرق هذه الأرض وغربها ، داخلٌ في دُورها وقصورها ، يسمع الكلام ويرى الأنام ويعرف أمرها ، وهم لا يرونه أو يشعرون به ، فيبقى كذلك إلى الوقت والوعد ، فإذا تمَّ أمرُ الظهور أمرَ الله منادي السماء أن ينادي فتظهر الآيات وتتوالى العلامات ويقوم أمرُ الله الأعظم في المهديّ رُوحِي فداه .

الإمام علي ﷺ أكَّد علينا طابع تلك الغيبة العظيمة بألفاظ تشيرُ إلى زمن الإنتظار ومعاني البلاء فيه فأشار إلى أنَّ هذه الأمة التي عدت على أهل بيت نبيِّها ﷺ لا تزال تتكالب على حرام الدنيا ، منغمسةً في بحر الهلكات وأودية الدماء حتى يغيب المهديُّ ﷺ فتعلوا صيحتها بطلان الإمامة فمنهم من يقول : مات ، ومنهم يقول : قُتل ، ومنهم يقول : في أيِّ وادٍ سلك ، فيموج الناسُ في هذا ، وتطلُّع الفتنة ، وتنزلُ البليَّة ، وتُجمَعُ الأشرارُ على أنَّ الحجَّةَ ذاهبةٌ والإمامة باطلة .

وعلى الأثر تقع بلايا وفتن كثيرة تتعدَّد وجوهها ، فيما رجالاتُ الأمة ونسائها حيارى سكارى ، لا يهود ولا نصارى ، وهي تكثُرُ من قولها إنَّ الحجَّةَ هالكةٌ !!! فتتجمَعُ على عداء أهل بيت نبيِّها ، وعلى معاداة أتباعهم

المنتظرين ، وتظهرُ عداوةُ هذه الأمة لأتباع آل النبي ﷺ بشكلٍ مثير ، ثمَّ تؤكد الروايات أنَّ كثيراً من هذه الأمة التي تعادي آل بيت نبيِّها وتصرُّ في الإمتناع عن النزول على ولايتهم تتحالف مع قوى عالميَّة مُلحدة أو مشركة (الروم) بهدف استئصال المنتظرين لقائم آل محمَّد والنازلين على ولاية الثقلين ، وفي الأخبار شيئٌ مذهب عن فعلة بعض العرب في عداوتهم للمنتظرين ، خاصَّةً لدولة خراسان التي تُشكِّل مركز الثقل للمنتظرين .

وتحت كثيرٍ من الروايات التي تتحدَّث عن الغيبة وما يكون عليه أهل الإنتظار في ذلك الزمن قال النعماني في كتابه الغيبة : « هذه الروايات التي جاءت متواترة ، تشهد بصحة الغيبة ، وباختفاء العلم ، والمراد بالعلم الحجَّة للعالم (النائب الخاص) ، وهي مشتملةٌ على أمر الأئمة عليهم السلام للشيعه بأن يكونوا فيها على ما كانوا عليه ، لا يزالون ولا ينتقلون ، بل يشتون ولا يتحوَّلون ، ويكونون متوقعين لما وعدوا به وهم معذورون في أن لا يروا حجتهم وإمام زمانهم في أيام الغيبة .. وأهل المعرفة مسلمون لما أمروا به ، ممثلون له ، صابرون على ما نُدبوا إلى الصبر عليه ، وقد أوقفهم العلمُ والفقهُ مواقفَ الرضا عن الله تعالى ، والتصديق لأولياء الله ، والامتنال لأمرهم ، والانتهاه عمَّا نهوا عنه ، حذرون ما حذَّر الله في كتابه من مخالفة رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام الذين هم في وجوب الطاعة بمنزلة لقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ولقوله : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٥٩/٤) ،

وبقوله : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا
عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٩٢/٥) ^{٣٠٨} .

وفي قوله عليه السلام في حديث عبد الله بن سنان : « كيف أنتم إذا صرتم
في حالٍ لا ترون فيها إماماً هدى ولا علماً يُرى » ، دلالةً على ما جرى ،
وشهادةً بما حدث من أمر السفراء الذين كانوا بين الإمام عليه السلام وبين الشيعة
من ارتفاع أعيانهم ، وانقطاع نظامهم ، لأنَّ السفير بين الإمام في حال غيبته
وبين شيعته هو العلم (الوارد عن الناحية) ، فلما تمتَّ المحنةُ على الخلق
ارتفعت الأعلامُ ، ولا ترى حتى يظهر صاحب الحق عليه السلام ووقعت الحيرة
التي ذُكرت وآذنا بها أولياء الله ^{٣٠٩} .

وقد تمَّ الأمرُ وظهرت المحنة وعمَّ البلاء وكثرت العداوة
للمنتظرين ، وقد غابت الوسائطُ الخاصَّةُ ، لكنَّ أعلام البيئات ساطعة ، ونور
الإمامة ظاهر ، وقد جحد الناسُ إلا المنتظرين ، وانحرفَ الناسُ إلا هم ،
وانقلب الناسُ إلا هم ، فهم على ولايةِ الثقلين تبعاً إلى قيام الساعة ، لذا
لحظت الأخبار هؤلاء الأكرمين على الله تعالى ، لتشير إلى صفتهم وموقعهم
من رضا الله تعالى ، فروى المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :
« أقرب ما يكون هذه العصاة من الله وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا
حجَّةَ الله فحُجِبَ عنهم ، ولم يظهر لهم ، ولم يعلموا بمكانه ، وهم في ذلك

^{٣٠٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٣ - ١٦٤

^{٣٠٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٤ - ١٦٥

يعلمون ويوقنون أنه لم تبطل حجة الله ولا ميثاقه ، فعندها توقعوا الفرج صباحاً ومساءً ، فإنَّ أشدَّ ما يكون غضبُ الله على أعدائه إذا افتقدوا حجَّته فلم يظهر لهم ، وقد علم الله عزَّ وجلَّ أنَّ أوليائه لا يرتابون ، ولو علم أنَّهم يرتابون ما غيَّب حجته طرفة عينٍ عنهم ، ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس «^{٣١٠}» ، وتحت هذا المعنى قال الشيخ النعماني - وهو من أوائل مشايخ عصر الغيبة - : « هذا ثناء الصادق عليه السلام على أوليائه في حال الغيبة بقوله : « أَرْضَى مَا يَكُونُ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا افْتَقَدُوا حُجَّةَ اللَّهِ وَحُجِبَ عَنْهُمْ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ تَبْطُلْ حُجَّةُ اللَّهِ » ، ووصفه أنهم لا يرتابون ، ولو علم الله أنهم يرتابون لم يغيب حجَّته طرفة عينٍ «^{٣١١}» .

إذا الغيبةُ هي زمنٌ محنةٍ وبليةٍ ظاهرة يسقط فيها مَنْ يسقط ويفوز مَنْ يفوز ، والمنتظرون هم الثابتون على أمر الله ورسوله والأئمة عليهم السلام : المحلِّلون حلالهم ، المحرَّمون حرامهم ، الراضون بما رضي الله لهم ، غير المستعجلين على الله ولا الناكرين عليه ، أولئك أكرم أمة النبي صلى الله عليه وآله على النبي صلى الله عليه وآله . وفي هذا قال الشيخ النعماني : « فتنة الغيبة التي يهلك فيها مَنْ اختار لنفسه ، ولم يرض باختيار ربِّه ، واستعجل تدبير الله سبحانه ولم يصبر كما أمر «^{٣١٢}» ، ثمَّ أشار ما أمر به الشيعة من الصبر والكفِّ والانتظار للفرج ،

^{٣١٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٥

^{٣١١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٦

^{٣١٢} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٨ - ١٩٩

وترك الاستعجال بأمر الله وتدييره»^{٣١٣} ، وقد أشرنا إلى تلك الطوائف فيما سبق .

وفي بعضها تأكيداً على معنى اختبار أهل الضلالة والخلق ، منها ما رواه فرات بن أحنف ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام قال : « زاد الفرات على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فركب هو وابناه الحسن والحسين عليهما السلام فمرّ بثقيف ، فقالوا : قد جاء عليٌّ يردُّ الماء ، فقال علي عليه السلام : أما والله ، لأقتلنَّ أنا وابنائي هذان ، وليبعثنَّ الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يُطالب بدمائنا ، وليغيبنَّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة حتى يقول الجاهل : ما لله في آل محمدٍ من حاجةٍ !!!»^{٣١٤} ، ولسانُ النصِّ هنا يؤكِّد طابع الإمتحان القاسي للناس ، كما متَّه ظاهراً في الكشف عن أهل الضلالة ، في وقت تكون أعمدة الحجَّة تامَّة ، وصروح البيِّنات كاملة ، فمن يضلُّ إنّما يضلُّ على نفسه .

وفي هذا المعنى من الحجَّة التامَّة روى المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :^{٣١٥} « إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة : « إنّ من ورائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلا النومة . قيل : يا أمير المؤمنين ، وما النومة ؟ قال : الذي يعرف الناس ولا يعرفونه . واعلموا أنّ

^{٣١٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٠

^{٣١٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٤٣

^{٣١٥} خيرٌ تدريه خيرٌ من عشر ترويه ، إنّ لكلِّ حقٍّ حقيقة ، ولكلِّ صوابٍ نوراً ، ثم قال : إنا والله لا نعدُّ الرجل من شيعتنا فقيهاً حتى يلحن له فيعرف اللحن ، ثم تابع فقال :

الأرض لا تخلو من حجّةٍ لله عزّ وجلّ ، ولكن الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم ، ولو خلت الأرض ساعةً واحدةً من حجّةٍ لله لساخت بأهلها ، ولكن الحجّة يعرفُ النَّاسُ ولا يعرفونه ، كما كان يوسف يعرف النَّاسَ وهم له منكرون ، ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٣٠/٣٦﴾^{٣١٦} .

وهو صريح مطلقاً كغيره بتمام الحجّة وكمال البينة على الخلق إلى قيام الساعة حتى مع الغيبتين ، وهذه من بديهيات ما تواتر به الخبر وجاء به الأثر .

وهناك طائفة تشيرُ إلى نوعٍ مثيرٍ من العناء الهائل الذي يطال أتباع أهل البيت في حقبات التاريخ ، وصولاً إلى المنتظرين وفي أوقاتٍ مختلفة ، وهي قطعاً تشيرُ إلى مرحلةٍ قاسية جداً من العناء والعزل والسياسات الظالمة التي تنال بشدّةٍ من أتباع أهل البيت بدءاً من وفاة رسول الله ﷺ وصولاً إلى زمن المنتظرين ، ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : « لا تزالون تنتظرون حتى تكونوا كالمعزاة المهولة التي لا يبالي الجازرُ أين يضع يده منها ، ليس لكم شرفٌ تشرفونه ، ولا سندٌ تسندون إليه أموركم »^{٣١٧} ،

^{٣١٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٤٣ - ١٤٤

^{٣١٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٨ * وفي رواية سلمان الفارسي أنه قال : « لا ينفك المؤمنون حتى يكونوا كمعزاة المعز ، لا يدري الخابس على أيها يضع يده ليس فيهم شرف يشرفونه ، ولا سند يسندون إليه أمرهم . وفي رواية عكرمة بن صعصعة عن أبيه قال : « كان علي عليه السلام يقول : لا تنفك هذه الشيعة حتى تكون بمنزلة المعزاة ، لا

ولسانه يشيرُ إلى فترة ما بعد وفاة رسول الله ﷺ بدليل الطائفة التي أشرتُ إليها في الحاشية ، وصولاً إلى زمن المنتظرين وما يقع عليهم من عناءٍ هائل ومحنةٍ شديدة ، وأولى تلك الفترات الهائلة حصلت بُعيد غيبة المهديّ ﷑ ، ثم إلى فتراتٍ لاحقة شديدة العناء على المنتظرين . وعليه : الجمع بين هذه المتون وتلك التي تؤكدُ أنَّ للمنتظرين دولةً في آخر الزمان وشوكة رغم فداحة النظام الدولي الفاسد ، تعني أنَّ الشيعة قبل زمن المهدي وبعد غيبته يُعانون بشدَّة وبأشكالٍ مختلفةٍ من جحيم السياسات الأمنيَّة والغرائزيَّة وغيرها في أزمانٍ كثيرةٍ ، وفي لحظةٍ تاريخيَّةٍ من زمن الإنتظار يكون لهم مركز قوَّة ونفوذ ، خاصَّةً ما قبل الظهور ، رغم معاناتهم المتفاوتة بين الأقطار ، بل رغم العناء الإجمالي من شرِّ الأزمنة الذي تبسطُ فيه القوى الجاحدة نفوذاً شديداً متنوعاً في الأرض .

وعن بعض عناوين الحيرة التي تطال وجوه أهل الغيبة خاصَّةً أوَّل زمن الغيبة روى عبد الله بن بكير والحكم عن أبي جعفر ﷑ قال : « كيف بكم إذا سعدتم فلم تجدوا أحداً ، ورجعتم فلم تجدوا أحداً »^{٣١٨} ، إشارةً إلى غيبة الإمام ولجَّة المحنة الهائلة التي وقعت آنذاك وما زالت مستمرَّة في غيبتها والتي تنقطع بظهور مولانا القائم ﷑ . وفي رواية أخرى عن عبد الله

يدري الخابس على أيها يضع يده ، فليس لهم شرف يشرفونه ، ولا سناد يستندون إليه في أمورهم » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٧] .

^{٣١٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٨

الشاعر - يعني ابن عقبة - قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : « كَأَنِّي بِكُمْ
تَجُولُونَ جَوْلَانَ الْإِبِلِ ، تَبْتَغُونَ مَرْعَى وَلَا تَجِدُونَهَا ، يَا مَعْشَرَ الشَّيْعَةِ » ^{٣١٩} ،
وذلك لشدة البلية التي تقع على الشيعة وعظيم المحن التي طالتهم منذ
لحظة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وصولاً إلى زمن الغيبة وظروفها الشاقة ، فضلاً
عمَّا يطالهم الآن . إذاً : زمنُ الغيبة صعبٌ مستصعب ، فمن نزل فيه على أمر
الله تعالى في الثقلين نجا ، ومن تركهما ، فلم يحلَّ حلالهما ولم يحرمَّ
حرامهما فقد هلك .

ومن استعجلَ فيه على الله ناكراً أمرَ الغيبة أو مُرَجِفاً بها فقد سقط
وفاته أعظمُ ثواب المنتظرين ، وفي الرواية عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال :
« ما أحسن الصبر انتظار الفرج ، أما سمعت قول العبد الصالح : « وانتظروا
إني معكم من المنتظرين » ^{٣٢٠} . ومن يستعجل على الله أمره وينكر غيبته
يشمله ما رواه صالح بن ميثم ، ويحيى بن سابق جميعاً عن أبي جعفر
الباقر عليه السلام قال : « هلك أصحاب المحاضير ، ونجا المقربون ، وثبت
الحصن على أوتادها ، إنَّ بعد الغمِّ فتحاً عجباً » ^{٣٢١} ، وفي رواية أبي

^{٣١٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٧

^{٣٢٠} شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي - ج ٣ - ص ٥٦٠ * وفي الرواية عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه أنّ
رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام في حديث ذكره : « واعلم أنّ النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأنَّ مع العسر يسراً »
وقال : إنّ الفرج يأتي من الله على قدر شدة البلاء [الفرج بعد الشدة - القاضي التنوخي - ج ١ - ص ٢٨] .

^{٣٢١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٥ * وفي هذا قال الشيخ النعماني : « انظروا - رحمكم الله - إلى
هذا التأديب من الأنمة عليه السلام وإلى أمرهم ، ورسمهم في الصبر والكف ، والانتظار للفرج ، وذكرهم هلاك المحاضير
والمستعجلين وكذب المتمنين ، ووصفهم نجاه المسلمين ، ومدحهم للصابرين الشابطين ، وتشبيههم إياهم على الثبات

المرهف قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « هلكت المحاضير . قلت : وما المحاضير ؟ قال عليه السلام : المستعجلون ، ونجا المقربون ، وثبت الحصن على أوتادها ، كونوا أحلاس بيوتكم (وهو خطاب لشيعة في زمانه) ، فإن الغبرة على من أثارها ، وانهم لا يريدونكم بجائحة^{٣٢٢} إلا أتاهم الله بشاغل إلا من تعرض لهم^{٣٢٣} »

وعليه :

شرط الانتظار للفرج أن تنزل على أمر الله وأمر أوليائه عليهم السلام فتحل حلالهم وتحرم حرامهم وتقيم حكم الله في كل ما أمكنك ، فمن أوفى هذا العهد فقد أحسن الانتظار .

وعلى هذا الأساس تؤكد المتون أن انتظار الفرج أفضل العبادة ، وفي رواية أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي^{٣٢٤} قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « سلوا الله من فضله ، فإن الله تبارك وتعالى يحب أن يُسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج^{٣٢٥} » ، وفي سند آخر عن الإمام

بنيات الحصن على أوتادها ، فتأدبوا - رحمكم الله - بتأديبهم ، وامتثلوا أمرهم ، وسلموا لقولهم ، ولا تجاوزوا رسمهم ، ولا تكونوا معن أرداء الهوى والعجلة ، [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٨] .
^{٣٢٢} الجائحة : الشدة .

^{٣٢٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٣ * وفي رواية أبي بكر الحضرمي قال : دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان ، فقلنا : ما نرى ؟ فقال : اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح ، [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٣] .
^{٣٢٤} بالاسناد الصحيح

^{٣٢٥} الفرج بعد الشدة - القاضي التنوخي - ج ١ - ص ٢٧

علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أفضلُ أعمالِ أمتي انتظارها فرج الله » ^{٣٢٦} . وفي لسان المنقولات ينشر المعصوم عليه السلام دلالة الآيات بين يدي أصحابه فيشير إلى بطنٍ من بطونها ووجهٍ من وجوه معانيها فيخصّ بذلك الأئمة والقائم المهدي عليه السلام وما تعنيه عبادة الإنتظار ، ففي رواية علي بن رثاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ ﴿١٥٨/٦﴾ فقال عليه السلام : الآيات هم الأئمة عليهم السلام ، والآية المنتظرة القائم عليه السلام » ^{٣٢٧} .

وفي غيرها حينما يشير إلى الأئمة عليهم السلام ومعنى حجة الله يؤكد ضرورة الصبر على الفرج وانتظار قيام القائم والتزام أمر الله وأتباع فقه الثقلين وقانونه ، وهذا دوماً تكرر في الأخبار وظهر في الآثار ، وهو يؤكد ضرورة هذا المعنى من انتظار الفرج والصبر عليه ، وفي مطولة عبد الله بن أبي الهذيل قال : سألته عن الإمامة فيمن تجب ؟؟؟ وما علامة من تجب له الإمامة ؟؟؟ فقال لي : « إنَّ الدليل على ذلك والحجة على المؤمنين والقائم في أمور المسلمين والناطق بالقرآن والعالم بالأحكام أخو نبي الله صلى الله عليه وآله ، وخليفته على أمتيه ووصيهم عليهم ، ووليُّه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى المفروض الطاعة ، يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ﴾ ﴿٥٩/٤﴾ ، وقال جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ

^{٣٢٦} الفرج بعد الشدة - القاضي التنوخي - ج ١ - ص ٢٧

^{٣٢٧} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٦

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ ﴿٥٥/٥﴾ ، المدعو إليه بالولاية ، المثبت له الإمامة يوم غدیر خم
بقول الرسول ﷺ عن الله جل جلاله : « أَلَسْتُ أُولَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟
قَالُوا : بَلَىٰ ، قَالَ : فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ
مَنْ عَادَاهُ ، وَانصُرْ مَنْ نصره ، وَاخْذِلْ مَنْ خَذَلَهُ ، وَأَعِنْ مَنْ أَعَانَهُ ، ذَاكَ عَلِيٌّ
بن أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحْجَلِينَ ، وَأَفْضَلُ
الْوَصِيِّينَ وَخَيْرُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ بَعْدَ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،

وبعدَهُ الْحَسَنُ ، ثُمَّ الْحَسِينُ سِبْطَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ابْنَا خَيْرَةِ النِّسْوَانِ ،
ثُمَّ عَلِيٌّ بنِ الْحَسِينِ ، ثُمَّ مُحَمَّدٌ بنِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ جَعْفَرُ بنِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ
مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ عَلِيٌّ بنِ مُوسَى ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بنِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ عَلِيٌّ بنِ
مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ الْحَسَنُ بنِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ ابْنُ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ (يَعْنِي الْمَهْدِيَّ)
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ ، إِنَّهُمْ عَتْرَةُ الرَّسُولِ ،
مَعْرُوفُونَ بِالْوَصِيَّةِ وَالْإِمَامَةِ فِي كُلِّ عَصْرِ زَمَانٍ ، وَكُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ،
وَإِنَّهُمْ الْعُرْوَةُ الْوَثْقَى ، وَأَثْمَةُ الْهَدْيِ ، وَالْحِجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَى
أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ،

وَإِنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَهُمْ ضَالٌّ مُضِلٌّ تَارِكٌ لِلْحَقِّ وَالْهَدْيِ ، وَإِنَّهُمْ
الْمَعْبُرُونَ عَنِ الْقُرْآنِ ، وَالنَّاطِقُونَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْبَيَانِ ،
وَإِنَّ مَنْ مَاتَ وَلَا يَعْرِفُهُمْ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْوَرَعَ
وَالْعِفَّةَ وَالصَّدْقَ وَالصَّلَاحَ وَالْاجْتِهَادَ ، وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَطُولَ

السجود وقيام الليل ، واجتناب المحارم ، وانتظار الفرج بالصبر وحسن
الصحبة ، وحسن الجوار»^{٣٢٨} .

لاحظ !!! ختم عليه السلام بضرورة الصبر ولزوم دين الله تعالى في زمن
الانتظار ، وهذه فريضة ربانية لها ثقلها ووزنها وعلاماتها في آخر الزمن ،
فالمنتظرون صابرون ثابتون على أمر الله تعالى قد رضوا ما رضي الله لهم ،
فما أمرهم إلا العبادة ، وما امتثالهم إلا الطاعة ، وما دينهم إلا الخضوع لأمر
الله مطلقاً . وبهذا المعنى نفهم ما رواه بريد بن معاوية العجلي ، عن أبي
جعفر الباقر عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠/٣) فقال عليه السلام : « اصبروا على أداء الفرائض ،
وصابروا عدوكم ، ورابطوا إمامكم المنتظر »^{٣٢٩} ، أي أقيموا أمركم على
الانتظار وفق شرط الله تعالى ، فأدوا الفرائض ، وتمكنوا ما استطعتم من
إقامة أمر الله تعالى ، وأعدوا الأرض بكل ما أمكن لقيام أمر المهدي عليه السلام .

فمن صبر على شدة البلاء والمحنة ، وهو نازل على أمر الله تعالى
وأمر أوليائه عليهم السلام في المعارف والتزام الطاعات وهجر المعاصي ، فقد شمله
أعظم التكريم الصريح في لسان المتون والخاص بالمنتظرين في آخر
الزمن .

^{٣٢٨} كمال الدين وتدام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٦ - ٣٣٧

^{٣٢٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٦

وفي رواية إبراهيم الكرخي قال : دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام واني لجالسٌ عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وهو غلام ، فقامتُ إليه فقبلتهُ وجلستُ فقال أبو عبد الله عليه السلام : « يا إبراهيم أما إنه لصاحبك من بعدي ، أما ليهلكنَّ فيه أقوامٌ ويسعد فيه آخرون ، فلعنَّ الله قاتلهُ وضاعفَ على روحِهِ العذاب ، أما ليُخرجنَّ الله من صلبه خيرَ أهل الأرض في زمانه (يعني المهدي) سميُّ جده ووارثُ علمه وأحكامه وفضائله ومعدن الإمامة ورأس الحكمة . ثمَّ قال عليه السلام عن الإمام الكاظم عليه السلام : يقتله جبار بني فلان (بني العباس) بعد عجائب طريفة حسداً له ، ولكنَّ الله عز وجل بالغ أمره ولو كره المشركون . يُخرجُ الله من صلبه تكملةً اثني عشر إماماً مهدياً ، اختصَّهم الله بكرامتهِ وأحلَّهم دارَ قُدسيه ، ثمَّ قال عليه السلام : المُنتظرُ للثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يذبُّ عنه . قال : فدخل رجلٌ من موالي بني أمية ، فانقطع الكلام ، فعدت إلى أبي عبد الله عليه السلام إحدى عشرة مرَّة أريدُ منه أن يستتمَّ الكلام فما قدرتُ على ذلك ، قال : فلمَّا كان قابل السنة الثانية دخلت عليه وهو جالسٌ فقال : يا إبراهيم ، هو (أي المهدي عليه السلام) المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنكٍ شديد ، وبلاءٍ طويل ، وجزعٍ وخوف ، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان . حسبك يا إبراهيم . قال إبراهيم : فما رجعتُ بشيءٍ أسرَّ من هذا لقلبي ولا أقرَّ لعيني » ^{٣٣٠} .

^{٣٣٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٤ - ٣٣٥ * وفي رواية المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال :

وكما ترى : لسان الروايات صريحٌ مطلقاً في تكريم هذه الأمة التي تُقيم أمرها على شرط الإنتظار ومعانيه : اعتقاداً وأفعالاً وبرامج ، ولسان المدح لها مدهشٌ بل مُذهلٌ حتى حَلَّت معانيه الدرجات العُلا ، رزقنا الله تعالى هذا المعنى من الإنتظار ، فإنه من أجل معاني العبادة كما بيَّنت الأخبار .

سألته عن قول الله عز وجل : " وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن " ما هذه الكلمات ؟ قال : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب الله عليه وهو أنه قال : " أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي " فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم . فقلت له : يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله " فأتمهن " ؟ قال : يعني فأتمهن إلى القائم اثني عشر إماماً تسعة من وُلد الحسين عليه السلام . قال المفضل : فقلت : يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل : " وجعلها كلمة باقية في عقبه " قال : يعني بذلك الإمامة ، جعلها الله تعالى في عقب الحسين إلى يوم القيامة ، قال : فقلت له : يا ابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في وُلد الحسين دون وُلد الحسن عليه السلام وهما جميعاً ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاهُ وسيدا شباب أهل الجنة ؟ فقال عليه السلام : إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين وأخوين فجعل الله عز وجل النبوة في صلب هارون دون صلب موسى عليه السلام ، ولم يكن لأحدر أن يقول : لِمَ فعلَ اللهُ ذلك ، وإن الإمامة خلافة الله عز وجل في أرضه وليس لأحد أن يقول : لِمَ جعله الله في صلب الحسين دون صلب الحسن عليه السلام ، لأنَّ الله تبارك وتعالى هو الحكيم في أفعاله " لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون " [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٨ - ٣٥٩] .

المهديُّ القائمُ ودولة آل محمَّد ووظيفة المنتظرين

مَنْ يَتَّبِعُ الْأَخْبَارَ يَجِدُ أَنَّهَا مَهْتَمَّةٌ جَدًّا بِبَيَانِ وَظِيْفَةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ الْقَائِمَ بِالْحَقِّ وَالِدَاعِيَّ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْمُتِمِّمَ لِعَهْدِهِ الَّذِي يَقُودُ النَّاسَ عَلَى شَرَطِ الثَّقَلَيْنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا .

وبهذا النحو وغيره تطلقُ عليه الأخبارُ إسمَ « قائم هذه الأمة » وكذا أوصاف لها صلة أساسية بدوره الكبير الذي يختتمه بقيادة الخلق على هدي الإسلام ، ففي رواية الشيخ الصدوق بسنده^{٣٣١} عن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « قائمُ هذه الأمة هو التاسع من ولدي ، وهو صاحبُ الغيبة ، وهو الذي يُقَسِّمُ ميراثه وهو حي »^{٣٣٢} . أمَّا قسمة الميراث ؟ فَيُدَّعَى أَنَّهُ مات ، أمَّا معنى قائم هذه الأمة ؟ فهو الذي يُقيم الحقَّ فيها ويقود الأمم على هدي الله ومعنى ولاية الثقلين وشرط الله في استخلاف الخلق . وأمَّا غيبتهُ ؟؟؟ فهو المعروف المشهور بكافة الأخبار بصاحب الغيبة التي يخرج على أثرها فيقيم دين الله على أتم معناه . وقد كررت الأخبارُ هذه الصفة بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤكدة أنه قائمُ هذه الأمة وأنَّ الله تعالى يُحيي به الأرضَ بعد

^{٣٣١} عبد الله بن الزبير ، عن عبد الله ابن شريك ، عن رجل من همدان قال

^{٣٣٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣١٧

موتها . وفي رواية الصدوق عن عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : « منا اثنا عشر مهدياً ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع من وُلدي ، وهو الإمام القائم بالحق ، يُحيي الله به الأرضَ بعد موتها ، ويُظهر به دينَ الحقِّ على الدِّينِ كُلِّهِ ولو كره المشركون . له غيبة يرتدُّ فيها أقوامٌ ويثبت فيها على الدِّينِ آخرون ، فيؤذون ويُقال لهم : ﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ﴿ أمّا إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ » ٣٣٣ .

إذا صفةُ قائم هذه الأمة لازمها التأكيدُ دوماً على الدور الربّاني الذي يقوده المهديُّ عليه السلام والذي يتجلّى بإقامة أمر الله تعالى في الأرض ، وأنَّ ذلك من المحتوم الذي لا بدَّ أن يقع . وفي رواية عبد الله بن عمر قال : سمعت الحسين بن علي عليه السلام يقول : « لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذلك اليوم حتى يخرج رجلٌ من وُلدي ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملأت جوراً وظلماً ، كذلك سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول » ٣٣٤ .

ولسانُ هذا الخبر تأكيدٌ ، يريد أن يغرس في أذهاننا أنَّ أمرَ المهديِّ عليه السلام لا بدَّ أنَّه واقع ، وأنَّه مُعدٌّ لدورٍ له صلةٌ بما يجب أن تكون عليه مراحلُ الختام البشري على الأرض .

^{٣٣٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣١٧

^{٣٣٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣١٨

وفي كثيرٍ من النصوص تأكيد على الوظيفة التي تعني قيامه عليه السلام بالحق ، أي إقامة العدل التام والشريعة الكاملة ، بل تقرأ في بعض المتون معنىً متواتراً بين الناس رغم قلة معرفتهم بخطِّ وطبيعة ما سيقع ، منها ما رواه عبد السلام بن صالح الهروي قال : سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول : « أنشدتُ مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام قصيدتي التي أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة *
ومنزل وحي مقفر العرصات .

قال : فلما انتهيت إلى قولي :

خروجُ إمامٍ لا محالة خارجٌ *
يقوم على اسم الله والبركات ،
يميزُ فينا كلَّ حقٍ وباطل *
ويجزى على النعماء والنقمات

(يعني القائم الذي يُقيم أمرَ الله بالحق والعدل) .

قال دعبل : بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ، ثم رفع رأسه إليَّ فقال لي : يا خزاعي نطقَ روحُ القدس على لسانك بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم ؟ فقلت : لا يا مولاي ، إلا أني سمعتُ بخروج إمامٍ منكم يُطهِّرُ الأرضَ مِنَ الفسادِ ويملأها عدلاً كما ملأت جوراً . فقال عليه السلام : يا دعبل ، الإمامُ بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابني علي ، وبعد علي ابني

الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته ، المُطاع في ظهوره ، ثم قال عليه السلام : لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذلك اليوم حتى يخرج فيملاً الأرض عدلاً كما مُلأت جوراً . وأمّا « متى » ؟؟ فإنّ أخباراً عن الوقت ، فقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن النبيَّ صلى الله عليه وآله قيل له : يا رسول الله ، متى يخرجُ القائمُ من ذريّتك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : مثله مثل الساعة التي « لا يُجلىها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة » ^{٣٣٥} ،

وهو معنى قِيَاضٍ جداً بإشارته ومعانيه إلى الارتكاز العميق حول الغيبة والوظيفة التي يقوم بها المهديُّ عليه السلام وأنّه قائم الحق وصاحب العدل وما إليه .

وفي الخبر الآخر يؤكّد الإمام الرضا عليه السلام أنّ الكُرُبات تظلُّ قائمةً على أهل البيت حتى يقوم القائمُ عليه السلام ، ففي رواية عبد السلام بن صالح الهروي قال : دخل دعبل بن علي الخزاعي عليّ أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو ، فقال له : يا ابن رسول الله ، إني قد قلتُ فيكم قصيدةً وآليتُ عليّ نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك ، فقال عليه السلام هاهاها ، قال : فأنشدها :

مدارسُ آيات خلتُ من تلاوة *

^{٣٣٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٢ - ٣٧٣

ومنزل وحي مقفر العرصات .

قال : فلماً بلغ إلى قوله :

أرى فيثهم في غيرهم متقسماً *

وأيديهم من فيثهم صفرات .

قال : بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال : صدقت يا خزاعي .

فلماً بلغ إلى قوله :

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم *

أكفاً عن الأوتار منقبضات .

قال : جعل أبو الحسن عليه السلام يقَلب كفيه وهو يقول : أجل والله

منقبضات . قال : فلماً بلغ إلى قوله :

لقد خِفْتُ في الدنيا وأيام سعيها *

وإني لأرجو الأمنَ بعد وفاتي .

قال له الرضا عليه السلام : آمَنَكَ اللهُ يومَ الفزعِ الأكبرِ .

فلماً انتهى إلى قوله :

وقبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زكيَّةٍ

تضمُّنه الرحمنُ في الغرفاتِ .

قال له الرضا عليه السلام : أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمامُ

قصيدتك ؟ فقال دعبيل : بلى يا ابن رسول الله ، فقال الرضا عليه السلام :

وقبرٌ بطوسٍ يا لها من مصيبةٍ

توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله « قائماً »
يفرّجُ عنا الهمَّ والكربات .

فقال دعبل :

يا ابن رسول الله ، هذا القبرُ الذي بطوسٍ قبرٌ مَنْ هو ؟!!!
فقال الرضا عليه السلام : قبري ، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير
طوسٍ مختلفٍ شيعتي وزواري في غربتي ، ألا فمَنْ زارني في غربتي بطوسٍ
كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له ^{٣٣٦} « ^{٣٣٧}

وهو كغيره صريحٌ جداً في صفة المهديِّ بالقائم عليه السلام ، أي صاحب
دولة آلِ محمد التي أعدّها الله لتكون خاتمة الطيف الإستخلافي الذي تتمُّ
معه كلمة الطاعة وقيام أمر الإسلام وولاية الثقلين على كافة قطاعات
الأرض وما تصلها يدُ الإنسان .

وفي بعض المتون شرحٌ لمعنى القائم من جهة بيان بعض خواص ما
يكون عليه أمره عليه السلام من غيبةٍ وما يصحبها من اندراس ذكره ، ثمَّ يكون

^{٣٣٦} قال : ثم نهض الرضا عليه السلام بعد فراغ دعبل من إنشاده القصيدة وأمره أن لا يبرح من موضعه فدخل الدار ، فلما كان
بعد ساعة خرج الخادم إليه بمائة دينار رضوية فقال له : يقول لك مولاي : إجعلها في نفقتك ، فقال دعبل : والله ما لهذا
جنت ، ولا قلت هذه القصيدة طمعا في شيء يصل إليّ . وردّ الصرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرك به ويتشرف ،
فأنفذ إليه الرضا عليه السلام جبة خبز مع الصرة وقال للخادم : قل له : يقول لك (مولاي) : خذ هذه الصرة ، فإنك ستحتاج إليها
ولا تراجعني فيها - والحديث طويل وفيه نحو من إعجازٍ ظاهر كشف عنه ما وقع فيما بعد مع دعبل في سفرته - .

^{٣٣٧} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٣ - ٣٧٦

ظهوره ثم إتمام أمر الله تعالى ، ففي رواية الصقر ابن أبي دلف قال : سمعت
أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول : « إنَّ الإمام بعدي ابني علي ،
أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، والإمام بعده ابنه الحسن ، أمره
أمر أبيه ، وقوله قول أبيه ، وطاعته طاعة أبيه . قال : ثم سكت عليه السلام .

فقلت له : يا ابن رسول الله ، فمن الإمام بعد الحسن ؟
قال : فبكي عليه السلام بكاءً شديداً ، ثم قال : إنَّ من بعد الحسن ابنه
القائم بالحق المنتظر .

فقلت له : يا ابن رسول الله ، لِمَ سُمِّي القائم ؟ قال عليه السلام : لَأَنَّهُ يَقُومُ
بعد موت ذكره ، وارتداد أكثر القائلين بإمامته .

فقلت له : وَلِمَ سُمِّي المنتظر ؟
قال عليه السلام : لَأَنَّ لَهُ غِيْبَةً يَكْثُرُ أَيَامُهَا ، وَيَطْوِلُ أَمْدُهَا ، فَيَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ
المخلصون ، وينكروهُ المرتابون ، ويستهزئ بذكره الجاحدون ، ويكذب
فيها الوقتون ، ويهلك فيها المستعجلون ، وينجو فيها المسلمون ^{٣٣٨} .

وفي هذا المتن بيانٌ جليل ، فالقائم يقومُ والدين قد اندرس ، كما
أنَّ إسمه يندرسُ إلا من قلَّةٍ يظنون على أمر الله وعلى ولاية أهل بيتِ
النبوة ، فيلقون جهداً ومحناً وتعباً وبلاءً مختلفاً ، فيصبرون حتى يحكم اللهُ ،
واللهُ خيرُ الحاكمين .

^{٣٣٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٨

وفي رواية الغيبة قال : « جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له :
يا أمير المؤمنين ، نبئنا بمهديكم هذا ؟ فقال عليه السلام :
« إذا درج الدارجون ، وقلَّ المؤمنون ، وذهب المجلبون ، فهناك
هناك . فقال : يا أمير المؤمنين ، ممَّن الرجل ؟

فقال عليه السلام : من بني هاشم ، من ذروة طود العرب وبحر مغيضها إذا
وردت ، ومخفر أهلها إذا أتيت ، ومعدن صفوتها إذا اكتدرت ، ولا يجبن
إذا المنايا هلعت ، ولا يخور إذا المنون اکتعت ، ولا ينكل إذا الكماة
اصطرعت ، مشمر مغلوب ، ظفر ضرغامة ، حصد مخدش ذكر ، سيفٌ من
سيوف الله ، رأس ، قثم ، نشؤ رأسه في باذخ السؤدد ، وعارز مجده في
أكرم المحتد .

فلا يصرفنك عن بيعته صارفٌ عارضٌ ينوص إلى الفتنة كل مناص
إن قال فشرّ قائل وإن سكت فذو دعائر .

قال : ثمَّ رجعَ عليه السلام إلى صفة المهديِّ عليه السلام فقال :

« أوسعكم كهفاً ، وأكثركم علماً ، وأوصلكم رحماً ، اللهم فاجعل
بعثه خروجاً من الغمّة ، واجمع به شمل الأمة ، فإنَّ خارا لله لك فاعزم ، ولا
تنش عنه إن وفقت له ، ولا تجوزن عنه إن هديت إليه ، هاه - وأوماً بيده
إلى صدره شوقاً إلى رؤيته - »^{٣٣٩} . وهو صريحٌ بمعنى البلاء وصعوبته

^{٣٣٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٢١ - ٢٢٢

المتفاقمة في نفس الوقت الذي يُؤكِّد فيه طابع « الفرج الأعظم » مع قيام أمر مولانا المهدي عليه السلام ^{٣٤٠}.

ومن جانبٍ آخر تُؤكِّد المسموعات طبيعة ورسوخ هذا النحو من السلطان الذي يكون لآل محمَّد ، أي دولة آل محمَّد التي تملأ الدنيا عدلاً ، لذا كان الكثير من الخلق يسأل العديد من الأئمَّة عليهم السلام عمَّن يكون قائد دولة آل محمَّد ، ويبدو من لحن الأخبار أنَّ القطع بقيام دولة آل محمَّد كان محسوماً بل هو صريحها ، فيما تسمية من يقوم بها كان يجري بيانه حسب الظروف والمقامات والمقادير .

لذا نجد بعضهم يسأل الإمام الحسين عليه السلام أو غيره من الأئمَّة عليهم السلام إن كان هو القائم صاحب دولة آل محمَّد ، أو كأنَّ بعضهم كان يُفرِّق بين دولة آل محمَّد ودور المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، لذا في رواية عيسى الخشاب قال : قلت للحسين بن علي عليه السلام : أنت صاحب هذا الأمر ؟ قال عليه السلام : لا ، ولكن صاحب الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه ، المكني بعمه ، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر ^{٣٤١} ، وهو بذلك يريد أن

^{٣٤٠} وتحت هذا العنوان قال الشيخ النعماني : « الإمام يُجلُّ حلال الله ، ويُحرَّم حرام الله ، ويُقيم حدود الله ، ويذبُّ عن دين الله ، ويدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة . الإمام الشمس الطالعة المجلَّة بنورها العالم ، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٢٦ - ٢٢٧] .

^{٣٤١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣١٨ * وفي رواية شعيب بن أبي حمزة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : أنت صاحب هذا الأمر ؟ فقال : لا . فقلت : فولدك ؟ فقال : لا . فقلت : فولد ولدك ؟ قال : لا . فقلت : فمن هو ؟ قال : الذي يملأها عدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً ، على فترة من الأئمَّة يأتي كما أن النبي صلى الله عليه وآله بُعث على فترة من الرسل [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٣] .

يؤكد أنّ دولة آل محمّد تكون لمن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً ، وهي صفة المهديّ عليه السلام الذي كنى عنه عليه السلام بصفات ما يقع ، أي الطريد الشريد ، كنايةً عما يُلابس ظرف ما بعد ولادته وما إلى ذلك من أمر الغيبة وتوابعها .

وهناك رواية شديدة الظهور وتامة اللسان بهذا المعنى من الدمج بين المهدي ودولة آل محمّد ، ففي رواية الريان بن الصلت قال : قلتُ للرضا عليه السلام : أنت صاحبُ هذا الأمر ؟ فقال عليه السلام : أنا صاحبُ هذا الأمر ، ولكنني لستُ بالذي أملأها عدلاً كما ملأتُ جوراً ، وكيف أكونُ ذلك على ما ترى من ضعف بدني ، وإنّ القائم عليه السلام هو الذي إذا خرجَ كان في سنّ الشيوخ ومنظر الشبان ، قويّاً في بدنه حتى لو مدّ يدهُ إلى أعظم شجرةٍ على وجهِ الأرض لقلعها ، ولو صاحَ بين الجبال لتدككت صخورها ، يكون معه عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام . ذاك الرابع من ولدي ، يغيبه الله في ستره ما شاء ، ثمّ يُظهره فيملاً به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأتُ جوراً وظلماً»^{٣٤٢} ،

وهكذا في لسان طوائف كثيرة من الأخبار التأكيد على أنّ دولة آل محمّد هي في آخر الزمان ، وأنّ صاحبها هو المهديّ الموعود الواجب الإنتظار . وأنّ من يقوم بهذا الأمر هو قائم آل محمّد أو قائم هذه الأمة ، وكلتاها صفة المهديّ عليه السلام ، والمتون في هذا المعنى كثيرة ، منها ما رواه

^{٣٤٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٦

عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال : « قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام (الجواد) : « إنني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً ،

فقال عليه السلام : يا أبا القاسم : ما منا إلا وهو قائم بأمر الله عز وجل ،
وهادٍ إلى دين الله ،

ولكن القائم الذي يُطهر الله عز وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود ، ويملاها عدلاً وقسطاً ، هو الذي تخفى على الناس ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ، ويحرم عليهم تسميته (زمن الغيبة الصغرى) ، وهو سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيه ،

وهو الذي تطوى له الأرض ، ويذل له كل صعب ، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر : ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، من أقاصي الأرض ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ أَيَنْ مَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ ١٤٨/٢ ﴾ ،

قال : فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره ، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل . قال عبد العظيم : فقلت له : يا سيدي ، وكيف يعلم أنّ الله عز وجل قد رضي ؟ قال : يلقي في قلبه الرحمة ^{٣٤٣} .

^{٣٤٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٧ - ٣٧٨

وهي صريحة مطلقاً بأن دولة آل محمد تقع في زمن المهدي عليه السلام وهذا أمر مفروغ منه ، وأن المهدي صاحبها ، وأنه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وهذه الأخبار متواترة ، مذكورة بكل لسان ، ومشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله والآل عليهم السلام .

على أن من يتتبع المسموعات يجدها صريحة مطلقاً ببيان سلسلة ولاية الأمر المرسومين في عهد الله المخمّر صين بالتطهير ، المنصوص على إمامتهم من السماء ، وفي المتون تأكيداً على خاصيتهم ، وبيان لعالم الأنوار الذي سبق ، والذي تجلّى بخاصة الصفوة من نعمة الله تعالى ، ففي رواية أبي حمزة قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول :

« إن الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً والأئمة الأحد عشر من نور عظمته ، أرواحاً في ضياء نوره ، يعبدونه قبل خلق الخلق ، يُسبِّحون الله عز وجل ويقدمون له ، وهم الأئمة الهادية من آل محمد عليه السلام »^{٣٤٤} ، وهي بضميمة عالم النور ثم الإشارة إلى الأئمة الهداة تريد التأكيد على أمر الله في وليه المهدي عليه السلام مشيرةً أن الأرض رغم غيبة المهدي عليه السلام لا تخلو من حجة لله تعالى ، ولن تخلو ، بل هذه الطائفة من بديهي المسموع الذي لازم أهل الدين ، وهي تؤكد طابع وجود الإمامة في الناس إلى قيام الساعة .

^{٣٤٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣١٨ - ٣١٩

ثمَّ ضمن هذا المعنى يمكننا أن نقرأ تلك المحادثة التي جرت بين أبي خالد الكابلي ، وبين الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقد روى الشيخ الصدوق أبي خالد الكابلي قال : « دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله ، أخبرني بالذين فرضَ اللهُ عزَّ وجلَّ طاعتهم ومودتهم ، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : فقال لي : إنّ أولي الأمر الذين جعلهم اللهُ عزَّ وجلَّ أئمةً للناس وأوجب عليهم طاعتهم : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثمَّ الحسن ، ثم الحسين ابنا علي بن أبي طالب ، ثمَّ انتهى الأمرُ إلينا .

قال : ثمَّ سكت عليه السلام . فقلت له :

يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّ الأرض لا تخلو من حجةٍ لله عز وجل على عباده ، فمن الحجّة والإمام بعدك ؟ قال عليه السلام : ابني محمّد ، واسمُه في التوراة باقر ، يبقر العلم بقرّاً ، هو الحجّة والإمام بعدي ، ومن بعد محمّد ابنه جعفر ، واسمُه عند أهل السماء الصادق ، فقلت له : يا سيّدي فكيف صار اسمُه الصادق وكلّكم صادقون ، قال عليه السلام : حدثني أبي عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا وُلِدَ ابني جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسمّوه الصادق ، فإنَّ للخامس من وُلْدِهِ ولداً اسمُه جعفر يدّعي الإمامة اجترأ على الله وكذباً عليه ، فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله عزَّ وجلَّ ، والمدّعي لما ليس له بأهل ، المخالف على أبيه ، والحاسد لأخيه ، ذلك الذي يروم

كشَفَ سترَ الله عند غيبةِ وليِّ الله عزَّ وجلَّ . قال : ثمَّ بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً ، ثمَّ قال : كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليِّ الله ، والمغيَّب في حفظِ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته ، وحرصاً منه على قتله إن ظفَرَ به ، وطمعاً في ميراثه حتى يأخذهُ بغيرِ حقِّه .

قال أبو خالد : فقلت له : يا ابن رسول الله وإنَّ ذلك لكائن !! فقال عليه السلام : إي وربي ، إنَّ ذلك لمكتوبٌ عندنا في الصحيفة التي فيها ذكرُ المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله .

قال أبو خالد : فقلت : يا ابن رسول الله ، ثم يكون ماذا ، قال : ثم تمتدُّ الغيبة بوليِّ الله عزَّ وجلَّ الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلَّى الله عليه وآله والأئمة بعده .

يا أبا خالد : إنَّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلِّ زمان ،

لأنَّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ،

وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله بالسيف ،

أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله عزَّ وجلَّ سرّاً وجهراً .

ثم قال : قال علي بن الحسين عليه السلام : « انتظارُ الفرَجِ مِنْ أعْظَمِ الفرَجِ »^{٣٤٥} .

وتحت هذا الحديث كتب الشيخ الصدوق قائلاً : « قد رُوي مثل ذلك عن أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام أنه لم يُسرِّبه لِمَا وُلِدَ (أي بوَلَدِهِ الذي يدَّعي الإمامة بوجه المهدي) وأنه أخبرنا بأنه سيُضِلُّ خلقاً كثيراً . كل ذلك دلالة له عليه السلام أيضاً ، لأنه لا دلالة على الإمامة أعظم من الإخبار بما يكون قبل أن يكون كما كان ، مثل ذلك دلالة لعيسى بن مريم عليه السلام على نبوتِهِ إذ أنبأ الناسَ بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، وكما قال النبي ﷺ حين قال أبو سفيان في نفسه : مَنْ فعل مثل ما فعلت جئتُ فدفعت يدي في يده ألا كنت أجمع عليه الجموع من الأحابيش وكنانة فكنت ألقاهُ بهم فلعلِّي كنت أدفعه . فناداهُ النبي ﷺ من خيمته فقال : إذا كان الله يُجزيك يا أبا سفيان . وذلك دلالة له عليه السلام كدلالة عيسى بن مريم عليه السلام . وكل مَنْ أخبر من الأئمة عليهم السلام بمثل ذلك فهي دلالة تدلُّ الناسَ على أنه إمامٌ مفترَضُ الطاعة مِنْ الله تبارك وتعالى »^{٣٤٦} .

وهذا يعني أنّ الله تعالى في سجلِّ المَحَنِّ كشف ما يقع مع المهديّ رُوحِي فداه ، مع واحدٍ آخر (وهو جعفر المدَّعي) ممَّن يحاول أن يتخذ الإمامة لنفسِهِ ، ومعلوم مطلقاً أنّ أمرَ الإمامة لله تعالى ، سمَّاهُ بأشخاصٍ لا

^{٣٤٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣١٩ - ٣٢٠

^{٣٤٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٠ - ٣٢١

محيّد عنهم ، وليس بيدِ الناس أن يدفعوه عمّن سمّاهُ اللهُ تعالى . بل يُستفاد من المتون أنّ الإمام الهادي عليه السلام بدأ عليه القلق ممّا هو معلومٌ من صحيفة المحسن والتي قرأ فيها أنّ ولدهُ جعفر الذي يدّعي الإمامة بوجه الإمام المهديّ عليه السلام يحاول ذلك بكلِّ ما أمكنه ،

ففي رواية الشيخ الصدوق بسننه عن ابن سيابة عن أمّه فاطمة بنت محمد بن الهيثم قال : قالت (أمي) :

« كنتُ في دار أبي الحسن علي بن محمد في الوقت الذي وُلد فيه جعفر (ابن الإمام علي الهادي وهو المدّعي) ، قالت : فرأيت أهل الدار قد سرّوا به ، فصرتُ إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أراهُ مسروراً بذلك ، فقلت له : يا سيّدي ما لي أراك غيرَ مسرورٍ بهذا المولود ؟ فقال عليه السلام : يهون عليك أمره ، فإنه سيُضِلُّ خلقاً كثيراً »^{٣٤٧}

على أنّ الأخبار كلّها تقطع بأنّه لا يمكن لأحدٍ من سلاطين الزمان وفراعنة الأقوام أو غيرهم أن يصل إلى المهديّ عليه السلام بسوء ، كما أنّ جعفرًا الذي ادّعى ما ادّعى باطلاً ، وطلب دعم السلطان العباسي سقط سريعاً أمام العلامات البيّنة المشروطة في الإمامة ، حتى أنّ الرجل كان يدخل على جعفرٍ مدّعي الإمامة يريد أن يُعطيه المال فيقول له : أخبرني عن قصّة هذا المال : كم ، ومِمّن ، ومِن أيِّ وجوهٍ اكتسب ؟؟ فيصرخ جعفر إنّه هؤلاء

^{٣٤٧} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢١

يسألونني عن الغيب؟؟!!!! فيما الأئمة عليهم السلام كانوا يجيبون مباشرةً ويحكون الخفي الخفي منها بعلم من الله تعالى وباطلاع على أسبابها ، وقد ثبت في الأخبار المتواترة أن الأئمة مُحدِّثون وهم طبقة الأئمة التي سمَّتها السماء ، وكمثال تقريبي حكى الله تعالى لنا قصة أم موسى فقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧/٢٨) ، ومعلوم أن أم موسى لم تكن نبية ، فالإيحاء لها إلهام ، في حين الأخبار المتواترة تؤكد أن الأئمة مُحدِّثون وأنهم ينقرُّ في آذانهم ويُلهمون في قلوبهم ، وغير ذلك من سعة معنى المحدث وفق أشكالٍ عالية خصَّهم الله بها .

ثم على المعنى الذي أورده أبو حمزة أخبارٌ كثيرة لها معانيها ولازمها في الولاية والطاعة والإجزاء وكامل الإمتثال ، بل نقرأ المتون وهي تشترط على المؤمنين الإيمان بالمهدي عليه السلام قرناً بواجب أمر الله وإكمالاً للعهد الذي لا بدَّ منه لتصحَّ شهادة المؤمن وعقيدته ودينه .

من تلك الأخبار ما رواه عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال : « دخلتُ على سيدي علي بن محمد الهادي عليه السلام ، فلمَّا بصر بي عليه السلام قال لي : مَرحباً بك يا أبا القاسم ، أنت وليُّنا حقاً . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله إنني أريد أن أعرضَ عليك ديني ، فإن كان مرضياً ثبتُ عليه حتى ألقى الله عزَّ وجلَّ ، فقال عليه السلام : هات يا أبا القاسم ، فقلت : إنني أقول : إنَّ الله تبارك وتعالى واحدٌ ، ليس كمثلته شيء ، خارجٌ عن الحدِّين : حدٌّ

الإبطال وحدّ التشبيه ، وإنه ليس بجسم ولا صورة ، ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مُجَسَّمُ الأجسام ، ومُصَوَّرُ الصُّورِ ، وخَالِقُ الأعراض والجواهر ، وربُّ كلِّ شَيْءٍ ومالِكُه وجاعلُه ومُحدِثُه ، وإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عبدهُ ورسولُه خاتم النبيين فلا نبيَّ بعده إلى يوم القيامة ، وإنَّ شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة ،

وأقول : إنَّ الامام والخليفة وولي الأمر بعدهُ أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثمَّ الحسن ، ثمَّ الحسين ، ثمَّ علي بن الحسين ، ثمَّ محمد بن علي ، ثمَّ جعفر بن محمد ، ثمَّ موسى بن جعفر ، ثمَّ علي بن موسى ، ثمَّ محمد بن علي ، ثمَّ أنت يا مولاي (أي علي الهادي) .

فقال ﷺ : ومن بعدي : الحسنُ ابني (أي العسكري ﷺ) ، قال : ثمَّ قال ﷺ : فكيفَ للناس بالخلفِ ﷺ مِن بعده (يعني المهدي) ؟

فقلت : وكيف ذلك يا مولاي !!!؟ قال ﷺ : لأنه لا يُرى شخصه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً ، قال : فقلت : « أقررتُ » .

ثمَّ قال عبد العظيم : وأقول : إنَّ وليَّهم وليُّ الله ، وعدوُّهم عدوُّ الله ، وطاعتهم طاعةُ الله ، ومعصيتهم معصيةُ الله . وأقول : إنَّ المعراج حقٌّ ، والمسألة في القبر حقٌّ ، وإنَّ الجنَّةَ حقٌّ ، والنارَ حقٌّ ، والصراط حقٌّ ، والميزان حقٌّ ، ﴿ وأنَّ الساعة ﴾

آتية لا ريبَ فيها ، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبورِ ﴿٣٤٨﴾ ، وأقول : إنّ الفرائضَ الواجبةَ بعدَ الولاية : الصلاةَ والزكاةَ والصومَ والحجَّ والجهادَ والامرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ .

فقال علي بن محمد عليه السلام :

يا أبا القاسم هذا والله دينُ الله الذي ارتضاهُ لعباده فأثبت عليه ، ثبتك اللهُ بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ^{٣٤٨} ،

وهو صريحٌ كغيره بشرطِ الله في دينه وأوليائه ومعنى الطاعة وحدّها ، ولازم التزام الثقلين وضروريّتها ، كما هو صريحٌ بما سيقع مع الإمام الثاني عشر من غيبةٍ ومحنٍ وبلايا وما ينتظر ناس آخر الزمان من أهوالٍ وصعابٍ وشداد .

وعلى الأثر تنقلنا الأخبار إلى مظاهر الإمامة التامة في المهدي عليه السلام الذي وصفته بالقائم ، وفق مشروطة السنن المأخوذة فيه ، ففيه سنة من آدم وسنة من نوح ، وسنة من إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه السلام وهكذا ، وفي رواية سعيد بن جبير قال : سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقول : « في القائم منا سننٌ من الأنبياء : سنة من أبينا آدم عليه السلام ، وسنة من نوح ، وسنة من إبراهيم ، وسنة من موسى ، وسنة من عيسى ، وسنة من أيوب ، وسنة من محمد صلوات الله عليهم ، فأما من آدم ونوح فطولُ

^{٣٤٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٩ - ٣٨٠

العمر ، وأمّا من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأمّا من موسى
فالخوف والغيبة ، وأمّا من عيسى فاختلف الناس فيه ، وأمّا من أيوب
فالفرج بعد البلوى^{٣٤٩} ، وأمّا من محمد ﷺ فالخروج بالسيف^{٣٥٠} ،

وهكذا نقرأ جملة من الصفات التي كرّسها الله تعالى في
المهديّ ﷺ الذي أعدّه للقيام بأكبر أدوار الدولة الربانيّة التي تتسع لإعلان
الإسلام منظومةً لأهل الخلق أينما كانوا وحلّوا .

^{٣٤٩} وفي رواية أيوب بن نوح ، عن أبي الحسن الثالث ﷺ أنه قال : " إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقعوا الفرّج من
تحت أقدامكم " [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٣] .

^{٣٥٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٢ * وفي رواية سعيد بن جبير قال : سمعت سيد العابدين علي
بن الحسين ﷺ يقول : في القائم سنة من نوح وهو طول العمر * وفي رواية أبي بصير قال : " سمعت أبا جعفر الباقر ﷺ
يقول : في صاحب هذا الأمر سنة من أربعة أنبياء : سنة من موسى ، وسنة من عيسى ، وسنة من يوسف ، وسنة من محمد
ﷺ . فقلت : ما سنة موسى ؟ قال : خائف يترقب . قلت : وما سنة عيسى ؟ فقال : يقال فيه ما قيل في عيسى . قلت : فما
سنة يوسف ؟ قال : الغيبة . قلت : وما سنة محمد ﷺ ؟ قال : إذا قام سار بسيرة رسول الله ﷺ إلا أنه يبيّن آثار محمد
ويضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر هرجا مرجا حتى يرضي الله . قلت : فكيف يعلم رضاء الله ؟ قال : يلقي الله في قلبه
الرحمة " [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٨] .

خفاء ولادة المهدي عليه السلام

مَنْ يُدَقِّقُ الْأَخْبَارَ يَجِدُ أَنَّهَا حَرِيصَةٌ جَدًّا عَلَى إِبْلَاغِنَا ضَرُورَةَ غَيْبَةِ
المهدي عليه السلام ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ حَاصِلٌ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى .

وهذا جزءٌ مِنَ التَّربِيَةِ الضَّرُورِيَّةِ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْغَيْبَةِ مِنْ بَابِ أَنَّهَا أَمْرٌ
مِنْ أُمُورِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ الْخَلْقَ فِيهَا لَيْسُوا مُهْمَلِّمِينَ ، بَلْ مَخَاطَبُونَ
بِالتَّكْلِيفِ ، مُلْزَمُونَ بِهِ ، وَأَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ لَا تَنْقَطِعُ . وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى
كثيرةٌ ، وَلِسَانُهَا مُتَوَاتِرٌ . فِيمَا لِسَانُ طَائِفَةٍ أُخْرَى أَكَّدَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ
الَّذِي تَخْفَى وِلَادَتُهُ ، فِي حِينَ طَوَائِفُ ذَكَرَتِ الْغَيْبَةَ وَخَفَاءَ الْوِلَادَةَ فِي مَتْنٍ
وَاحِدٍ .

وبالإجمال : الأخبار في هذا المعنى كثيرة ، منها ما رواه موسى بن
جعفر بن وهب البغدادي قال : سمعت أبا محمد الحسن ابن علي عليه السلام
يقول :

« كَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ اخْتَلَفْتُمْ بَعْدِي فِي الْخَلْفِ مِنِّي ، أَمَا إِنَّ الْمَقْر
بِالْأئِمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُنْكَرَ لَوْلَدِي كَمَنْ أَقْرَبَ بِجَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ثُمَّ

أنكر نبوة رسول الله ﷺ ، والمنكر لرسول الله ﷺ كمن أنكر جميع
 أنبياء الله ، لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا ، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا .
 أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمة الله عز وجل^{٣٥١} .

وفي رواية زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن
 للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم ، فقلت : ولم ؟ قال : يخاف - وأومئ بيده
 إلى بطنه - ثم قال : يا زرارة ، وهو المنتظر ،

وهو الذي يُشكُّ في ولادته ، فمنهم من يقول : مات أبوه بلا خلف ،
 ومنهم من يقول : حمل ، ومنهم من يقول : غائب ، ومنهم من يقول : وُلِدَ
 قبل وفاة أبيه بسنين ،

ثم قال عليه السلام :

وهو المنتظر غير أن الله يحب أن يمتحن قلوب الشيعة فعند ذلك
 يرتاب المبطلون يا زرارة^{٣٥٢} «^{٣٥٣} .

^{٣٥١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤٠٩

^{٣٥٢} ثم قال عليه السلام : يا زرارة ، لا بد من قتل غلام بالمدينة . قلت : جعلت فداك ، أوليس الذي يقتله جيش السفيناني ؟ قال :
 لا ، ولكن يقتله جيش بني فلان ، يخرج حتى يدخل المدينة ولا بدري الناس في أي شيء دخل ، فيأخذ الغلام فيقتله ،
 فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لم يمهلهم الله ، فعند ذلك يتوقع الفرج .

^{٣٥٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٠ - ١٧١ * وفي رواية زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن
 للقائم عليه السلام غيبة ، ويجحد أهله . قلت : ولم ذلك ؟ قال : يخاف - وأومئ بيده إلى بطنه * وفي رواية عبد الملك بن
 أعين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم . قلت : ولم ؟ قال : يخاف - وأومئ بيده إلى
 بطنه ، يعني القتل وفي الرواية عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن للغلام غيبة قبل أن يقوم وهو المطلوب
 تراه . قلت : ولم ذلك ؟ قال : يخاف - وأومئ بيده إلى بطنه ، يعني القتل . [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني -
 ص ١٨٢] .

وهذه وغيرها صريحة في تنبيه الخلق إلى شأن المهدي عليه السلام الذي له في أمر الله دورٌ محدّد بعد خفاء في ولادته عن السلطان والأمم الطاغية ، فضلاً عن غيبته التي يخرج على أثرها فيقيم أمر الله في الأرض ^{٣٥٤} .

وتنقل لنا المتون طبيعة ما كان يتلوه بعض من أصحاب الأئمة على مسامعهم عليهم السلام فيجبهم الإمام بما هو وارد من دوره في أمر الله تعالى ، مؤكداً أن دور الدولة التي تحكم الأرض على اسم الله هي لواحد منهم ، يُكفي عنه بمن يغيب عن الناس ولادته ويشير إلى المهدي عليه السلام ، منها ما رواه عبد الله بن عطاء المكي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : « إن شيعتك بالعراق كثيرة ، ووالله ما في بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج (أي يخرج بالسيف على السلطان الظالم) ؟ فقال : يا عبد الله بن عطاء ، قد أخذت

^{٣٥٤} وفي رواية محمد بن مسلم الثقفي قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول : « القائم منا منصور بالرب ، مؤيد بالنصر ، تطوى له الأرض ، وتظهر له الكنوز ، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب ، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، فلا يبقى في الأرض خراب إلا قد عمر ، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه ، قال : قلت : يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم ؟ قال : إذا تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، واكتفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وركب ذوات الفروج السروج ، وقيلت شهادات الزور ، وردت شهادات العدول ، واستخف الناس بالدماء وارتكان الزنا وأكل الربا ، وأتقى الأشرار مخافة ألسنتهم ، وخروج السقياني من الشام ، واليماني من اليمن ، وخسف بالبيداء ، وقتل غلام من آل محمد عليه السلام بين الركن والمقام ، اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية ، وجاءت صيحة من السماء بأن الحق فيه (أي في المهدي) وفي شيعته ، فعند ذلك خروج قائمنا ، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة ، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً . وأول ما ينطق به هذه الآية « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » ثم يقول : أنا بقية الله في أرضه وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقية الله في أرضه ، فإذا اجتمع إليه العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج ، فلا يبقى في الأرض معبوداً دون الله عز وجل من صنم ووثن وغيره إلا وقعت فيه نارٌ فاحترق . وذلك بعد غيبة طويلة يعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣١] .

تفرش أذنيك للنوكي ، إي والله ما أنا بصاحبكم . قال : قلت : فمَن صاحبنا ؟ فقال عليه السلام : انظروا مَن غيبت عن الناس ولادته فذلك صاحبكم ، ثم قال : إنه ليس منا أحد يُشارُ إليه بالأصابع ويُمضغُ بالألسن إلا ماتَ غيظاً أو حتف أنفه ^{٣٥٥} .

وفي رواية عبد الله بن حماد الأنصاري سنة تسع وعشرين ومائتين بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه بعض أصحابه فقال له : « جُعِلت فداك ، إني والله أحبك وأحب مَن يحبك ، يا سيدي ما أكثر شيعتكم . فقال له : أذكرهم . فقال : كثير . فقال : تحصيلهم ؟ فقال : هم أكثر من ذلك . فقال أبو عبد الله عليه السلام : أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون ، ولكن شيعتنا مَن لا يعدو صوته سمعه ، ولا شحناؤه بدنه ، ولا يمدح بنا معلنا ، ولا يخاصم بنا قالياً ، ولا يجالس لنا عائباً ، ولا يُحدِّث لنا ثالِباً ، ولا يُحبُّ لنا مُبغضاً ، ولا يبغض لنا محبباً . فقلت : فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون إنهم يتشيعون ؟ فقال : فيهم التمييز ، وفيهم التمهيص ، وفيهم التبديل ، يأتي عليهم سنون تفنيهم ، وسيف يقتلهم ، واختلاف يبددهم . إنما شيعتنا مَن لا يهرُّ هرير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب ، ولا يسأل الناس بكفه وإن مات جوعاً . قلت : جُعِلتُ فداك ، فأين أطلب هؤلاء الموصوفين بهذه الصفة ؟ فقال : اطلبهم في أطراف الأرض أولئك الخفيض عيشهم ، المنتقلة دارهم ، الذين إن شهدوا

^{٣٥٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧١ - ١٧٢

لم يُعرفُوا ، وإنَّ غابوا لم يُفتَقَدُوا ، وإنَّ مرضوا لم يُعَادُوا ، وإنَّ خطبوا لم يُزَوَّجُوا ، وإنَّ ماتوا لم يُشْهَدُوا ، أولئك الذين في أموالهم يتواسون ، وفي قبورهم يتزاورون ، ولا تختلف أهواؤهم وإن اختلفت بهم البلدان»^{٣٥٦} .

وهي لسانٌ مدهش ودلالة تامَّة في مطلبنا الوارد في صاحب الغيبة ، وفي لسان بعضها الآخر إشارة إلى طبيعة الظرف ، وكثرة الشيعة ، ورغبة الناس أن يكون الإمام الصادق عليه السلام هو مَنْ يقيم أمر الله في الخلق ، فيكشف الإمام عن حقيقة أمر الله تعالى فيمَنْ يُقيم هذا الأمر ويكفي عنه بصفة أنه من لا يُؤبَّه لولادته ، أي لا يعرفُ بها سلطانَ زمانه الظالم فلا يطلبه ، وفي طريقٍ آخر عن عبد الله بن عطاء المكي قال : « خرجت حاجاً من واسط ، فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ، فسألني عن الناس والأسعار ، فقلت : تركت الناسَ مادَّين أعناقهم إليك ، لو خرجت لأتبعك الخلق . فقال : .. لا والله ما أنا بصاحبكم ، ولا يُشارُ إلى رجلٍ منا بالأصابع ويمط إليه بالحواجب إلا ماتَ قتيلاً أو حتفَ أنفه . قلت : وما حتفَ أنفه ؟ فقال : يموت بغِيظِهِ على فراشه حتى يبعث اللهُ مَنْ لا يُؤبَّه لولادته . قلت : ومَنْ لا يُؤبَّه لولادته ؟ فقال : انظر مَنْ لا يدري الناسُ أنه وُلِدَ أم لا ، فذاك صاحبكم »^{٣٥٧} . إشارة إلى غيبة المهدي عليه السلام وستره عن أعين السلطان والناس .

^{٣٥٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٠ - ٢١١

^{٣٥٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٢

وهكذا في الطوائف الكثيرة التي تلاها الأئمة عن جدّهم ، مؤكّدين أنّ خفاء ولادة المهديّ عليه السلام من الصفات الخاصّة به ، وأنها واحدة من العلامات التي نصبها الله تعالى لأهل العلم حتى يعرفوا حقيقة حال الإمام الذي يُقيم الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً .

وكيفما قلبت الأخبار فستجد أنّها تصرّ على هذه الصفة الخاصّة بالمهديّ عليه السلام ، بل طوائف منها تؤكّد نوعاً من محادثة تجري بين الإمام عليه السلام وبين شيعته ، حيث يدعون الله تعالى أن يكون هو من يُقيم أمر الله ويقود دولة آل محمّد التي تواترت الأخبار أنّ من يُقيمها هو واحدٌ من وُلدِ فاطمة ممّن سمّاه الله بالإمامة ، ففي رواية أيوب بن نوح قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : « إنا نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر ، وأن يسوقه الله إليك عفواً بغير سيف ، فقد بُيع لك ، وقد ضربت الدراهم بإسمك ، فقال عليه السلام : ما منا أحدٌ اختلفت الكتبُ إليه ، وأشير إليه بالأصابع ، وسُئِلَ عن المسائل ، وحُمِلت إليه الأموال ، إلا اغتيل أو مات على فراشه ، حتى يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منا خفيّ المولد والمنشأ ، غير خفي في نسبه » ^{٣٥٨}

وهذا نقاشٌ جرى في طبقة الإمام الرضا عليه السلام وكذا غيره جرى في طبقات متقدّمة على زمن الإمام زين العابدين وزمن الباقر والصادق عليهم السلام

^{٣٥٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٣

وما إلى ذلك وهو يؤكد طابع الاعتقاد التام الذي ورد تواتراً عن النبي ﷺ بأن لآل محمد دولة يُقيمها واحدٌ من الأئمة من ولد فاطمة وعلي .

نعم في ذيل الحديث تأكيدٌ ظلت تدرجُ عليه الأخبار وهو خفاء ولادة المهديّ وخفاء نشأته لكن مع شهرة نسبه ، وكأنّ النص يريد أن يؤكد طابع الشهرة المطلقة في جانب المهدي عليه السلام وهذا ما تواترت الأخبار فيه من النبي ﷺ وأطبقت عليه شيوخ الرواية والآثار منذ زمن النبي ﷺ .

وعلى هذا المعنى من السؤال والإجابة روى عبد الله بن عطاء قال : قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام : أخبرني عن القائم عليه السلام ؟ فقال : والله ما هو أنا ، ولا الذي تمدون إليه أعناقكم ، ولا تُعرفُ ولادته . قلت : بما يسير ؟ فقال : بما سار به رسول الله ﷺ : هدر ما قبله واستقبل ^{٣٥٩} . وفي لفظٍ آخر قال عليه السلام : « حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون : وُلدَ أم لم يولد ، خُلِقَ أم لم يخلق » ^{٣٦٠} ، وهو صريحٌ كغيره بأنّ المهديّ الذي يُقيم أمر الله في آخر الزمان هو من لا تُعرفُ ولادته .

^{٣٥٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٣

^{٣٦٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٨ - ١٨٩ * وأصل الحديث هكذا : عن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون : هو هذا ، فيذهب الله به حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون وُلدَ أم لم يولد ، خُلِقَ أم لم يُخلق . وفي رواية إسحاق بن محمد بن أيوب قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام يقول : صاحب هذا الأمر من يقول الناس : لم يولد بعد ، وكذا في رواية أخرى

وقد نصبَ أهلُ البيتِ عليهم السلام جملةً من العلامات القاطعة والصفات الظاهرة ، أي التي تظهر على الألسن فيما بعد ، فكان منها صفة خفاء الولادة ، وفي هذا المعنى ما رواه أبو الجارود قال : « سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول : « لا يزال ولا تزالون تمدون أعينكم إلى رجلٍ تقولون : هو هذا ، إلا ذهب ، حتى يبعث الله من لا تدرون خُلِقَ بعد أم لم يُخلَق » ^{٣٦١} ،

وهذا النصُّ يريد تأكيد طابع الإعتقاد المطلق الذي كان عليه الشيعة ، وهو الذي تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله بأنَّ قائماً من أئمة آل محمد عليهم السلام يقوم فيقود دولة آل محمد ، لذا نجد كثرة الأسئلة وتعاقبها في كلِّ الطبقات ترد على الأئمة من شيعتهم يسألونه : هل هو صاحب هذا الأمر ، فيجيبهم المعصوم عليه السلام بعلاماتٍ كلها في المهدي عليه السلام ، وقد أوردنا عليك جملة من تلك العلامات منها أنَّ صاحب هذا الأمر من تخفى ولادته ، وهنا في خبر أبي الجارود ركَّز الإمام عليه السلام على هذا المعنى مشيراً أنَّ الشيعة سيظلُّون يسألون الأئمة هل أنت صاحب هذا الأمر ، فلا يقع فيهم ، وإنَّما يقع فيمن لا تشتهر ولادته ، أي فيمن تخفى ولادته ونشأته وهذه خاصَّة المهدي عليه السلام .

عنه قال : « صاحب هذا الامر من يقول الناس : إنه لم يُؤكَّد بعد » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨٢] .

^{٣٦١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٩

ثمَّ أنَّ الشيخَ النعماني وهو من علماء ومؤلفي الزمن الأوَّل للغيبة الكبرى ، بعد أن سرد طائفة من هذه الأخبار وما هو في معناها ممَّا صحَّ به لسان التواتر وضرورة الصدور عن النبي وآله عليهم السلام قال : « هل يُوجد أحدٌ من الأئمة الماضين عليهم السلام يُشكُّ في ولادته واختلافه في عدمه ووجوده ودانت طائفة من الأمة به في غيبته ووقعت الفتن في الدِّين في أيامه ، وتحيرَ من تحير في أمره ، وصرح أبو عبد الله عليه السلام بالدلالة عليه بقوله : إذا توالى ثلاثة أسماء : محمد وعلي والحسن كان رابعهم قائمهم ^{٣٦٢} إلا هذا الإمام عليه السلام الذي جعلَ كمالَ الدِّين به وعلى يديه ، وتمحيص الخلق وامتحانهم وتمييزهم بغيبته ، وتحصيل الخاص الخالص الصافي منهم على ولايته بالإقامة على نظام أمره والإقرار بإمامته ^{٣٦٣} . وهو صريحٌ بما أشرنا

^{٣٦٢} وفي رواية أبي الهيثم الميثمي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال : « إذا توالى ثلاث أسماء محمد وعلي والحسن ، كان رابعهم قائمهم » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٥] . وفي رواية أمية بن علي ، عن أبي الهيثم بن أبي حبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا اجتمعت ثلاثة أسماء متوالية : محمد ، وعلي ، والحسن ، فالرابع القائم » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٣ - ٣٣٤] . وكذا غيره في كثير من الأخبار على هذا النحو . وفي رواية المفضل بن عمر قال : دخلت على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام فقلت : يا سيدي لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك ؟ فقال لي : يا مفضل : الإمام من بعدي ابني موسى والخلف المأمول « المنتظر » : محمد ابن الحسن بن علي بن محمد علي بن موسى [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٤]

^{٣٦٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٩ - ١٩٠ * وفي رواية زرارة بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم ، قلت له : ولم ؟ قال : يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه - . ثم قال : يا زرارة وهو المنتظر ، وهو الذي يشكُّ الناس في ولادته ، منهم من يقول : هو حمل ، ومنهم من يقول : هو غائب ، ومنهم من يقول : ما وُلد ، ومنهم من يقول : وُلد قبل وفاة أبيه بستين . غير أن الله تبارك وتعالى يحب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون . قال زرارة : فقلت : جعلتُ فداك فإن أدركتُ ذلك الزمان فأبى شئٍ أعمل قال : يا زرارة إن أدركت ذلك الزمان فأدم هذا الدعاء : اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني . ثم قال : يا

إليه وحاصل من مجموع الأخبار الواردة بلسانِ فصيح بل هو ناتج ضرورة الأخبار النبوية المتواترة في هذا المعنى .

على أن المتون التي تحدّثت عن خفاء الولادة جاءت بألسنٍ مختلفةٍ لكن على نفس المعنى والإشارة والبيان ، منها الأخبار التي تحدّثت عن خمول ذكره ، وهي كثيرة ، منها ما رواه يحيى بن سالم ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « صاحب هذا الأمر أصغرنا سنّاً ، وأخملنا شخصاً . قال : قلت : متى يكون ذلك ؟ قال عليه السلام : إذا سارت الركبان ببيعة الغلام فعند ذلك يرفع كلُّ ذي صيصية لواء ، فانتظروا الفرج »^{٣٦٤} ، وخمول الذكر هنا يعني عدم اشتهاره وهو لسان من ألسن خفاء ولادته ونشأته عليه السلام كما سبق وذكرنا في الأخبار الكثيرة ، وتحت هذا المعنى بعدما ساق الشيخ النعماني الأخبار قال : « والدليل على ذلك قول أبي عبد الله عليه السلام : فيه سنةٌ من أربعة أنبياء : أحدهم عيسى بن مريم عليه السلام لأنه أوتي الحكم صبياً والنبوة والعلم ، وأوتي هذا عليه السلام الإمامة ، وفي قولهم عليه السلام : « هذا الأمر في أصغرنا سنّاً وأخملنا ذكراً » قال هذا دليل عليه وشاهد بأنه هو »^{٣٦٥} . وكذا وردت في هذا المعنى كلُّ الأخبار التي تحدّثت عن انطفاء السراج ، أي خفاء ذكر

زرارة لا بدّ من قتل غلام بالمدينة ، قلت : جعلت فداك أليس يقتله جيش السفيناني ؟ قال : لا ؛ ولكن يقتله جيش بني فلان ، يخرج حتى يدخل المدينة فلا يدري الناس في أي شيء دخل ، فيأخذ الغلام فيقتله ، فإذا قتله بغيا وعدوانا وظلما لم يمهلهم الله عز وجل فعند ذلك فتوقعوا الفرج » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٢ - ٣٤٣] .

^{٣٦٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٠

^{٣٦٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩١

المهدي عليه السلام من خلال خفاء ولادته ونشأته عن السلطان وكثير من الخلق ،
ففي رواية عبد العظيم بن عبد الله الحسيني ، عن أبي جعفر محمد بن علي
الرضا عليه السلام أنه سمعه يقول : « إذا مات ابني علي بدا سراجٌ بعده ، ثم خفي ،
فويل للمرتاب ، وطوبى للغريب الفار بدينه . قال : ثم يكون بعد ذلك
أحداثٌ تشيبُ فيها النواصي ، ويسير الصمُّ الصلاب »^{٣٦٦} ،

وهو إشارة إلى انطفاء ولادة المهدي والتكتم على نشأته بأمر من الله
تعالى ، فلا يطلع عليها إلا قليلٌ من الخلق من أهل العلم والفكر والرواية
والأخبار ومن كان قريباً من الإمام العسكري ، بل أيضاً من كان بعيداً ممن
له دورٌ في بيان وحفظ هذا المعنى من الولادة التي أرادها الله تعالى ، وقد
بيّنا ذلك بتفاصيل مثيرة في كتابنا « موسوعة الإمام المهدي عليه السلام » .

وفي رواية محمد بن أبي يعقوب البلخي قال : سمعت أبا الحسن
الرضا عليه السلام يقول :

« إنكم ستبتلون بما هو أشد وأكبر ، تبتلون بالجنين في بطن أمه ،
والرضيع حتى يُقال : غاب ومات ، ويقولون : لا إمام ، وقد غاب رسولُ
الله صلى الله عليه وآله وغاب وغاب ، وما أنا ذا أموت حتفَ أنفي »^{٣٦٧} ، وهو صريح في
حيرة الولادة والنشأة أي خفائها وما هو في معناها . وفي رواية علي بن عبد

^{٣٦٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٢

^{٣٦٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٥ - ١٨٦

الغفار قال : « لما مات أبو جعفر الثاني عليه السلام كتبت الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام يسألونه عن الأمر ، فكتب عليه السلام : الأمر لي ما دمتُ حياً ، فإذا نزلت بي مقاديرُ الله عزَّ وجلَّ آتاكم الله الخلفُ مني ، ثم قال : وأني لكم بالخلف بعد الخلف (إشارة إلى خفاء ولادة المهدي عليه السلام وقولة الناس فيه ، ثم ما يتلو ذلك من الغيبة عليه السلام) » ^{٣٦٨} .

وفي رواية الحسن بن محبوب الزراد قال : قال لي الرضا عليه السلام :
« يا حسن ، سيكون فتنة صمَّاء صيلم يذهب فيها كلُّ وليجةٍ وبطانة ^{٣٦٩} ، وذلك عند فقدان الشيعة الرابع من ولدي ، يحزن لفقده أهل الأرض والسماء ، كم من مؤمن ومؤمنة متأسِّف متلهِّف حيران حزين لفقده .

قال : ثمَّ أطرق ، ثم رفع رأسه وقال : بأبي وأمي سميَّ جدي ، وشبيهي وشبيه موسى بن عمران ، عليه جيوب النور ، يتوقَّد من شعاع ضياء القدس ، كأني به آيس ما كانوا قد نُودوا نداءً يسمعه من بالبعد كما يسمعه من بالقرب ، يكون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على الكافرين . فقلت : بأبي وأمي أنت ، وما ذلك النداء ؟ قال : ثلاثة أصوات في رجب : أوَّلها : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ، والثاني : أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين ، والثالث : يرون يداً بارزاً مع قرن الشمس ينادي : أَلَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ فُلاناً

^{٣٦٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٢

^{٣٦٩} - وفي رواية أخرى قال : يسقط فيها كلُّ وليجة وبطانة -

(المهدي عليه السلام) على هلاك الظالمين ، فعند ذلك يأتي المؤمنون الفرج ، ويشفي الله صدورهم ، ويذهب غيظ قلوبهم ^{٣٧٠} ، وهو كغيره صريحٌ تماماً في محنة الغيبة وخفاء الولادة وما يقع من بلائات زمن الغيبة الكبرى .

وعن الحيرة التي تقع والتي أشارت إليها طائفة من الأخبار ، وأنها تكون علامةً على ولادة ذلك المولى المعظم الذي أعدّه الله لإقامة العدل في الأرض ، يقول الشيخ النعماني : « أي حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجَمّ الغفير ، ولم يبقَ عليه ممَّن كان فيه إلا التزر اليسير ، وذلك لشكّ الناس ، وضعف يقينهم ، وقلة ثباتهم على صعوبة ما ابتلي به المخلصون الصابرون والثابتون والراسخون في علم آل محمد عليهم السلام الراوون لأحاديثهم هذه ، العالمون بمرادهم فيها ، الدارون لما أشاروا إليه في معانيها ، الذين أنعم الله عليهم بالثبات ، وأكرمهم باليقين ، والحمد لله رب العالمين » ^{٣٧١} ، وذلك في معرض إشارته إلى ما جرى منذ خفاء الولادة والنشأة عن كثير من الخلق ، رغم أنّ آيات وعلامات وبيّنات الولادة تامّة كاملة ، لكن كثيراً من الخلق هجم على الدنيا من باب العمى ، فضلّ كثيرٌ منهم في نفق الظلام وبئر الآثام .

^{٣٧٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٦ * وفي رواية داود ابن كثير الرقي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، قد طال هذا الأمر علينا حتى ضاقت قلوبنا ومتنا كمدأ . فقال : إن هذا الأمر آيس ما يكون منه وأشدّه غمًا ، ينادي مناد من السماء باسم القائم واسم أبيه . فقلت له : جعلت فداك ، ما اسمه ؟ فقال : اسمه اسم نبي ، واسم أبيه اسم وصي » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٦ - ١٨٧] .

^{٣٧١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٢

وعلى هذا المعنى من معرفة ولادته وقيام الآيات والعلامات بذلك ، ما روتهُ طائفة كثيرة جداً من الأخبار ، منها ما رواه جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام وفيه يقول عليه السلام: « يا جابر ، فلا يشكّنّ عليهم ولادته من رسول الله صلى الله عليه وآله ووراثته العلماء : عالماً بعد عالم » ^{٣٧٢} . وفي موضوع خفاء الولادة قال الشيخ المفيد : « أقول : إنّ استتارَ ولادة المهدي بن الحسن بن علي عليه السلام عن جمهور أهله وغيرهم ، وخفاء ذلك عليهم ، واستمرار استتاره عنهم ليس بخارج عن العرف ، ولا مخالفاً لحكم العادات ، بل العلمُ محيطٌ بتمام مثله في أولاد الملوك والسوقه لأسباب تقتضيه لا شبهة فيها على العقلاء » ^{٣٧٣} . إذاً كيف الأمر بسُنن الله تعالى ، وقد تلونا عليك الكثير منها في غيبات النبوات ، وذلك لأمرٍ أرادَهُ الله ، فيه مصلحة الخلق وحقيقة الإختبار وغايات المسار .

ثمّ يقول الشيخ المفيد : « وإذا انتقلنا إلى عصر الغيبة ، نجد أنّ الفقهاء والمتكلمين وهم النواب عن أهل الذكر ، يتكفلون أيضاً بالإجابة على الأسئلة التي تُثار أمامهم ، حيث ألفوا رسائل وكتباً تتناول أسئلة الآخرين والإجابة عليها » ^{٣٧٤} ^{٣٧٥} .

^{٣٧٢} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٨٩ - ٢٩١ *

^{٣٧٣} الفصول العشرة - الشيخ المفيد - ص ٥٣

^{٣٧٤} وقد اتخذتُ تأليف هذه الرسائل والكتب عناوين منتزعة من نفس المادة المتصلة بالسؤال والجواب عن الأمور الشرعية وغيرها ، فجاءت هذه الرسائل والكتب تحمل عناوين مثل السؤال والجواب أو السؤالات والجوابات أو الأسئلة والأجوبة أو غيرها .

وفي رسائل الغيبة قال : « وقد نُقِلَ عن السيد محمد الحميري شعراً
في قصيدةٍ قالها قبل الغيبة بـ « مائة وخمسين سنة » (يذكر فيها غيبة
المهدي عليه السلام) وفيها يقول :

له غيبة لا بدَّ أن سيغيها *

فصلى عليه الله من متغيب *

وعلقَ الشيخ هنا بقوله : فانظروا - رحمكم الله - قولَ السيد هذا ، في
الغيبة - كيف وقع له أن يقوله لولا أنه سمعه من أئمة عليهم السلام ، وأئمة سمعوه
من النبي صلى الله عليه وآله (لأنَّ هذا ممَّا لا تحيط به العقولُ ولا الحواس ، بل أسبابُ
الإطلاع على الغيب من مظانها) « ٣٧٦ .

وعلى هذا النحو من قوله : لا بدَّ منها ، أي من الغيبة ، ورد لسان
كثير من الأخبار والآثار ، منها ما رواه علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن

^{٣٧٥} المسائل العكبرية - الشيخ المفيد - ص ٥

^{٣٧٦} رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٤ - ٥ * وفي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :
« إن لصاحب هذا الأمر غيبة يقول فيها : (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) وفي
رواية أخرى ق للمفضل ابن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " إذا قام القائم تلا هذه الآية : (ففررت منكم لما خفتكم) "
ثم قال النعماني : هذه الأحاديث مصداق قوله : " إن فيه سنة من موسى وإنه خائف يترقب " [كتاب الغيبة - محمد بن
إبراهيم النعماني - ص ١٧٩] . وقال المفيد في رسائله : « ولو ذهبنا إلى ما روي في هذا المعنى لطال به الشرح ، وهذا
السيد ابن محمد الحميري يقول في قصيدة له قبل الغيبة بخمسين ومائة سنة : وكذا روينا عن وصي محمد . وما كان فيما
قاله بالمتكذب . بأن ولي الأمر يُفقد فلا يُرى ستيراً كفعل الخائف المترقب فيقسم أموال الفقيد كأنما تغيبه تحت الصفيح
المنصب فيمكث حياً ثم ينبع تبعه كنبعة دري من الأرض يوهب له غيبة لا بد من أن يغيها فصلى عليه الله من متغيب .
قال : فانظروا رحمكم الله قول السيد هذا القول وهو « الغيبة » كيف وقع له أن يقوله لولا أن سمعه من أئمة ، وأئمة
سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله ، وإلا فهل يجوز لقائل أن يقول قولاً فيقع كما قال ما يخرم منه حرف ؟!!!! عصمنا الله وإياكم من
الهوى ، وبه نستعين ، وعليه تتوكل » [رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ١٣ - ١٥]

جعفر عليه السلام قال : « إذا فُقدَ الخامس من وُلدِ السابع ، فاللهَ اللهُ في أديانكم ، لا يزيلنكم أحدٌ عنها ، يا بني إنه لا بدَّ لصاحبِ هذا الأمرِ من غيبةٍ ، حتى يرجع عن هذا الأمرِ مَنْ كان يقول به . ثم قال : إنما هي « محنةٌ من الله عزَّ وجلَّ امتحن بها خلقه ، ولو علم آباؤُكم وأجدادُكم ديناً أصحَّ من هذه لاتبعوه . فقلت : يا سيدي وما الخامس من وُلدِ السابع ؟ فقال : يا بني عقولكم تضعف عن ذلك وأحلامكم تضيق عن حمله ، ولكن إنَّ تعيشوا فسوف تدر كونه »^{٣٧٧} .

وهذه المتون واردة في الغيبة وضمناً في الإستتار الذي يشمل خفاءَ الولادة والنشأة ، وهو مُصرَّحٌ بحتمه ، بل هو ما قامت عليه أرمية الأخبار ولسان شيوخ الرواية وإقراراتهم جميعاً .

وقد صحَّ عن الأئمة تواتراً أنَّهم أخبروا بخفاءِ ولادة الإمام عن كثيرٍ من الخلق ، فضلاً عن غيبته ، وفي رواية الشيخ الصدوق بإسناده عن علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام قال : « القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يُولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة »^{٣٧٨} .

وفي رواية العباس بن عامر القصباني قال : سمعت أبا الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام يقول : « صاحبُ هذا الأمرِ مَنْ يقولُ الناسُ : لم يُولد

^{٣٧٧} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٩ - ٣٦٠

^{٣٧٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٢ - ٣٢٣

بعد»^{٣٧٩} ، وفي رواية عبد الله بن عطاء قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إنَّ شيعتك بالعراق كثيرون ، فوالله ما في أهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج ؟ فقال : يا عبد الله بن عطاء قد أمكنت الحشو من أذنيك ، والله ما أنا بصاحبكم ، قلت : فمن صاحبنا ؟ قال : انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم »^{٣٨٠} .

وهو صريحٌ في خفاء ولادة المهديِّ بل هو علامةٌ فيه ، وقد أكَّدت الأخبار هذا المعنى ، وكأنَّ لسانها بصورةٍ مستمرةٍ يريد تعريف المهدي بخفاء ولادته أو بطول غيبته ، مؤكِّدةً أنَّ فيه علاماتٍ من الأنبياء ، منها سنَّة خفاء الولادة وطول الغيبة . وفي هذا المعنى ما رواه أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (٣٠/٦٧) فقال : هذه نزلت في القائم ، يقول : إنَّ أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرُونَ أين هو فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِإِمَامٍ ظَاهِرٍ ، يَأْتِيكُمْ بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَحَلَالَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَرَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام : وَاللَّهِ مَا جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَا بَدَأُ أَنْ يَجِيئَ تَأْوِيلُهَا »^{٣٨١} . وهو كلسان غيره من

^{٣٧٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٦٠

^{٣٨٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٥

^{٣٨١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٥ - ٣٢٦ * وفي رواية علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : قلت : ما تأويل قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ فقال عليه السلام : إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون (يعني غيبة المهدي) « [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٦٠ .

الأخبار إمّا يُرَكِّز على خفاء ولادة المهديّ أو غيبته عليه السلام ، وكتاهما سنة في المهدي وعلامة تواتر لسان الأخبار فيها .

وفي رواية المفضل بن عمر قال : قال الصادق عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام ، فهي أرواحنا . فقيل له : يا ابن رسول الله ومن الأربعة عشر ؟ فقال : محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين ، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويُطهّر الأرض من كل جورٍ وظلم »^{٣٨٢} ، وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « يكون بعد الحسين تسعة أئمة ، تاسعهم قائمهم »^{٣٨٣} .

وهو كغيره من المتون عدّ الأئمة عليهم السلام وذكرهم وأخبر بعددهم وصفتهم مع النبيّ والسيدة المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام ثمّ بيّن أنّ المهديّ هو الأخير منهم ، وهو الذي يمتاز بالغيبة ، وهو قائم آل محمّد عليهم السلام .

^{٣٨٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٥ - ٣٣٦

^{٣٨٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٠ * وفي رواية هشام بن سالم قال : قلت للصادق عليه السلام : كيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن ؟ فقال : إنّ الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام ، ألا ترى أنهما كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة وإنّ الله عز وجل جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى عليه السلام أفضل من هارون عليه السلام ، قلت : فهل يكون إمامان في وقت واحد ؟ قال : لا إلا أن يكون أحدهما صامتا مأموما لصاحبه ، والآخر ناطقا إماما لصاحبه ، فأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا . قلت : فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام ؟ قال : لا إنما هي جارية في عقب الحسين عليه السلام كما قال الله عز وجل : « وجعلها كلمة باقية في عقبه » ثم هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٦ - ٤١٧] .

على أن المتون تؤكد أن الله تعالى أجرى في الأئمة سنناً مما قد وقع مع أنبياءه أو أوصيائه عليهم السلام لأمرٍ مقاديرُهُ يعرفها اللهُ تعالى ، ووجه المصلحة يظهر فيها للعقلاء أو يبدو لهم في وقتها أو بعد حين . ولسان هذه الأخبار في السنن طرقها مشهورة ورواؤها كثر ، منها ما رواه أبو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وآله إلى الجن والإنس ، وجعل من بعده الاثني عشر وصياً ، منهم من مضى ، ومنهم من بقي ، وكلٌ وصيٍ جرت فيه سنةٌ من الأوصياء الذين بعد محمدٍ صلى الله عليه وآله على سنة أوصياء عيسى عليه السلام ، وكانوا اثني عشر ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنة المسيح ^{٣٨٤} . وهي تريد التأكيد على مقاساتٍ وصفاتٍ وأدوارٍ ووظائفٍ للمهدي عليه السلام تتقاطع ما ثبت للأنبياء أو خالط أدوارهم من جهةٍ ما .

وفي رواية أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة . قال أبو بصير : فقلت : يا ابن رسول الله ، ومن القائم منكم أهل البيت ؟ فقال عليه السلام : يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى ، ذلك ابنُ سيدة الإماء ، يغيب غيبةً يرتاب فيها المبطلون ، ثم يُظهرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ فيفتح اللهُ على يده مشارقَ الأرض ومغاربها ، وينزلُ روحُ اللهُ عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفهُ وتشرقُ الأرضُ بنورِ ربها ، ولا تبقى في

^{٣٨٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٦

الأرض بقعةٌ عُبدَ فيها غيرُ الله عزَّ وجلَّ إلا عُبدَ اللهُ فيها ، ويكونُ الدِّينُ كُلُّهُ لله ولو كرهَ المشركون «^{٣٨٥} .

وهذه الطوائف تريد التأكيد على طبيعة ما ينتظرُ المهديَّ عليه السلام الذي أعدَّه اللهُ تعالى لما يقع في آخر الزمان من قيام دولة العدل الإلهي وحكومة السماء ، ولسان هذه الأخبار يؤكد طابع الخفاء أو التستر أو الغيبة أو دعايات تشويهيَّة تطال المهديَّ عليه السلام وتسوق فكرة موته وما إلى ذلك ، ويبدو من فصيح بعضها أنَّ إشاعة موته وهلاكه بسبب طول غيبته تكبر وتتعاظم قبيل ظهوره الشريف ، ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : قال لي : يا أبا الجارود ، إذا دارت الفلك ، وقال الناس : مات القائم أو هلك ، بأي وادٍ سلك ، وقال الطالب : أنى يكون ذلك وقد بليت عظامه !!! فعند ذلك فارجوه ، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج «^{٣٨٦} ، ولسانها صريح في دعاية واسعة تريد النيل من حياة المهديَّ عليه السلام وتعمل بكل طاقتها لإعلان هلاكه وما إلى ذلك . لذا فإنَّ القاعدة الروائيَّة تواترت وهي تؤكد لسان السماء على أهل آخر الزمان أنَّ المهديَّ

^{٣٨٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٥ - ٣٤٦

^{٣٨٦} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٦ * [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٦] . وفي رواية زائدة بن قدامة عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " إن القائم إذا قام يقول الناس : أنى ذلك وقد بليت عظامه !؟ " وفي رواية حماد بن عبد الكريم الجلاب قال : ذكر القائم عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : أما إنه لو قد قام لقال الناس : أنى يكون هذا وقد بليت عظامه مذ كذا وكذا ؟!!!! [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٦ - ١٥٧] .

عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجْرَى اللَّهُ فِيهِ سُنَنَ جَمَلَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهِيَ عَلَامَةٌ فِيهِ مَاضِيَةٌ وَصِفَةٌ بِهَا يُعْرَفُ .

ويبدو من لسان الأخبار أنَّ الأئمة كانوا يتدوون تلاوتها ويعلنون حقائقها ويذكرون صفاتها لما تعينه هذه العناوين في المهديِّ المُعَدِّ لإقامة العدلِ الإلهي في الأرض بآخر الزمن ، ففي رواية محمد بن مسلم الثقفِي الطحان قال : « دخلت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد ﷺ ، فقال لي مبتدئاً : « يا محمد بن مسلم إنَّ في القائم من آل محمد ﷺ شبيهاً من خمسةٍ من الرسل : يونس بن متى ، ويوسف بن يعقوب ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، صلوات الله عليهم : فأما شبيهه من يونس بن متى : فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن ^{٣٨٧} ، وأما شبيهه من يوسف بن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ : فالغيبه من خاصته وعامته ، واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته . وأما شبيهه من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فدوام خوفه

^{٣٨٧} وفي رواية علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « لو قد قام القائم لأنكره الناس ، لأنه يرجع إليهم شاباً موقفاً لا يثبت عليه إلا من قد أخذ الله ميثاقه في الدرِّ الأول » وفي غير هذه الرواية قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً » وفي رواية علي بن عمر بن علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « القائم من ولدِّي يغيب غيبه في الدهر ويظهر في صورة شاب ، حتى ترجع عنه طائفة من الناس ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٤] ثم قال الشيخ النعماني : « قالوا عَلَيْهِ السَّلَامُ : تنفرق بهم المذاهب ، وتنشعب لهم طرق الفتن ، ويعترون بلمع السراب من كلام المفتونين ، فإذا ظهر لهم بعد السنين التي يوجب مثلها فيمن بلغه الشيخوخة والكبر وحنو الظهر وضعف القوى شاباً موقفاً أنكره من كان في قلبه مرض ، وثبت عليه من سبقت له من الله الحسنى بما وفقه عليه ، وقدمه إليه من العلم » [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢١٩] .

وطول غيبته وخفاء ولادته وتعب شيعته من بعده ممَّا لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره وأيدَّه على عدوه . وأمَّا شبهه من عيسى عليه السلام : فاختلف من اختلف فيه حتى قالت طائفة منهم : ما وُلِدَ ، وقالت طائفة : مات ، وقالت طائفة : قُتِلَ وصُلِبَ . وأمَّا شبهه من جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله فخروجهُ بالسيفِ وقتله أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله والجبارين والطواغيت ، وأنه يُنصَرُ بالسيفِ والرعب ، وأنه لا تُردُّ له راية . وإنَّ من علامات خروجه : خروج السفيناني من الشام ، وخروج اليماني (من اليمن) وصيحة من السماء في شهر رمضان ، ومناد ينادي من السماء باسمه واسم أبيه ^{٣٨٨} .

وهذه الأخبار تريد أن تُعلم الأمة وتضع بين يديها دروساً حول أمر الله في المهدي وتنصب لها علامات وصفات خاصة فيه . لذا نقرأ آيات في القرآن ضمَّنها الله تعالى الإشارةَ المركِّزةَ إلى تلك الشخصية المُعدَّة لإقامة العدل الإلهي . منها ما روته أم هانئ قالت : « لقيت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فسألته عن هذه الآية ﴿ فلا أقسمُ بالخنس الجوار الكنس ﴾ ؟ فقال عليه السلام : إمام يخنس في زمانه عند انقضاء من علمه .. ثمَّ يبدو كالشهاب الوقَّادِ في ظلمة الليل ^{٣٨٩} . بل تؤكِّد الأخبار غيبة المهدي عليه السلام واستتاره وخفاءه وتشير إليها في مواطن لا تُحصى

^{٣٨٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٧ - ٣٢٨

^{٣٨٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٤ - ٣٢٥

وضمن أشكال لا يمكنك إلا أن تتوقف عندها بدهشة . وهذه المتون صدرت ابتداءً عن النبي وآله عليهم السلام أو ضمن مناسبة ، وبعض الأحيان كان اللجوء إليها يؤكد تجذرها وتعمقها في علم المحتوم ، منها القصة التي جرت بين الإمام الرضا عليه السلام وجماعة من بني هاشم في قضية الإمام محمد الجواد عليه السلام حين قال له بعضهم : « ما كان فينا إمام قط حائل اللون » يريدون نفيه عنه في قضية القافة التي جاءوا بها ، ليكشف الله تعالى عن حقيقة الحال . وبعد أن انتهى الأمر على واقعه وتسليم القوم للإمام الرضا عليه السلام قال : « يا عم ، ألم تسمع أبي عليه السلام وهو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بأبي ابن خيرة الإماء ، ابن النوية الطيبة الفم ، المنتجة الرحم ، ويُلهم ، لعن الله الأعبس وذريته ، صاحب الفتنة ، ويقتلهم سنين وشهوراً وأياماً ، يسومهم خسفاً ، ويسقيهم كأساً مصبرةً ، وهو الطريد الشريد ، الموتور بأبيه وجدّه « صاحب الغيبة » ، يُقال : مات أو هلك ، أي وادٍ سلك ؟؟؟!!! أف يكون هذا يا عم إلا مني . قال : فقلت : صدقت جعلتُ فذاك » ^{٣٩٠} .. وفيه يشير عليه السلام إلى غيبة المهدي عليه السلام الذي يكون من ولد

^{٣٩٠} الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٢٢ - ٣٢٣ * وفي رواية زكريا بن يحيى بن النعمان قال : سمعت علي بن جعفر بن محمد يحدث الحسن ابن الحسين بن علي بن الحسين فقال في حديثه : لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام لما بغى عليه إخوته وعمومه ، وذكر حديثاً طويلاً حتى انتهى إلى قوله : فقلت وقبضت علي يد أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له : أشهد أنك إمام عند الله ، فبكى الرضا عليه السلام ثم قال : يا عم ، ألم تسمع أبي وهو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بأبي ابن خيرة الإماء النوية الطيبة ، يكون من ولده الطريد الشريد ، الموتور بأبيه وجدّه ، صاحب الغيبة ، فيقال : مات أو هلك أي وادٍ سلك ؟ فقلت : صدقت جعلت فذاك « [الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٢٧٥ - ٢٧٦] .

تلك المرأة الجليلة ، ثم يركّزُ على صفاتِ في المهدي هي : غيبة المهدي
عليه السلام إلى درجةٍ يعمُّها الشكُّ رغم آيات اليقين ، ويكثر فيها لسانُ النفي رغم
صريح الدليل ، فمنهم يقول : مات أو هلك ، ومنهم يقول : في أيِّ وادٍ
سلك . إشارةً إلى حملةٍ عنيفةٍ من التشكيك تطال حياة المهدي عليه السلام
وظروفها . كما يشيرُ إلى طابع السفينية التي يتفاقم دورها قتلاً وسفكاً قبيل
وبعد ظهور المهدي عليه السلام . ثم يؤكِّد صفات متواترة في المهدي عليه السلام
أهمُّها الغيبة في الثاني عشر من الأئمة ، فيقرُّ هؤلاء المجادلون مُطيعين .

وفيها تأكيدٌ لمدى تجذُّر غيبة المهدي عليه السلام في الأخبار والروايات
وما يقع على أثرها ، وهي واحدة من معاني الأخبار التي تريد أن تُوصِّل في
الأمة حقيقة الغيبة وظرفها وطبيعتها لبيان لائحة الموجبات - فيما بعد - على
الأمة إذا ما انصاعت لأمر الله تعالى لتتم تكاليفها على وجهها الذي يتناسب
وتلك العبادة الكبرى في خاصَّة « الإنتظار » التي لحظتها الأخبار بنوع من
الإجلال والتعظيم . وهذا ما سنراه فيما بعد إن شاء الله .

وفي رواية الصدوق الثانية عن أمِّ هانئ الثقفية قالت :

« غدوتُ على سيدي محمد بن علي الباقر عليه السلام فقلت له : يا
سيدي ، آيةٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ عرضت بقلبي فأقلقتني وأسهرت ليلي ،
قال عليه السلام : فسلي يا أمِّ هانئ ، قالت :

قلت : يا سيدي ، قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ ﴿ ١٥/٨١ ﴾
الجوار الكنس ﴿ ١٦/٨١ ﴾ قال عليه السلام : نعم المسألة سألتيني يا أمِّ هانئ ، هذا

مولوداً في آخر الزمان ، هو المهديُّ من هذه العترة ، تكونُ له حيرةٌ وغيبةٌ يضلُّ فيها أقوامٌ ، ويهتدي فيها أقوامٌ ، فيا طوبى لك إن أدركته ، ويا طوبى لمن أدركه «^{٣٩١} ، وفيه ما فيه من تعظيم أمر المهدي عليه السلام ، ولأنَّ هذا المقام كبير والوظيفة عظيمة كان لا بدَّ من تكريسه في القرآن الكريم ، والآيات التي أوردها اللهُ تعالى في القرآن كثيرةٌ كنتُ قد أوردتها في موسوعتنا عن الإمام المهدي عليه السلام وهي تشير إلى طابع العظمة الخاصة به عليه السلام وبدوره .

ولأنَّ محنة الغيبة والخفاء شديدة ، كان لا بدَّ من توفير تربة خاصة لأهل ذلك الزمان ، وقد تلونا عليك قسماً من هذه المعاني ، وفي قسم آخر بيَّنت الروايات قواعد محدَّدة للغيبة وطبيعة الإلتزام بها وكيفية متابعة الطاعة والخروج من عهدِ الله تعالى ، منها ما رواه أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : « إنَّ أقربَ الناس إلى الله عزَّ وجلَّ وأعلمهم به وأرأفهم بالناس محمدٌ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ، فادخلوا أين دخلوا وفارقوا من فارقوا - عني بذلك حسيناً وولده عليه السلام - فإنَّ الحقَّ فيهم وهم الأوصياء ومنهم الأئمة ، فأينما رأيتموهم فاتبعوهم ، وإنَّ أصبحتم يوماً لا ترون منهم أحداً (يعني المهدي عليه السلام) فاستغيثوا بالله عزَّ وجلَّ ، وانظروا السُّنة التي كنتم عليها واتبعوها ، وأحبُّوا من كنتم تحبون و أبغضوا من كنتم تبغضون (أي أمر الثقلين) فما أسرع ما يأتيكم الفرج «^{٣٩٢} .

^{٣٩١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٠

^{٣٩٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٨

وهو لسانٌ روائي يريد تأكيد الطاعة على العباد ، مشيراً أن محنة الغيبة لا تخلو من حجة ، وأن مدرك الطاعة يكمن في القرآن والعترة النبوية المعصومة ، وأن النائب والمرجع زمن الغيبة هم الفقهاء الأمناء على الدين ، العارفون للحلال والحرام القادرون على بيان الأحكام ، وما إلى ذلك . وفي رواية أبي علي بن همام قال :

سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول :

سمعت أبي يقول : سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام : « أن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » فقال عليه السلام :

إن هذا حقٌ كما أن النهار حقٌ ، فقيل له : يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك ؟ فقال ابني محمد ، هو الإمام والحجة بعدي ، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية . أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المبطلون ، ويكذب فيها الوقتون ، ثم يخرج فكأنني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة » ^{٣٩٣} .

^{٣٩٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤٠٩ * وفي رواية ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات » وفي رواية أبان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : من عرف الأئمة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه مؤمن هو ؟ قال : لا ، قلت : أمسلم هو ؟ قال : نعم . ثم قال : الشيخ الصدوق : « الإسلام هو إقرار بالشهادتين ، وهو الذي به تحقق الدماء والأموال والثواب على الإيمان ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فقد حقن ماله ودمه إلا بحقهما ، وحسابه على الله عز وجل » وفي رواية ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « من أقر بالأئمة من آبائي وولدي ، وجحد المهدي من ولدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد

وهو صريحٌ مطلقاً في قيام أعلام الحجج إلى يوم القيامة ، وتمام شروط التكليف والطاعة والفرائض والالتزام في كافة أحوال آخر الزمان . وعلى هذا النحو جاءت متون الأخبار مطبقةً على ضرورة لزوم الحجّتين : القرآن والعتره النبويّة المعصومة .

وعلى هذا المعنى من وجوب الثبات على ميثاق القرآن والعتره النبويّة بكلِّ ما بيّنه هذان المدر كان الإلهيَّان من حلالٍ وحرامٍ وقيمٍ ومبادئٍ وأحكامٍ ، على هذا المعنى طوائف كثيرة من الأخبار منها ما رواه جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : « يأتي على الناس زمانٌ يغيبُ عنهم إمامهم (يعني المهدي عليه السلام) فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان . ثمَّ قال عليه السلام : إنّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم البارئ جل جلاله فيقول : عبادي وإمائي ، آمنتم بسرّي وصدقتم بغيبي ، فأبشروا بحُسن الثواب مني ، فأنتم عبادي وإمائي حقاً ، منكم أتقبّل ، وعنكم أعفو ، ولكم أغفر ، وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء ، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي » ^{٣٩٤} .

محمّداً عليه السلام . فقلت : يا سيدي : ومن المهدي من وُلدك ؟ قال : الخامس من وُلد السابع ، يغيب عنهم شخصه ولا يحل لهم تسميته (لا تحل تسميته زمن الغيبة الصغرى) [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٠ - ٤١١] .
^{٣٩٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٠ * وكذا في رواية صفوان بن مهران عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : من أقر بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمّداً عليه السلام نبوته ، فقيل له : يا ابن رسول الله فمن المهدي من وُلدك ؟ قال : الخامس من وُلد السابع ، يغيب عنكم شخصه » وأيضاً في رواية صفوان بن مهران عن الصادق . ولسان هذه الروايات كثيرٌ [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٣] .

وعلى هذا المعنى التعظيمي لأولئك المنتظرين الثابتين على أمر الله تعالى المحلّين حلاله المحرّمين حرامه ، معنى ما رواه يونس بن عبد الرحمن قال : « دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله ، أنت القائم بالحق ؟ فقال عليه السلام : « أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عز وجل ويملاها عدلاً كما ملأت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه ، يرتد فيها أقوامٌ ويثبت فيها آخرون . ثم قال عليه السلام : طوبى لشيعتنا ، المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا ، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا ، أولئك منا ونحن منهم ، قد رضوا بنا أئمة ، ورضينا بهم شيعة ، فطوبى لهم ، ثم طوبى لهم ، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة » ^{٣٩٥} .

وهذا من المتون الفاخرة الظاهرة بتكريم أولياء الله الذين يُنعتون بأصحاب البصائر لشدة دينهم ويقينهم والتزامهم أمر الله تعالى وتمسكهم بالثقلين ولاءً والتزاماً في الفكر والعمل وصياغة الجماعة والاجتماع في زمن الغيبة . وذلك لصحة المدرك ، وتمام البيّنة ، وعلو شأن الحجّة ، وظهور البراهين ، وانكشاف القانون الرباني ، واستمرار التكاليف .

ومعه تريد الأخبار أن تقول : فررض الطاعة في ذلك الزمان تامّة ، ومدرك الحجّة مشهور ، وأعلام الهداية منصوبة ، وعلى العباد اتباع أمر الله

^{٣٩٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٦١

في تلك المحنة والصعاب التي تقع في آخر الزمان ويكون فيها المهديُّ عليه السلام مستتراً حتى يأذن الله تعالى له بالظهور^{٣٩٦}.

وهكذا قرّرت الأخبار علينا وجوب التزام أمر القرآن وأهل البيت عليهم السلام، ولزوم الطاعة على هذا المعنى، فإذا غاب المهديُّ، فعليكم بالأمر الأوّل، أي التزام ما سبق من النبيّ والأئمّة ومرجعيّة القرآن، حتى يأذن الله للمهديّ بالظهور، ففي رواية علي بن الحارث بن المغيرة عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «يكون فترة لا يعرف المسلمون فيها إمامهم؟ فقال عليه السلام: يُقال ذلك. قلت: فكيف نصنع؟ قال: إذا كان ذلك فتمسكوا بالأمر الأوّل حتى يبين لكم الآخر»^{٣٩٧}، وفي رواية زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يأتي على الناس زمانٌ يغيب عنهم إمامهم (يعني المهدي عليه السلام) . فقلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟ قال عليه السلام: يتمسكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبين لهم»^{٣٩٨}. وهو صريح مطلقاً بوجوب التمسك بالثقلين والتزام ولايتهما والنزول على حلالهما وحرامهما، حتى يتم الله أمر قائمه المهدي عليه السلام. وقد أكّدت المسموعات ابتداءً أنّه لا بدّ من ذلك، ثمّ أفردت ما يجب التزمّة، ففي رواية محمد بن منصور

^{٣٩٦} وفي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: (فإذا نفر في المناقور) قال: إنّ منا إماماً مستتراً، فإذا أراد الله عز وجل إظهار أمره نكت في قلبه نكتة، فظهر فقام بأمر الله عز وجل « [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٣].

^{٣٩٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦١

^{٣٩٨} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٠

الصيقل عن أبيه منصور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إذا أصبحت وأمسيت يوماً لا ترى فيه إماماً من آل محمد فأحب من كنت تحب ، وأبغض من كنت تبغض ، ووال من كنت توالي ، وانتظر الفرج صباحاً ومساءً »^{٣٩٩} .

إذاً : انتظار الفرج يعني أن تُحب في الله وأن تبغض في الله ، وأن تنزل على ولاية أولياء الله (النبي والأئمة عليهم السلام) وأن تحل حلال الثقلين ، وتحرم حرامهما ، وتقيم أمر الإسلام في كل شيء مهما أمكنك ، فإن هذا معنى انتظار الفرج بصريح الأخبار .

وفي رواية عبد الله بن سنان قال :

« دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله عليه السلام فقال : كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى ، ولا علماً يُرى ، فلا ينجو من تلك الحيرة إلا من دعا بدعاء الغريق (كناية عن عظيم المحنة) ؟؟

فقال أبي : هذا والله البلاء ، فكيف نصنع جعلت فداك حينئذ ؟ قال عليه السلام : إذا كان ذلك - ولن تدركه - فتمسكوا بما في أيديكم حتى يتضح لكم الأمر »^{٤٠٠} ، أي التزام أمر الثقلين : كتاب الله والعترة النبوية المعصومة ، فتحل حلالهما وتحرم حرامهما ، وتقيم أمر الإسلام في كل

^{٣٩٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦١ * وفي رواية عمر بن عبد العزيز عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال عليه السلام : « إذا أصبحت وأمسيت لا ترى إماماً تأتم به فأحب من كنت تحب ، وأبغض من كنت تبغض حتى يظهره الله عز وجل » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٨] .

^{٤٠٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦١ - ١٦٢ [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٨ - ٣٤٩] .

صغيرة وكبيرة أنت قادرٌ عليها ، فإنَّ أنتَ فعلتَ هذا فقد أقمتَ عبادة
الانتظار ، وإنَّها لأحسنُ العبادة .

على أنَّ الآثار في هذا المعنى كثيرة وصريحة وهي تؤكد طابع التزم
أمر الإمامة والقرآن حتى يُتِمَّ اللهُ أمره في المهديِّ فيظهر ، وفي رواية
الحارث بن المغيرة النصري عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : « إنا نروي
بأنَّ صاحب هذا الأمر يُفقدُ زماناً فكيف نضع عند ذلك ؟ قال : تمسَّكوا
بالأمر الأوَّل الذي أنتم عليه حتى يبين لكم »^{٤٠١} ، وفي رواية يونس بن
يعقوب ، عن أثبته ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كيف أنتم إذا بقيتم دهرًا
من عمركم لا تعرفون إمامكم ؟ قيل له : فإذا كان ذلك فكيف نضع ؟ قال :
تمسَّكوا بالأمر الأوَّل حتى يستبين لكم »^{٤٠٢} ،

أي تمسَّكوا بالثقلين : كتاب الله والنبي والأئمَّة السابقين عليهم السلام ،
وكونوا على العهود التي أخذها اللهُ عليكم في مطاوي الإسلام وصریح أمره
ونهيهِ ، والتزموا الجادَّة حتى يظهر لكم ، فإنَّه من المقطوع أنَّه يظهر فيقيم
أمر الله تامًّا ويقود البشر على عهد الإسلام . وفي رواية هشام بن سالم عن
الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « القائمُ من
وُلدي اسمه اسمي ، وكُنيتُهُ كُنيتي ، وشمائله شمائلي ، وسُنَّته سنَّتي ، يُقيم
الناسَ على ملَّتِي وشريعتي ، ويدعوهم إلى كتابِ ربي عز وجل ، مَنْ أطاعه

^{٤٠١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٢

^{٤٠٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٨

فقد أطاعني ، ومَن عصاه فقد عصاني ، ومَن أنكره في غيبته فقد أنكرني ،
 ومَن كذَّبهُ فقد كذَّبني ، ومَن صدَّقه فقد صدَّقني ، إلى الله أشكو المكذِّبين
 لي في أمره ، والجاحدين لقولي في شأنه ، والمضلين لأمتي عن طريقته .
 وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »^{٤٠٣} ، وهو صريحٌ بعلوِّ المقام ،
 وعظيم الشأن ، ورفيع الصفة ، فضلاً عن الدور الوظيفي الأعظم الذي أعدَّ
 اللهُ المهديَّ من أجله ، وفق مشروطة ما أشرنا إليه من قيام فروض الطاعة ،
 ولزوم الإسلام في شتَّى الأزمان ، وقيام مفهوم الإنتظار على ضابطة التكليف
 وما إليه . وعليه : شرطُ الإنتظار التزامٌ موثيق النبوة والإمامة والقرآن حتى
 يتمَّ اللهُ أمره في القائم المهديِّ عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما
 ملأت ظلماً وجوراً .

وفي رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبيه عن أبي عبد
 الله الصادق عليه السلام - في حديث طويل - قال في آخره : « كيف يهتدي مَن
 لم يُبصر ؟ وكيف يبصر من لم ينذر ، اتبعوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وأقرُّوا بما
 نزل من عند الله عز وجل ، واتبعوا آثار الهدى فإنَّها علاماتُ الأمانة
 والتقى ، واعلموا أنه لو أنكر رجلٌ عيسى بن مريم عليه السلام وأقرَّ بمن سواه من
 الرسل عليهم السلام لم يُؤمن ، اقصدوا الطريقَ بالتماس المنار ، والتمسوا من وراء
 الحجب الآثار تستكملوا أمر دينكم ، وتؤمنوا بالله ربِّكم »^{٤٠٤} .

^{٤٠٣} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١١

^{٤٠٤} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١١ - ٤١٢

وهي صريحة في ضرورة لزوم الشرع ، واتباع القانون الإلهي ،
والإنقياد لأمر الله المتمثل بالثقلين اللذين تواتر الخبر بأنهما حجّة الله على
الخلق إلى قيام الساعة . وهي صريحة مطلقاً في أنّ وظيفة المنتظرين زمن
الغيبة هي فعل الإسلام ، ولزوم الإيمان ، وتطبيق قانون الشرع في كلّ ناحية
أمكن ذلك .

وكذا لسان الأخبار التي تحدّثت عن انكماش العلم ، أي في واحدٍ
من أكبر نماذجها : غيبة المهدي عليه السلام ، دعت إلى لزوم الثقلين والتزام أمر
من سبق من الأئمة عليهم السلام ، ففي رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام
قال : « يأتي على الناس زمان يصيبهم فيها سبطة يأرز العلم فيها كما تأرز
الحية في جحرها ، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم نجم ، قلت : فما
السبطة ؟ قال : الفترة . قلت : فكيف نضع فيما بين ذلك ؟ فقال : كونوا على
ما أنتم عليه حتى يطلع الله لكم نجمكم^{٤٠٥} »^{٤٠٦} ، وهي كغيرها صريحة
بوجوب التزام أمر الله في الثقلين ، واعتناق الإسلام بشئى وظائف الطاعة في
كافة قطاع العبادات والمعاملات ضمن القدرات والإمكانات .

^{٤٠٥} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٩]

^{٤٠٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٢ * وفي رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :
كيف أنتم إذا وقعت السبطة بين المسجدين ، فأرز العلم فيها كما تأرز الحية في جحرها ، واختلفت الشيعة بينهم ،
وسمى بعضهم بعضاً كذابين ، ويتفل بعضهم في وجوه بعض ؟ فقلت : ما عند ذلك من خير ؟ قال : الخير كله عند ذلك -
يقوله ثلاثاً ويريد بذلك قرب الفرج [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٢ - ١٦٣] . وفي رواية أبان
بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : كيف أنت إذا وقعت البطشة ، وذكر مثله بلفظه .

وفي رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « يا أبان ،
يصيب العالم سبطة يأرز العلم بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها .
قلت : فما السبطة ؟ قال عليه السلام : دون الفترة ، فبينما هم كذلك إذ طلع لهم
نجمهم ، فقلت : جعلت فداك ، فكيف نضنع وكيف يكون ما بين ذلك ؟
فقال لي : ما أنتم عليه حتى يأتيكم الله بصاحبها »^{٤٠٧} ، هكذا أطبقت الأخبار
على لزوم الطاعة والنزول على ولاية الثقلين : القرآن والعتره النبوية
المعصومة وانتظار الفرج . وهي تعني أنّ شرط الإنتظار موقوف على لزوم
شرع الله تعالى وتطبيقاته في شتى نواحي الحياة ، وضرورة تمكين الإسلام
في حياتنا وحياة أمتنا ، وفي كافة هياكل المجتمع المدني والمؤسسات
السياسية وغيرها .

ومعلوم بالضرورة أنّ حجّة الله على الخلق لا تنقطع ، وقد ثبت
تواتراً عن النبي صلى الله عليه وآله وبإطباق الصحاح والمجامع أنّ النبي أعلن حجّة الله
على الخلق إلى قيام الساعة في حديث الثقلين ، مصرّحاً أنّ القرآن وأهل
بيت النبوة المعصومين هم حجّة الله على العباد حتى يوم الدين ، وقد سمّا
النبي صلى الله عليه وآله الأئمة عليهم السلام من أهل بيته وهم إثنا عشر ، وقد أطبقت الأخبار
تواتراً أنّهم إثنا عشر ، وقد أعلن القرآن عصمتهم في آية التطهير وغيرها
وتواترت الأخبار في هذا المعنى التام من العصمة الكاملة . فافهم رحمك
الله واحفظ أمر مولاك .

^{٤٠٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٦٣

محنة الغيبة ودعاية المُبطلين بموت المهدي عليه السلام قبيل ظهوره

توالت الأخبار التي تؤكد على الأمم القادمة أنّ القائم المهديّ المعدّ لإقامة العدل الإلهي وصاحب دولة آل محمّد لا بدّ له من غيبةٍ موصوفة ، لهذه الغيبة عناوين ومظاهر ، وعلى الخلق موجبات ولهم حقوق . الأخبار في هذا المعنى كثيرة وشديدة التواتر ، منها ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن الأصبغ عن الإمام علي قال : « ولكن فكري في مولود يكون من ظهري ، الحادي عشر من ولدي ، هو المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً تكون له حيرة وغيبة يضلّ فيها أقوامٌ ويهتدي فيها آخرون . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فكم تكون تلك الحيرة والغيبة ؟ فقال : سبت من الدهر . فقلت : إنّ هذا لكائن ؟ فقال : نعم ، كما أنه مخلوق . قلت : أدرك ذلك الزمان ؟ فقال : أتى لك يا أصبغ بهذا الأمر ؟ أولئك خيارُ هذه الأمة مع أبرار هذه العترة . فقلت : ثم ماذا يكون بعد ذلك ؟ قال : ثم يفعل الله ما يشاء ، فإن له إرادات وغايات ونهايات »^{٤٠٨} ، وهو صريحٌ في

^{٤٠٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٦٩ * وفي هذا المعنى ما رواه الصقر بن أبي دلف قال : لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن عليه السلام جنتُ لأسأل عن خبره ، قال : فنظر إليّ حاجب المتوكل فأمر أن أدخل إليه ، فأدخلت إليه ، فقال : يا صقر ما شأنك ؟ فقلت : خيراً أيها الأستاذ ، فقال : اقعد ، قال الصقر : فأخذني ما تقدّم وما تأخر ، وقلت : أخطأت في المجيء قال : فوحى الناسُ عنه ، ثمّ قال : ما شأنك وفيهم جنت ؟ قلت : لخبر ما ، قال : لعلك جنتَ تسأل عن

القيمة التكريمية التي جرت على لسان الإمام علي عليه السلام لولده الموعود الذي نزل الحتم فيه وقطعت به الوعود الربانية ، مشيراً إلى أهل الإيمان الذين يثبتون على أمر المهدي عليه السلام وما يكون لهم من مقاماتٍ وخصائصٍ إلهيةٍ وما إلى ذلك .

وكذا المتون تامة اللسان في هذا المعنى من حتمية الغيبة وطبيعة موقعها وأدوارها ، ففي رواية الغيبة للشيخ النعماني قال : « إنَّ القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبه يوسف ، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم ، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر ، وخراب الزوراء ، وهي الري ، وخسف المزورة وهي بغداد ، وخروج السفيناني ، وحرب ولد العباس مع فتيان

خير مولاك ؟ فقلت له : ومن مولاي ؟ مولاي أمير المؤمنين . فقال : اسكت ، مولاك هو الحق لا تتحشمني فإني على مذهبك ، فقلت : الحمد لله ، فقال : أتحب أن تراه ؟ فقلت : نعم ، فقال : اجلس حتى يخرج صاحب البريد ، قال : فجلست فلما خرج قال : لعلام له : خذ بيد الصقر فأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس وخل بينه وبينه ، قال : فأدخلني الحجرة وأوماً إلى بيت ، فدخلت فإذا هو عليه السلام جالس على صدرٍ حصيرٍ وبحدأةٍ قبرٍ محفور ، قال : فسلمتُ ، فردَّ عليَّ السلام ، ثم أمرني بالجلوس فجلست ، ثم قال لي : يا صقر ما أتى بك ؟ قلت : يا سيدي جئتُ أتعرفُ خبرك ، قال : ثم نظرتُ إلى القبر وبكيت ، فنظر إليَّ وقال : يا صقر لا عليك لن يصلوا إلينا بسوء ، فقلت : الحمد لله ، ثم قلت : يا سيدي حديثٌ يروى عن النبي صلى الله عليه وآله لا أعرفُ معناه ، قال : فما هو ؟ قلت : قوله صلى الله عليه وآله : " لا تعادوا الأيام فتعاديكم " ما معناه ؟ فقال : نعم ، الأيام نحن ، بنا قامت السماوات والأرض ، فالسبت : اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، والأحد أمير المؤمنين ، والاثني عشر والحسن والحسين ، والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق ، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا ، والخميس ابني الحسن ، والجمعة ابن ابني وإليه تجتمع عصابة الحق ، وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً ، فهذا معنى الأيام ولا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة ، ثم قال عليه السلام : ودع وأخرج ، فلا آمن عليك (من القوم) « وفي رواية أخرى للصقر بن أبي دلف قال : سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول : إنَّ الإمام بعدي الحسن ابني ، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً [كمال الدين وتعمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٨٢ - ٣٨٣] .

أرمينية وأذربيجان ، تلك حرب يقتل فيها ألوف وألوف ، كلُّ يقبضُ على سيف محليّ ، تخفق عليه راياتُ سود ، تلك حرب يشوبها الموت الأحمر والطاعون الأغر «^{٤٠٩} .

وفي رواية زرارة بن أعين عن الصادق عليه السلام قال : « إن للقائم غيبة قبل أن يقوم »^{٤١٠} ، وفي رواية هانئ التمار قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة ، فليتق الله عبداً وليتمسك بدينه »^{٤١١} . والأخبار في هذا المعنى متواترة ، وصريحة وكثيرة الطبقات والوسائط .

وكذا نقرأ طائفةً أخرى تنقل لنا شياخ غيبة المهدي عليه السلام على لسان أصحابهم الذين كانوا يسألون عنها ويتحدثون بها وما يقع فيها ، وشدة المحنة التي تطرأ في آخر الزمان بحيث تشعر أنها كانت من بديهيات الأسماع . ففي رواية حيان السراج عن السيد بن محمد الحميري - في حديث طويل - قال فيه : قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام : « يا ابن رسول الله ، قد رُوي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها ، فأخبرني بمن تقع ؟ فقال عليه السلام : « إنَّ الغيبة ستقع بالسادس من وُلدي ، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم القائم بالحق ، بقيَّة الله في الأرض ، و صاحب

^{٤٠٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٤٨

^{٤١٠} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٣

^{٤١١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٣

الزمان ، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^{٤١٢} . وهذا لسان تأكيدي لحقيقة ما سيقع وأنه من المحتوم الذي لا بد منه ، دون توقيتٍ أو بيان زمن لحد الغيبة وطولها . لكن المقطوع به أنها تنتهي ويظهر على أثرها قائم الحق فيقيم دولة العدل الإلهي ويقود البشر على هذا النحو من منظومة الإسلام المحمّدي .

وعلى الأثر تنقلنا المتون إلى صعوبة ما يقع في الغيبة وانقلابات البشر وانحرافاتهم وقيام الظلم على سكتته وتعالى راية الحرام وشدة بنیان الفراعنة الذين يجوبون الأرض سفكاً وفساداً مع ما تعنيه تلك العناوين من محنة وصعاب .

بتعبير آخر : يجري في الغيبة أمورٌ عظام ، من موتٍ وقتلٍ ومجاعات ، وانقسامات ، وثورات ، وإبادات ، وانحرافاتٍ ، وطاعونٍ متنقلٍ ، ومحناتٍ عظام ، وهذا بمظهره يشكّل مادةً اختباريةً للبشر في آخر الزمان . خاصة أن الأخبار تكشف عن قوم فسقة فجرة يستغلون إسم المهدي عليه السلام لغاياتٍ محرّمة وانحرافاتٍ خطيرة ، نُبّهت الأخبار منهم وحذرت من اتباعهم لأنهم يخرجون عن موثيق القرآن والعترة النبوية في الحلال والحرام والقيم والمبادئ ، ففي رواية عمرو بن سعد قال : قال أمير

^{٤١٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٢

المؤمنين عَلَيْهِمُ السَّلَامَةُ : « لا تقوم القيامةُ حتى تَفْقَأَ عَيْنُ الدُّنْيَا ، وتظهر الحمرةُ في السماء ، وتلك دموعُ حملة العرش على أهل الأرض حتى يظهر فيهم عصابةٌ لا خلاقَ لهم يدعون لولدي وهم براء من ولدي ، تلك عصابة رديئة لا خلاقَ لهم ، على الأشرار مسلطة ، وللجبابرة مفتنة ، وللملوك مبيسة ، تظهر في سواد الكوفة ، يقدمهم رجل أسود اللون والقلب ، رث الدين ، لا خلاق له ، مهجن زنيم عتل ، تداولته أيدي العواهر من الأمهات من شر نسل لا سقاها الله المطر في سنة إظهار غيبة المتغيب من ولدي صاحب الراية الحمراء والعلم الأخضر ، أي يوم للمخبيين بين الأنبار وهيت ، ذلك يوم فيه صيلم الأكراد والشراة ، وخراب دار الفراعنة ، ومسكن الجبابرة ، ومأوى الولاة الظلمة ، وأم البلاء وأخت العار ، تلك وربُّ عليٍّ يا عمرو بن سعد بغداد ، ألا لعنة الله على العصاة من بني أمية وبني العباس الخونة الذين يقتلون الطيبين من ولدي ، ولا يراقبون فيهم ذمتي ، ولا يخافون الله فيما يفعلونه بحرمتي ، إنَّ لبني العباس يوماً كيوم الطموح ، ولهم فيه صرخة كصرخة الحبلى ، الويل لشيعة وُلد العباس من الحرب التي سنح بين نهاوند والدينور ، تلك حرب صعاليك شيعة علي ، يقدمهم رجلٌ من همدان اسمه على اسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، منعوت موصوف باعتدال الخلق ، وحُسن الخلق ، ونضارة اللون ، له في صوته ضجاج ، وفي أشفاره وطف ، وفي عنقه سطع ، أفرق الشعر ، مفلج الثنايا ، على فرسه كبدر تمام إذا تجلى عنه الظلام ، يسير بعصابة خير عصابة آوت وتقربت ودانت لله بدين تلك الأبطال من

العرب الذين يلقحون حرب الكريهة ، والدبرة يومئذ على الأعداء ، إنَّ للعدو يومذاك الصيلم والاستئصال»^{٤١٣} .

وتحت هذا العنوان وما يقع في تلك الأعصار روى الحارث الأعور الهمداني قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر : إذا هلك الخطاب وزاغ صاحب العصر ، وبقيت قلوب تتقلب من مخصب ومجدب ، هلك المتمنون ، واضمحلاً المضمحلون ، وسي المؤمنون ، وقليل ما يكونون ثلاثمائة أو يزيدون ، تجاهد معهم عصابةً جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر لم تقتل ولم تمت»^{٤١٤}

وهي كغيرها تؤكد طابع المحنة التي تطال الخلق والتي يكون منها قومٌ يريدون استغلال اسم المهدي عليه السلام فيقومون بأفعالٍ وصياغاتٍ محرمةٍ وباطلةٍ ، ويَجِدُونَ مِنَ الجابرة والفراعنة في ذلك الزمان مَنْ يدعم مشاريعهم التضليلية بهدف نسف القيمة الحقيقية من طابع الغيبة ومعنى الانتظار ، لذا نجد الأئمة عليهم السلام يحذرون أهل الدين والبصائر من أتباع أهل الإنحراف والأباطيل ، مؤكدين عليهم ضرورة لزوم الشرع ، وإتقان التمسك

^{٤١٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٤٩ - ١٥١

^{٤١٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٢ * قال الشيخ النعماني : « معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام : " وزاغ صاحب العصر " أراد صاحب هذا الزمان الغائب ، من الزائغ عن أبصار هذا الخلق لتدبير الله الواقع ، ثم قال : " وبقيت قلوب تتقلب من مخصب ومجدب " وهي قلوب الشيعة المتقلبة عند هذه الغيبة والحيرة ، فمن ثابت منها على الحق مخصب ، ومن عادل عنها إلى الضلال وزخرف المقال مجدب » ثم قال : " هلك المتمنون " ذمماً لهم ، وهم الذين يستعجلون أمر الله ولا يُسَلِّمُونَ له [كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٢] .

العملي والوظيفي والأخلاقي والمرجعي بالقرآن والعترة النبوية المعصومة ،
 من تلك الطوائف ما رواه علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام
 قال : « إذا فقدَ الخامسُ من وُلدِ السابعِ ، فالله الله في أديانكم ، لا يزيلنكم
 عنها ، فإنه لا بدَّ لصاحبِ هذا الأمرِ من غيبةٍ حتى يرجع عن هذا الأمرِ مَنْ
 كان يقول به ، إنما هي محنةٌ من الله يمتحنُ اللهُ بها خلقه ، ولو علم آباؤكم
 وأجدادكم ديناً أصحَّ من هذا الدينِ لا تبعوه . قلت : يا سيدي ، مَنْ الخامس
 من وُلدِ السابعِ ؟ فقال : يا بُني ، عقولكم تصغرُ عن هذا ، وأحلامكم تضيق
 عن حملة ، ولكن إنَّ تعيشوا فسوف تدركونه (أي تدركون معناه) »^{٤١٥}

لذا : شدَّدت المتون معانيها على الحذر من قومٍ يُريدون أن يُبطلوا
 أمرَ المهديِّ من خلال إشاعة موت المهدي وادِّعاء أنه لا وجود له ،
 وهكذا . الأخبار في هذا المعنى كثيرة ، يقول الإمام علي عليه السلام : « صاحب
 هذا الأمرِ من وُلدي هو الذي يُقال : مات ، أو هلك ، لا بل في أيِّ وادٍ
 سلك »^{٤١٦} ، وفي رواية المفضل بن عمر قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما
 علامة القائم ؟ قال عليه السلام : « إذا استدارَ الفلك فقليل : مات أو هلك في أيِّ
 وادٍ سلك . قلت : جُعِلتُ فداك ، ثمَّ يكون ماذا ؟ قال عليه السلام : لا يظهر إلا
 بالسيف »^{٤١٧} ، وهذا كسابقه يشير إلى طغيانٍ دعائي عنيف يُريد اغتيال

^{٤١٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٥ - ١٥٦

^{٤١٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٨

^{٤١٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٩ « قال الشيخ المفيد : « ذكر الشيخ في هذا المورد عدَّةً من
 علامات الظهور ، فلما ظهر ذلك من السلف من آباء صاحب الزمان عليه السلام وتحقق عند سلطان كلِّ زمان وملك كلِّ أوان ،

حقيقة المهديّ ويوظّف جماعات وقنوات وصيغ وهياكل ودعوات كثيفة تحاول شطب حقيقة المهديّ عليه السلام ، وهذه واحدة من المحنة الحادّة التي تطال الكثير في آخر الزمن .

فيما طائفة أخرى تشير إلى ضلالة البعض من الشيعة حيث يتبعون أهل الضلالة والانحراف ، ففي رواية عبد الكريم قال : ذكّرَ عند أبي عبد الله عليه السلام القائم عليه السلام فقال : « أنى يكون ذلك ولم يستدر الفلك حتى يُقال : مات أو هلك ، في أي واد سلك ؟ فقلت : وما استدارة الفلك ؟ فقال : اختلاف الشيعة بينهم »^{٤١٨} ، وهذه من الطوائف التي تريد أن تشير إلى قوم منحرفين من الشيعة يكون لهم صلة مع فراغنة الزمان وطغائه ، فيتواطؤون بأشكالٍ مختلفة في محاولةٍ منهم لإبطال أمر الله وتضليل المؤمنين في تلك المحنة ، على أنّ الحقبة التاريخية كشفت عن قوم عاشوا هذه الفكرة وتواطؤوا مع سلطان زمانهم في محاولةٍ منهم لتضليل المؤمنين . وتحت هذا المعنى الذي أوردته الأخبار السالفة قال الشيخ النعماني وهو من كبار طبقات المؤلفين في هذا المعنى القريب من زمن الغيبة : « وهذه الأحاديث

علموا من الأئمة الماضين عليهم السلام أنهم لا يتديّنون بالقيام بالسيف ، ولا يرون الدعاء إلى أنفسهم ، وأنهم ملتزمون بالتقية وكف اليد وحفظ اللسان والتوفر على العبادات والانقطاع إلى الله بالأعمال الصالحات . لما عرف الظالمون من الأئمة هذه الحالات : أمنوهم على أنفسهم ، مطمئنين بذلك إلى ما يدبرونه من شؤون أنفسهم ، ويحققوه من دياناتهم ، وكفهم ذلك عن الظهور والانتشار ، واستغنوا به عن الغيبة والاستتار . لكن إمام هذا الزمان عليه السلام لما كان هو المشار إليه بسيف السيف والجهاد لأعدائه وأنه هو المهدي الذي يُظهر الله به الحق ويبيد بسيفه الضلال ، كان الأعداء يترصدونه ويغنون قتله ويطلبون قتله وسفك دمه » [رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد - ج ٣ - ص ٤] .

^{٤١٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٩

دالة على ما قد آلت إليه أحوال الطوائف المنتسبة إلى التشيع ممن خالف الشريعة المستقيمة على إمامة الخلف (المهدي) بن الحسن بن علي عليه السلام ، لأن الجمهور منهم من يقول في الخلف : أين هو ؟ وأنى يكون هذا ؟ وإلى متى يغيب ؟ وكم يعيش هذا ؟ وله الآن نيف وثمانون سنة ، فمنهم من يذهب إلى أنه ميت ، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بوحدة ، ويستهزئ بالمصدق به ، ومنهم من يستبعد المدّة ويستطيل الأمد ، ولا يرى أن الله في قدرته ونافذ سلطانه وماضي أمره وتدبيره قادر على أن يمدّ لوليّه في العمر كأفضل ما مدّه ويمدّه لأحدٍ من أهل عصره وغير أهل عصره ، ويظهر بعد مضي هذه المدّة وأكثر منها .. فكيف ينكر لحجّة الله أن يعمره أكثر من ذلك ، وأن يجعل ذلك من أكبر آياته لأنه حجته الكبرى التي يُظهر دينه على كل الأديان ويغسل بها الأرجاس والأدران كأنه لم يقرأ في هذا القرآن قصة موسى عليه السلام في ولادته ، وما جرى على النساء والصبيان بسببه من القتل والذبح حتى هلك في ذلك الخلق الكثير تحرّزاً من واقع قضاء الله ونافذ أمره ، حتى كونه الله عزّ وجلّ على رغم أعدائه ، وجعل الطالب له المفني لأمثاله من الأطفال بالقتل والذبح بسببه هو الكافل له والمربي ، وكان من قصته في نشوئه وبلوغه وهربه في ذلك الزمان الطويل ما قد نبأنا الله في كتابه حتى حضر الوقت الذي أذن الله عزّ وجلّ في ظهوره فظهرت ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ تَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ^{٤١٩}

^{٤١٩} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٥٩ - ١٦٠

وعليه : تؤكِّد الأخبار طابع ظاهرة تنفاقم قبيل الظهور ويُراد منها القيام بمحاولاتٍ كثيفة لإبطال أمر المهدي عليه السلام . إلا أنَّ كثافة الحجج تُبطل أمرَ هذه الجماعة وتدحض محاولاتها الواهنة .

وتكون فترة الغيبة ذات محنةٍ متواصلة بأشكالٍ مختلفة ، ويبدو من لسان طائفة أنَّ أشكالاً منها تكون قاسية وضاغطة على أهل الإيمان ، ففي رواية يمان التمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسِّكُ فيها بدينه كالخارطِ لشوك القتاد بيده - ثمَّ أومى أبو عبد الله عليه السلام بيده هكذا - قال : فأَيْكُمْ يمسك شوك القتاد بيده ؟؟؟ ثمَّ أطرق ملياً ، ثم قال : إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتَّق الله عبداً وليتمسِّك بدينه » ^{٤٢٠} .

وهكذا : الأخبار صريحة بشتى ألفاظها بهذا النحو من المحنة والاختبار وضرورة التمسُّك بأمر الله تعالى ولزوم الثقلين وإتمام العبادة وفق مشروطة الإسلام ، فمن ترك أمر الله فقد نحر نفسه وضلَّ وأضلَّ .

^{٤٢٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٣ - ١٧٤

الغيبتين وفرائض العباد فيهما

تكرَّرَ بيانُ النبيِّ والأئمَّةِ عليهم السلام لغيبة المهدي عليه السلام وجاءت الأخبار لتوضِّح أنَّ للمهديِّ غيبتين ، الأولى يغيب المهديُّ فيها عن عامَّة شيعته ، إلا أنَّه في نفس الوقت يتَّصل بخاصَّة شيعته ويكون له أدوار لها صلة ببيان الحجَّة والتأسيس للغيبة الكبرى التي حتمها اللهُ تعالى ، ثمَّ بعد وقوع الغيبة الكبرى وانقضائها يظهر عليه السلام فيقيم أمرَ الله تعالى في الأرض ، وقد تواترت الأخبار بهذا النحو من الغيبتين مؤكِّدةً ضرورة الثبات والتمسُّك بأمر الله تعالى في زمنهما .

وفي الغيبة الصغرى أمرَ الخلقُ بالعودة إلى النواب الخاصِّين للمهديِّ ووكلاءهم المعيّنين . وفي الغيبة الكبرى أمرَ العبادُ بالرجوع إلى النواب العامِّين للمهديِّ عليه السلام وهم الفقهاء حُفَاطَ الشريعة وأتباعها ووعاءها وحملتها وشيوخها وحافظوها الذين يعرفون الحلال والحرام والمبادئ والعناوين والقيم التي جاء بها النبيُّ والآل عليهم السلام ويعملون على تنظيم أمر الأمة وقيادتها ما أمكنهم لتبقى كلمة الإسلام هي العليا .

والروايات في الغيبتين كثيرة ، منها ما رواه إسحاق بن عمار الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول : « للقائم غيبتان : إحداهما طويلة ، والأخرى قصيرة ، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه »^{٤٢١} ، وفي رواية إبراهيم بن عمر اليماني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين^{٤٢٢} »^{٤٢٣} ،

وكلُّ ألفاظ هذه المتون تذكر أنَّ الغيبة الثانية طويلة وطويلة إلى حد أنَّ قوماً يخرجون بالتشكيك ويحاولون أن يُبطلوا أمر المهديِّ من باب أنه مات أو هلك في أيِّ وادٍ سلك ، ففي رواية المفضل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين : إحداهما تطول حتى يقول بعضهم : مات ، وبعضهم يقول : قُتِل ، وبعضهم يقول : ذهب ، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير ، لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره ، إلا المولى الذي يلي أمره »^{٤٢٤} ، وتحت هذا الحديث قال الشيخ النعماني : « لو لم يكن يُروى في الغيبة إلا هذا الحديث لكان فيه كفاية لمن تأمله »^{٤٢٥} .

^{٤٢١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٥

^{٤٢٢} قال : وسمعت يقول : لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة .

^{٤٢٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٥ - ١٧٦

^{٤٢٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٦

^{٤٢٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٦

وهكذا في ألفاظ المتون تصريحُ تامٍ بالغيبتين وضرورتهما ، وأنه في الأولى يغيب عن العامة لا الخاصة وفي الثانية يغيب عن الخلق ويظلُّ هكذا حتى يأذن الله تعالى له بالظهور ، ولا يمنع ذلك من رؤيته عليه السلام .

وفي الغيبة الكبرى تتفاقم المحن والبلايا وتقوم الأرض على غير دين الله وتتظاهر الفراعنة على هياكلها ، وتقوم الطغاة على رؤوس كراسيها وسلاطينها ، فلا ترى إلا شاكاً وجاحداً ومعانداً لأمر الله تعالى إلا قلة يثبتون على الدين وأمر المؤمنين ، فيُعطيهم الله أعظم شرط الأجر وهم المنتظرون^{٤٢٦} .

وتحت هذا العنوان ، أي عنوان الحجّة زمن الغيبة قال الشيخ المفيد : « عند وقوع الغيبة الكبرى انقطعت النيابة الخاصة وكذب من ادّعى البايّة ، وصارت النيابة عامّةً للفقهاء العدول . وهذا لا يدلُّ على عدم إمكان رؤية الإمام في الغيبة الكبرى والتشرفُ بخدمته ، حتى مع معرفة المشاهد له

^{٤٢٦} وتحت هذا العنوان قال الشيخ المفيد : « أقول : إنّ استار ولادة المهدي بن الحسن بن علي عليه السلام عن جمهور أهله وغيرهم ، وخفاء ذلك عليهم ، واستمرار استتاره عنهم .. العلمُ محيطٌ بتمام مثله » [الفصول العشرة - الشيخ المفيد - ص ٥٣] وعن الغيبة قال الشريف المرتضى : « الجهلُ بحكمة الغيبة لا ينافيها » [المقنع في الغيبة - الشريف المرتضى - ص ٤٢] ثم قال : « لا فرق في الاستلهام من وجود الأئمة بين الغيبة والظهور » [المقنع في الغيبة - الشريف المرتضى - ص ٧٦] ثم أشار إلى علم الإمام حال الغيبة بما يجري وطُرق ذلك مؤكداً مشاهدته للأمر بنفسه عليه السلام « [المقنع في الغيبة - الشريف المرتضى - ص ٧٨] بل إمكان استخلاف الإمام لغيره في الغيبة والظهور (وهذا حاصل بالضرورة » [المقنع في الغيبة - الشريف المرتضى - ص ٨١] وأن « الفرق بين الغيبة والظهور في الانتفاع بوجود الإمام » [المقنع في الغيبة - الشريف المرتضى - ص ٨٢] ثم قال : « وحال الظهور - في كون الإمام عليه السلام لطفاً لمن يعتقد إمامته وفرض طاعته كحال الغيبة » [المقنع في الغيبة - الشريف المرتضى - ص ٨٨] .

في حال الرؤية ، لأنّ الذي نقطع بكذبه هو ادّعاء الباب والنيابة
الخاصة^{٤٢٧} «^{٤٢٨} .

إذا المنفي قطعاً هو البايّة والنيابة الخاصة عنه عليه السلام دون نفي إمكان
الرؤية لعدم منع الأدلة منها مع قيام جملة واسعة من القرائن والبيات على
التمكن من الرؤية^{٤٢٩} .

^{٤٢٧} ثم قال الشيخ المفيد حول التوقيعات والرؤيا : وذكر هذه التوقيعات السيد بحر العلوم في كتابه " الفوائد الرجالية " ثم
تعرّض للإشكال عليها بوقوعها في الغيبة الكبرى مع جهالة المبلغ ، ودعواه المشاهدة ، المنفية بعد الغيبة الصغرى ، ثم قال
في دفع الإشكال : باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن . والميرزا النوري في خاتمة " مستدرک وسائل الشيعة " نقل
الإشكال والجواب ثم قال : ونحن أوضحنا جواز الرؤية في الغيبة الكبرى بما لا مزيد عليه في رسالتنا " جنة المأوى ،
وفي كتاب : النجم الثاقب " وذكرنا له شواهد وقرائن لا تبقى معها ريبه . ونقلنا عن السيد المرتضى وشيخ الطائفة وابن
طاووس التصريح بذلك . وذكرنا لما ورد من تكذيب مدّعي الرؤية ضرورياً من التأويل تستظهر من كلماتهم ، فلاحظ
هذا . ثم أضاف : ومن أراد أن يجد - وجداناً - مفاد قول الحجة عليه السلام في حقه : « أيها الولي الملهم » فليمعن النظر في
مجالس مناظراته مع أرباب المذاهب المختلفة ، وأجوبته الحاضرة المفعملة الملزمة ، وكفاك في ذلك كتاب " الفصول "
للسيد المرتضى رضي الله عنه الذي قد لخصه من كتاب " العيون والمحاسن " للشيخ ، فيه ما قيل في مدح بعض
الأشعار : يسكر بلا شراب ، ويطرب بلا سماع . وقد عثرنا فيه على بعض الأجوبة المسكّنة التي يعيد عادة إعدادها قبل
المجلس . ثم استطرف بذكر طريقة منه « [المقنعة - الشيخ المفيد - ص ٨]

^{٤٢٨} الفصول العشرة - الشيخ المفيد - ص ٢١

^{٤٢٩} وفي التعليقة على الفصول العشرة للشيخ المفيد قال : « فما ذكره الشيخ المفيد من الحديث صريح بأنّ في الغيبة
الكبرى المعبر عنها بالطولي يمكن أن يعرف خبره من تولّى خدمته من ثقات أوليائه ولم ينقطع عنه إلى الاشتغال بغيره .
إذا عرفت هذا فقد روى الشيخ الطبرسي توقيعين وردا من الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد ، قال : ذكر كتاب ورد من
الناحية المقدسة حرسها الله ورعاها في أيام بقيت من صفر سنة عشرة وأربعمئة على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن
محمد بن النعمان قدس الله روحه ونور ضريحه ، ذكر موصله أنه يحمله من ناحية متصلة بالحجاز . نسخته : للأخ السديد
والولي الرشيد الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه ، من مستودع العهد المأخوذ على
العباد . . وجاء في آخر التوقيع : نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام : هذا كتابنا إليك أيها الأخ الوفي والمخلص
في ودنا الصفي ، والناصر لنا الوفي ، حرسك الله بعينه التي لا تنام ، فاحتفظ به ، ولا تظهر على خطنا الذي سطرناه بما له
ضمناه أحدا ، وادّ ما فيه إلى من تسكن إليه ، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله ، وصلى الله على محمد وآله

وعن مرجع الناس في الغيبة الكبرى ، أوضحنا في العديد من
الفصول أنّ الفقهاء هم المراجع ، والأخبار في هذا المعنى قاطعة ومُسكّنة
وتأمّة^{٤٣٠} .

وعن الغيبتين وحتمهما ، تخبرنا المتون أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا
يفتّحون على أصحابهم هذا الوصف في المهديّ عليه السلام فيؤكّدون الغيبتين
المكتوبتين فيه بالفاظ وطرقٍ كثيرة ، منها ما رواه حازم بن حبيب قال :
دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقال لي :

« يا حازم ، إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر في الثانية ، فمن
جاءك يقول : إنه نفض يده من تراب قبره فلا تصدقه »^{٤٣١} ، أي أنّ للمهدي

الطاهرين . وقال الطبرسي أيضاً يروي التوقيع الثاني : وورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه يوم الخميس الثالث
والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، نسخته : من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحق ودليله ..
وجاء في آخر التوقيع : وكتب في غرة شوال من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله على
صاحبها : هذا كتابنا إليك أيها الولي الملهم للحق العلي ، بإملائنا وخط ثقتنا ، فاخفه عن كل أحد ، واطوه ، واجعل له
نسخة تطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا شملهم الله ببركتنا إن شاء الله ، الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد
النبي وآله الطاهرين . وروى هذين التوقيعين يحيى بن بطريق في رسالة نهج العلوم إلى نفي المعدوم كما حكى عنه ،
وزاد عليهما توقيع آخر لم تصل إلينا صورته . ثم قال : وعند التأمل في التوقيعين الواصلين إلينا نستطيع أن نجزم بأنهما
لا يفيدان النيابة الخاصة أو البابية ، بل شأنهما شأن من يرى الإمام في غيبته الطولي ويعرفه .. ولا يفهم من الأحاديث
المكذبة لرؤيته إلا النيابة الخاصة » [الفصول العشرة - الشيخ المفيد - ص ٢١-٢٣] .

^{٤٣٠} قال الشيخ المفيد : « وإذا انتقلنا إلى عصر الغيبة ، نجد أنّ الفقهاء والمتكلمين وهم النواب عن أهل الذكر يتكفلون
أيضاً بالإجابة على الأسئلة التي تثار أمامهم ، حيث ألّفوا رسائل وكتباً تناول أسئلة الآخرين والإجابة عليها . وقد اتخذ
تأليف هذه الرسائل والكتب عناوين منتزعة من نفس المادة المتصلة بالسؤال والجواب عن الأمور الشرعية وغيرها ،
فجاءت هذه الرسائل والكتب تحمل عناوين مثل السؤال والجواب أو السؤالات والجوابات أو الأسئلة والأجوبة أو
غيرها » [المسائل العكبرية - الشيخ المفيد - ص ٥] .

غيبتين محتومتين لا يموت فيهما ، بل يخرج بعد انقضاء الثانية بإذن الله تعالى فيقيم أمر الله في الحكومة التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً ، ولسان هذه الأخبار متواتر .

وفي رواية إبراهيم بن زياد الخارقي عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كان أبو جعفر عليه السلام يقول : « لقائم آل محمد غيبتان : أحدهما أطول من الأخرى . فقال عليه السلام : نعم ، ولا يكون ذلك حتى يختلف سيفُ بني فلان ، وتضيق الحلقة ، ويظهر السفياي ، ويشتد البلاء ، ويشمل الناس موتٌ وقتل يلجؤون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله »^{٤٣٢} ، وهو كما أشرنا يؤكد طابع المحنة المتصاعد زمن الغيبتين ، والبلاءات المختلفة ، والإختبارات المتتالية ، وقد أشرنا إلى قسم منها ، حتى أنّ قوماً يحاولون أن يغتالوا حقيقة المهدي عن طريق إشاعة خبر هلاكه فقط لإبطال أمر الله وعدواً على الدين الذي ارتضاه الله لخلقِهِ ، وفي رواية محمد بن مسلم الثقفى عن الباقر عليه السلام قال : « إنّ للقائم غيبتين يُقال له في أحدهما : هلك ولا يُدرى في أيِّ وادٍ سلك »^{٤٣٣} ، وهو صريح في محاولة اغتيال أمر الإمامة وشطب ذكر المهدي عليه السلام ، وهو نحو إضافي من دعاية الطغاة والمنحرفين

^{٤٣١} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٦ - ١٧٧ * وفي الرواية الأخرى عن حازم بن حبيب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن أبي هلك وهو رجل أعجمي ، وقد أردت أن أحج عنه وأتصدق فما ترى في ذلك ؟ فقال : افعل فإنه يصل إليه ، ثم قال لي : يا حازم ، إن لصاحب هذا الأمر غيبتين * وذكر مثل ما ذكر في الحديث .

^{٤٣٢} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٧

^{٤٣٣} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٨

وأهل الأباطيل زمن الغيبتين . وفي متونٍ أخرى يُفَرَّقُ المعصوم عليه السلام بين الغيبتين فيؤكد أنه في الغيبة الأولى يعود إلى أهله ، أي يكون غائباً عن العامة لا الخاصة ، وفي الثانية يغيب عن الخلق حتى يأذن الله تعالى له بالظهور في آخر الزمن ، مع إمكان رؤيته بل صحّة ذلك زمن الغيبة الكبرى نعم الذي لا يصح هو النيابة الخاصة أو البابيّة ، ففي رواية المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين : يرجع في أحدهما إلى أهله ، والأخرى يُقال : هلك في أي واد سلك ، قلت : كيف نضنع إذا كان ذلك ؟ قال : إنّ ادّعى مدّع فاسألوه عن تلك العظام التي يجيب فيها مثله »^{٤٣٤} ، أي من ادّعى المهديّة .

وتحت هذا المعنى من الغيبين والخطّ الفاصل بين الدرجتين قال الشيخ النعماني وهو من أولى طبقات مؤلفي الغيبة الكبرى : « فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان ، يخرج على أيديهم غوامض العلم ، وعويصُ الحكم ، والأجوبة عن كلّ ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات ، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها^{٤٣٥} . والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريد الله تعالى ، والتدبير الذي يمضيه في الخلق ، ولوقوع

^{٤٣٤} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٨

^{٤٣٥} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٨ - ١٧٩

التمحيص والامتحان والبلبل والغربة والتصفية على من يدعي هذا الأمر ،
 كما قال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ
 يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ (١٧٩/٣) ،
 وهذا زمان ذلك قد حضر ، جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق ، وممن لا
 يخرج في غربال الفتنة ، فهذا معنى قولنا : « له غيبتان » ، ونحن في الأخيرة
 نسأل الله أن يُقرب فرج أوليائه منها ، ويجعلنا في حيز خيرته ، وجملة
 التابعين لصفوته ، ومن خيار من ارتضاه وانتجبه لنصرة وليه وخليفته ، فإنه
 ولي الإحسان ، جواد منان ^{٤٣٦} . نعم تؤكد الأخبار وبصريح متونها وهي
 كثيرة الوسائط وصحيحة الأسناد أن المهدي عليه السلام يظل على معرفة واتصال
 تام بالخلق والعالم والمجتمع البشري ، وأنه يُعطى من الله تعالى قدرة

^{٤٣٦} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٩ * وتحت هذا العنوان قال الشيخ المفيد : « وقد نُقِلَ عن السيد محمد الحميري شعراً في قصيدة قالها قبل الغيبة بمائة وخمسين سنة . وفيه قال رحمه الله : له غيبة لا بدأ أنه سيغيها * فصلي عليه الله من متغيب * قال المفيد : وعطف الشيخ عليه بقوله : فانظروا رحمكم الله قول السيد هذا ، وهو وارد في الغيبة قبل وقوعها ، كيف وقع له أن يقوله ، لولا أنه سمعه من أئمتنا عليهم السلام ، وأئمتنا سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله .. ثم قال : وأصحاب الأئمة ينقلون نقلاً متواتراً عن أئمتهم عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : أن الثاني عشر يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون ، ويحكون أن الغيبة تقع على ما هي عليه ، فليس تخلوا هذه الأخبار أن تكون صدقاً أو كذباً ، فإن كانت صدقاً فقد صح ما نقول ، وإن كانت كذباً استحال ذلك ، لأنه لو جاز على الإمامية وهم على ما هم عليه لجاز على سائر المسلمين في نقلهم معجزات النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك ، (وهذا الكذب منفي بالضرورة) فافهم » [رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٤ - ١٢] وفي رسائل الغيبة للشيخ المفيد قال : « الخبر الذي روته العامة والخاصة وهو خبر كميل ابن زياد قال : دخلت على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو ينكث في الأرض فقلت له : يا مولاي ما لك تنكث الأرض أرغبة فيها ؟ فقال : والله ما رغبت فيها ساعة قط ، ولكنني أفكر في التاسع من ولد الحسين هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً ، تكون له غيبة يرتاب فيها المبطلون ، يا كميل بن زياد لا بد لله في أرضه من حجة ، أما ظاهر مشهور شخصه ، وأما باطن مغمور لكيلا تبطل حجج الله » [رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ١٢ - ١٣] .

الحركة والتقلب بين الأمم والشعوب ومراقبة الخلق وما إلى ذلك من وظائف لا نعرف عنها إلا القليل القليل ، ففي رواية زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إنَّ للقائم غيبتين يرجع في إحداهما ، وفي الأخرى لا يُدرى أين هو ، يشهد المواسم ، يرى الناس ولا يرونه »^{٤٣٧} وهو صريح كغيره في أنَّ المهديَّ عليه السلام يرى الخلق ولا يرونه ، وإذا رأوه لا يعرفونه ، ويَطوي الأرض بين شرقٍ وغربٍ ويمشي بين سككهم وبين دورهم فلا يعرفونه كما في كثيرٍ من الروايات .

وفي هذا المعنى ما رواه عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « يفتقد الناس إماماً (المهدي) يشهد المواسم يراهم ولا يرونه »^{٤٣٨} ، وقد أشرنا بناءً على الأدلة والمرويات إلى جواز رؤية المهديَّ عليه السلام زمن الغيبة الكبرى من بعض مَنْ يخصُّهم الله بذلك ، ولا دليلَ على المنع منها ، نعم الدليلُ قام على منع البابية والنيابة الخاصة ، ولنا طائفة من الأخبار والبيات تحكي قاعدة هذا القول ، وعلى هذا القول الشيخ المفيد وجملته من أكابر علمائنا . وفي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إنَّ في صاحب هذا الأمر (يعني المهديَّ عليه السلام) سنن من الأنبياء عليهم السلام ، سنة من موسى بن عمران ، وسنة من عيسى ، وسنة من يوسف ، وسنة من محمد صلوات الله

^{٤٣٧} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨١ * وكذا في رواية عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : للقائم غيبتان يشهد في إحداهما المواسم يرى الناس ولا يرونه فيه .

^{٤٣٨} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٨٠ [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٤٦] .

عليهم : فأما سنة من موسى بن عمران فخائفٌ يترقب ، وأما سنة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى (أي أنه مات) ، وأما سنة من يوسف فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً ، يرونه ولا يعرفونه ، وأما سنة من محمد ﷺ فيهتدي بهداه ويسير بسيرته ^{٤٣٩} ، وفيه يقول الشيخة : « يرونه ولا يعرفونه » وهذه وردت في جملة من المتون المروية فضلاً عما ورد في غيرها وعلى معناها ، بالإضافة إلى عدم منع الدليل من أصل الرؤية مع صحة الإمكان ، فضلاً عن قيام الشهادات والبيّنات على هذا النحو الذي قرّرناه .

كما يبدو من المتون أنّ للمهديّ الشيخة ثلّة خاصّة خصّه الله بها ، ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله الشيخة قال : « لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة ، ولا بدّ له في غيبته من عزلة ، ونعم المنزل طيبة ، وما بثلاثين من وحشة » ^{٤٤٠} ، ويشهد لهذا المعنى من الجماعة المخصوصة التي تحيط بالمهديّ الشيخة طائفة من الأخبار هذا لسانها ، وكذا طائفة لها شبهة بهذا المعنى على التنزيل .

^{٤٣٩} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٠ - ٣٥١ أقول تحت عنوان خائف يترقب قال الشيخ الصدوق : « إحدى العلل التي من أجلها وقعت الغيبة الخوف كما ذكر في هذا الحديث ، وقد كان موسى بن جعفر الشيخة في ظهوره كاتماً لأمره (معلوماً لأهل الحق ومن يطلبه) وكان شيعته لا تختلف إليه (في الظاهر) ولا تجترؤون على الإشارة خوفاً من طاغية زمانه ، إلى أن قال : فلما علم هشام أنه قد أتى هرب ، وطلب فلم يقدر عليه وخرج إلى الكوفة ومات بها عند بعض الشيعة (أي هشام) ، فلم يكفّ الطلب عنه حتى وضع ميتاً بالكناسة وكتبت رقعة ووضعت معه : هشام بن الحكم الذي يطلبه أمير المؤمنين (أي هارون) حتى نظر إليه القاضي والعدول وصاحب المعونة والعامل ، فحينئذ كف الطاغية عن الطلب عنه » [كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٦١ - ٣٦٢] .

^{٤٤٠} كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٩٤

وتُجمِعُ الأخبارُ على أنَّ الغيبة الأولى هي الصغرى زمنًا ، فيما الثانية هي الكبرى زمنًا ، وفي الرواية عن ثابت الثمالي ، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : فينا نزلت هذه الآية : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وفيما نزلت هذه الآية : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾ ، والإمامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى يوم القيامة . وإنَّ للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى ..

وأما الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به ، فلا يثبت عليه إلا مَنْ قوي يقينه وصحَّت معرفته ولم يجد في نفسه حرجاً ممَّا قضينا ، وسلّم لنا أهل البيت ^{٤١} ،

وتحت هذا الحديث روى النعماني ما يؤكِّد هذا المعنى من ضرورة التسليم لما قال أهل البيت الذين ثبت بالضرورة القاطعة أنهم حجَّة الله وخلفاءه ولسانه في أرضه ووجهه هُداة ، فقال : قال علي بن الحسين عليه السلام :

« إنَّ دينَ الله عزَّ وجل لا يُصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقائيس الفاسدة ، ولا يُصاب إلا بالتسليم ، فمن سلّم لنا سلّم ، ومن اقتدى بنا هُلوي ، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه شيئاً ممَّا نقوله أو نقضي به حرجاً كفرَ بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن

^{٤١} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٣ - ٣٢٤

العظيم وهو لا يعلم»^{٤٤٢}، وهكذا فقد أطبقت الأخبار على وسائط السماء وعلى موقعهم وفاصل أمرهم وطول حجّتهم قبل الغيبة وبعدها .

وهكذا أطبقت الأخبار على أصل الغيبة ، وعلى قسمة الغيبتين ، وأنّ الأولى تكون صغرى والثانية تكون كبرى ، وفي الأولى يغيب عن العامّة ويكون ظاهراً على الخاصّة ، وفي الغيبة الكبرى يغيب عن الخلق إلى أن يؤذّن له بالظهور فيقيم الأرض على شرط الله ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً ، ثمّ تتصل أحداثُ الوجود الموصوف في سلسلةٍ يتبع بعضها بعضاً ، فإذا انتهت مدّة الأرض ومعاني الإستخلاف بعد أمدٍ عدّه وحده لدى الله تعالى ، أذن الله تعالى للأحداث المرقومة أن تقع ، ثمّ تتوالى مظاهر الإرادة الربانيّة وصولاً إلى قيام القيامة ورفع أعلامها وتجلّد مظاهرها ثمّ قسمة الفرقين : هذه إلى الجنّة وتلك إلى النار ، ثمّ إعلان الخلود الأبدي الذي لا موت بعده لمن آمن واتقى وحفظ الله في أنبياءه وكتبه وأوليائه عليه السلام وعاش الطاعة على شرط الطاعة المرسومة في صُحف السماء ، جعلنا الله منهم بمحمّد وآله الأخيار عليهم السلام .

وفي الختام :

أدعو الله تعالى بمحمّد وآل محمّد عليهم السلام أن يجعلنا من أهل الإنتظار في زمن الإنتظار ، ثابتين على ولاية الثقلين ، راسخين في الإيمان ، عاملين

^{٤٤٢} كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٢٤

بما أمروا ، تاركين لما تركوا ، مُجَلِّين ما أحلُّوا ، مُحَرِّمين ما حرَّموا ، ماضين في طريقهم ، نازلين على ولايتهم ، حافظين لأمرهم ، مُتَّبِعِينَ لقولهم ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، مُجَبِّين في الله ، مُبْغِضِينَ في الله ، آخذين في الله وتاركين في الله ، وَمِنَ الَّذِينَ يَبْذُلُونَ مَهْجَهُمْ وَكُلَّ إمكانياتهم في سبيل الإسلام العزيز الذي أعلنه الله دينَ أنبياءِهِ وأولياءِهِ وشرعة هُداةٍ وطريقَ عبادِهِ .

فيا له من شوقٍ وقلبي يرتقب الظهور ، وأنا أقرأ المنشور ، وافتش بين السطور ، وها هي أكفُ الحنان تأخذ أعماقي ، وتطوقُ فؤادي وأرجائي ، وفي ذاتي ألفُ رغبةٍ ورغبة : هل أراه ..؟؟؟؟

فيا قارئ : أتعب نفسك ، وخذ لها حظَّها من آخرتها ، واذكر معادك ، وأكثر زادك ، فإنما الدنيا دارُ الغرباء وموطن الأشقياء ، وبضاعة الآخرة مشروطة ، ومنازلها رهينة تُقَاك ، وأوَّلُ التقى أن تعرف حججَ الله فتنزل على ولايتهم ، فتحلَّ ما أحلُّوا وتحرم ما حرَّموا ، وقد ثبت بالتواتر أنَّ طاعة الله من طاعتهم ، ومعصيته من معصيتهم ، وهم هُداةٌ وبيئاتُ وأعلامه في طيِّ الأرض وأفقها ، في الأرض والسما ، ولم يبقَ من الدهر إلا مقدار ما يُختمُ به مقدورُ الخلافةِ المعهودةِ من عالمِ النور المركوز في المهديِّ عليه السلام ثمَّ ما يتبعه من رجعةٍ ومستودعٍ وختامٍ ، وقد يقلُّ وقد يكثر ولا نعرف المقدار ، فأعد نفسك لأن تكون على محضر البيعة ومشهد الرؤية ، فإنَّ تمَّ

لك ذلك فَنِعْمَ الْفَضِيلَةُ التي لا وزن لها في ثقلٍ ولا مقادير لها في كتابٍ إلا
عندَ الله تعالى ، وإنَّ أنتَ متَّ على أمرهم ، فسُودَعَ روحك في مخازن
البرزخ على أعلى مقام وأنعم نوال وأحسن حال إلى أن يُتِمَّ اللهُ أمره
ويعرض عليك ما تقرُّ به العين وتختار ، فلا تستبدل بالإسلام غيره ، واعلم
أنَّ الإسلامَ علمٌ وعملٌ واعتقاد ، قولٌ وأفعال ، مبادئٌ وقِيَمٌ ، توضيحية
وتفاني ، ثقافةٌ وصيغةٌ .. والسلام ..

جعفر عتريس

في ١١ صفر ١٤٢٩ هجرية ، موافق ١٩ شباط ٢٠٠٨ ميلادية ، يوم
الثلاثاء صباحاً (الضاحية الجنوبية - لبنان) .

فهرس

- إهداء : ٥
- زمن الغيبة :
- أقرب ما يكون العباد من الله تعالى ٧
- خصوصية بلاء الغيبة :
- بذل الإمكانيات لحماية خيار الإسلام وتطبيقه ٢٦
- غيبة المهدي عليه السلام من غيبة الأنبياء عليهم السلام :
- الغيبة سنة من سنن الله في أنبياءه وأوصيائه عليهم السلام ٤٢
- أول تلك الغيبات : غيبة النبي إدريس ٤٩
- غيبة نوح ٤٩
- انتظار هود ٥٥
- غيبة صالح وانتظاره ٥٩
- غيبة إبراهيم ٦١
- غيبة النبي يوسف ٦٤
- غيبة موسى وانتظار قومه ٦٧
- استتار الأوصياء والأنبياء من بعد يوشع بن نون ٧٩
- غيبة سليمان ووصيته ٨١
- أصف ثم دانيال والشدة التي وقعت على بني إسرائيل ٨٢
- غيبة عزيز ثم قيام يحيى ٨٣

- غيبة المسيح ٨٤
- استتار شمعون بن حمون الصفا ٨٤
- غياب الحُجَج بعد شمعون الصفا ٨٥
- سلمان الفارسي من أتباع المسيح ﷺ ومنتظري النبي محمد ﷺ ٨٦
- قس بن ساعدة الأيادي وانتظار النبي محمد ﷺ ٨٨
- المنتظرون للنبي محمد ﷺ ٩٠
- عبد المطلب وأبو طالب : انتظار النبي الموعود ٩٢
- اشتهاار اليهود وغيرها من النصارى بالإخبار عن النبي الموعود ٩٦
- إخبار سيف بن ذي يزن ٩٧
- الرهبان : بحيرا وغيره وقصة الإنتظار ١٠٢
- سطیح الكاهن وانتظار النبي محمد ﷺ ١٠٧
- تخفي النبي ﷺ بعد نبوته وإعلانه في المهدي والأئمة من ولده ١١٠
- محنة الغيبة ١٢٧
- منع التوقيت ١٣٧
- التمحيص والغربة حتى لا يبقى إلا الأندر ١٤٤
- انتظار الفرج وحقيقة الحيرة وهياكل البلاء ١٥٩
- محاولات السلطة التضييق على أهل البيت ﷺ : ومعنى المحنة منذ ١٨٤
- الإمتحان والشدة زمن الغيبة ١٩٧

- صفة المنتظرين ووظيفتهم ٢٠٤
- شرط الإنتظار ٢١٨
- المحن والفتن في آخر الزمن ٢٢٩
- الصبر على البلاء والإصرار على شرع الله ٢٦٤
- المهديُّ القائم ودولة آل محمد ووظيفة المنتظرين ٢٨٧
- خفاء ولادة المهدي عليه السلام ٣٠٧
- دعاية المُبطلين بموت المهدي عليه السلام قبيل ظهوره ٣٤١
- الغيبتين وفرائض العباد فيهما ٣٥١
- الفهرس ٣٦٥



صدر للمؤلف - مركز الأبحاث والفكر الإسلامي: لبنان - بيروت: ت [٢٠٢٩/٦/٠٣]

- العولمة والعالم إدارة وأدوات . [حاز التنويه الأول في العام ٢٠٠٣] .
- عقوبة الإعدام تحت المجهر .
- الإستنساخ جدل العصر .
- ولاية الفقيه والنظام الدستوري الإسلامي .
- فضائح الملفات الساخنة في لبنان .
- فوضوية العالم وميزان القوى .
- من وجع السنين . [جراحات قلم أدبية تحكي قصة البشرية بين السعادة والأحزان]
- أمركة الأمم وصيدام الحضارات . [جرى تصنيفه في العام ٢٠٠٦ من بين أهم ٧ كتب عالمية عبر الأكاديمية العليا في دمشق : مركز الدراسات الإستراتيجية]
- التوراة والإنجيل والقرآن .
- الرأسمالية تجتاح العالم .
- معين القرأء في مجالس العزاء .
- ما قبل نهاية التاريخ (ظهور قائم آل محمد ، المهدي) : نسال الدرجة الأولى ، بامتياز في مهرجان الكتاب الدولي لوزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية في مؤتمر سنة الولاية عام ٢٠٠٤ [سال ولايت] .
- العراق في قلب الإعصار .
- المرأة في الألفية الثالثة .
- حوار الحضارات والتصادم الأممي .
- الديمقراطية الغربية في مواجهة الإنتشار الإسلامي .
- أفول نجم الامبراطورية الأمريكية .
- المفاهيم الإجتماعية والقيم الوجودية في الإسلام .
- قبل أن ينهار لبنان .
- المهدي المنتظر [المصلح الرباني وصانع العالم الجديد] (٣ أجزاء) .
- الحاكم والرعية .
- حزب الله الخيار الأصعب .
- فلسفة الحياة .
- بين الشرق والغرب : الإسلام هو الحل .
- إيران النووية والنظام الأوسطي الجديد .
- رايات أهل الولاية في عصر الظهور .
- اعرف إمام زمانك .
- حزب الله يجرُّ عربة التاريخ .
- كوكب الأرض بين أنياب العولمة .
- الحرب على الإسلام .
- الحضارة المنتحرة .
- أشراط الساعة وعالم ما قبل القيامة .
- مخاض عصر الظهور : راية اليماني الداعي لقائم آل محمد []
- الجهاد : أشرف الأشياء بعد الإسلام .
- الشرق الأوسط على حافة الإنفجار .
- المنتظرون زمن الغيبة .
- ملحمة النصر وطعنات الظهر .